



مركز الأبحاث والتوثيق القومي
مركز تحقيق التراث

خريدة القصر وخريدة العصر قسم شعراء مصر

تأليف
العماد الأصمغاني الكاتب

نشرة

شوقي ضيف

أحمد أمين

إمضاء مجلس

الجزء الأول

طبعة جديدة

(مصورة عن طبعة ١٩٥١ م)

مطبعة دار الأبحاث والتوثيق القومي بالقاهرة

(١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)

فريدة القصر وجمدية العصر

قسم
شعراء مصر

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. محمد صابر عرب

الأصفهاني، محمد بن أحمد بن حامد ، 1125 - 1201 .
خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء مصر/
تأليف العماد الأصفهاني الكاتب؛ نشره أحمد أمين، شوقي
ضيف، إحسان عباس. - طبعة جديدة، مصورة. - القاهرة:
دار الكتب والوثائق القومية ، مركز تحقيق التراث، 2005 -
مج 1 ؛ 30 سم.
يشتمل على إرجاعات بيلوجرافية.
تدمك 7 - 0369 - 18 - 977

٨١١,٠٠٩

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٣٥٥/٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 18 - 0369 - 7

إلى الزميل الكريم الدكتور محمد كامل حسنة
مع أصدق التحيات
بجدة الألف والنجم والنشر
١٩٥٣هـ شوق صفا

غريدة القصر وجريرة العصر

قسم

شعراء مصر

تأليف

العماد الأصفهاني الكاتب

نشره

شوق صيف

أحمد أمين

إحصاء جنائز

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

للمؤلف: أحمد أمين بك

الحق أنني أعجبت بالعماد الأصفهاني حينما قرأت كتاب الخريدة إعجاباً لا حد له من حيث استقصاؤه شعراء مصر، وعرضه نماذج من شعرهم، فوقفنا بذلك على أشياء كثيرة قيمة كانت مجهولة مما يفيد الباحث.

ولكن لم أعجب به من حيث التعريفُ بالشعراء وتحليل قنهم، فهو يلتزم السجع غالباً، ويعرض الشاعر في شكل قد يصح أن ينطبق على كل شاعر، وهو رأس مدرسة تبعه تلاميذها في منهجه من حيث السجع والتحليل. وكان يكون أفيده لو تحرر من السجع وتعمق في تحليل الشاعر وقيمة فنه، فهو — في نظري — يُعنى بالتزويق أكثر مما يعنى بالمعاني. ولست ممن يذهبون هذا المذهب، فإني أفضل العناية بالمعنى على العناية بالتزويق؛ ولهذا أفضل طريقة ابن خلدون ومدرسته على العماد ومدرسته، كابن فضل الله العمري والشهاب الخفاجي وأمثالهما.

وربما كان عنوان طريقة العماد تسمية أحد كتبه «بالفيح القسي في الفتح القدسي» وهي طريقة تعتمد على التجميل اللفظي، ربما دعت إليها طبقته الأرستقراطية التي كان يعيش فيها، وهي طبقة الخلفاء والوزراء وأضرابهم. ونحن لانحب هذه الطريقة الأرستقراطية، بل نفضل عليها الطريقة الديمقراطية التي

تعنى بالوضوح والقوة أكثر مما تعنى بالجمال والتزييق، ولكل وجهة هو مواليها. ولو وجه كل مجهوده الذى بذله فى البحث عن سجمة يلائم بينها وبين أختها إلى إجادة المعنى ودقته لكان أحسن .

وبعد استعراضى لما ذكره فى ترجمة شعراء مصر لا زلت على رأيى فى أن شخصية مصر غير واضحة فى شعرها إلا ما كان حتماً من تأثير البيئة المصرية واختلافها عن البيئة العراقية والشامية . أما طابع الشعر ومعانيه وأسلوبه فيشبه شعر باقى الأقطار ، لا يختلف عنه من حيث التقييد ببحور الشعر والقافية ، أو من حيث الموضوعات التى يتعرض لها الشاعر من مديح وغزل وثناء ونحو ذلك . أما شخصية تختار موضوعات جديدة فى أسلوب جديد ونظم جديد وقواف جديدة فلم نلمسها فى كل ما قرأنا من شعر مصر . ولعل المستقبل ونشر كتب النصوص يعدلان من رأيى .

وكان من حسن الحظ أن قام المجمع العلمى ببغداد بنشر القسم الخاص بالعراق ، وقد اطلعت منه على ثمانى ملازم . ولعل مصر أو العراق أو غيرها يعنى بالقسم الأندلسى أو بقسم آخر من الخريدة . وبذلك يكمل نشر الكتاب .
والله الموفق ؟

أحمد أمين

القاهرة فى ٢٨ من يوليه سنة ١٩٥١

مدخل

للدكتور شوقي ضيف

١

خطوات العمل في هذا القسم المصرى من الخبرة

حين كان أستاذنا الجليل أحمد أمين بك أستاذا للأدب المصرى فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بين سنتى ١٩٣٩ ، ١٩٤٦ م كان يعمل مع طلابه وزملائه جاهداً للتحقق من شخصية مصر الأدبية فى العصور الوسطى ، وبيان صفات هذه الشخصية وخصائصها . ودخل هذه الدراسة بطبيعة العالم الذى لا يثبت صفة ولا خاصة دون أن يشفع ذلك بكل ما يمكن من وثائق ومستندات . ولذلك رأيناه يتشكك كثيراً ولا يترك أحداً يرى رأياً دون أن يشقه اشتقاقاً من نص . ولم يكن حينئذ محابياً لوطنه ولا متحزباً له أو متعصباً ، بل كان — كعادته — يتحرى أن يكون منصفاً فى أحكامه عليه . ومن استمعوا إلى محاضراته واتصلوا بأبحاثه حينئذ يعرفون أنه كان قليل الاعتراف بحظ هذا الوطن فى الشعر والشعراء ، فصر لم تُخرج شاعراً كبيراً مثل البحتري وأبى تمام والمتنبى وابن الرومى وأبى العلاء . وأذاع ذلك فى مجلة الثقافة وفى بعض كتاباته . وأذكر أنني حاورته فيه واعتمدت فى حوارى على أن نصوص الشعر العربى فى مصر لما تُنشر ، وأن نشرها قد يُعدّل فى أحكامنا الأدبية على شخصيتها وطبيعتها الفنية . وامتد هذا الحوار فى نفسى ، ورجوت لو أننا نشرنا أكثر ما يمكن من شعرنا المصرى ، حتى نُصدر عليه أحكامنا وهو فى أيدي الباحثين وتحت أعينهم . وفى أثناء لقاء لأستاذى عرضت عليه أن ننشر مع القسم المصرى من كتاب

« خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الأصفهاني فرحب بالفكرة وتقبلها قبولاً حسناً . فرجعت إلى بروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » فوجدته يشير إلى نسخ مختلفة تناثرت من الكتاب في مكاتب العالم العربية والشرقية . واتفق أنى اطلمت على النسخة المصوّرة بدار الكتب المصرية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس ، ورأيتهما صالحة لأن تكون أصلاً يُنشر منه القسم المصرى . غير أننى سرعان ما عرفت أنها تنقص كثيراً من أولها ، وأيضاً فإن أوراقها ضمّ بعضها إلى بعض في غير نسقٍ ولا نظام .

وانصرفت عن هذا العمل إلى حين ، ظلّ فيه الأمل يُراودنى ، وظلت أتعقب النسخ المختلفة للكتاب . حتى إذا قامت الجامعة العربية وأسسَ أستاذنا أحمد أمين بك مدير إدارة الثقافة بها معهد المخطوطات العربية يريد أن يجمع عن طريقه هذه المخطوطات من أنحاء المعمورة على أشرطة صغيرة تكبّر في المستقبل كان كتابُ الخريدة أحدَ الكتب المهمة التي عُني بها ، فكلف البعثة التي أرسلها إلى الآستانة في صيف سنة ١٩٤٩ أن تجدّ في الحصول على نسخه المختلفة هناك . وحينئذ أمكن لهذا الأمل ، أمل نشر القسم المصرى من الخريدة أن يتحقق ، فقد ظفرت البعثة بقطعة من القسم عثرت عليها في مكتبة « نور عثمانية » وهي تحبوى على مجموعة كبيرة من التراجم الأولى منه .

وصوّرتُ هذه القطعة وضممت إليها مُصوِّرة دار الكتب المصرية وبدأت أحاول إعداد القسم للنشر . وكان أول ما صنعت أنى وضعت مختصر الخريدة لعلى رضائى المسمى « عود الشباب » رصداً على المصوِّرتين أريد أن أتبين منه صحة ترتيب التراجم في النص وما يمكن أن يكون قد سقط منه . فرأيت أن مُصوِّرة « نور عثمانية » لا تلتحم مع مصورة دار الكتب المصرية ، إذ بينهما ثغرة سقطت فيها تراجم الأمير أبى المهند حسام بن مبارك بن قضة العقيلي ، وهبة الله

ابن كامل ، وابن الذرّوى ، ثم فاتحة ترجمة القاضى الجليس ، فمن بقية هذه الترجمة تبدأ مصورة الدار .

وقد نقلت الترجمة الأولى من مختصر الخريدة ، إذ لم أجد لها فى سواه . أما الترجمة الثانية فقد وجدت كتاب « الرّوّصتين » لأبى شامة المقدسى يحتفظ بها نقلا عن الخريدة ، فأثرت أخذها منه ، لأنها فيه أتمّ وأكمل . وكذلك الشأن فى الترجمة الثالثة ، فقد نقلتها عن « المُغرب » لابن سعيد ، لأنه لا يوجد التراجم التى ينقلها عن العماد فى كتابه إيجازاً شديداً على نحو ما يصنع على رضائى فى المختصر . أما فاتحة ترجمة القاضى الجليس فقد رجعت فيها إلى الكتب الثلاثة جميعاً ، لأن كلامها احتفظ بها أو بأكثرها .

وبذلك التأم هذا القسم المصرى الذى نشره من الخريدة ، ولم ننتظر حتى نجد نسخة كاملة منه ، لأننا يأسون من ذلك الآن ، وإذا أتاح لنا البحث نسخاً أخرى رجعنا إليها فى الطبعة الآتية إن شاء الله .

على أنه ينبغي أن أشير إشارة خاصة إلى ما ذكرته آنفاً من أن مصورة دار الكتب المصرية ورق متناثر جمع بعضه إلى بعض فى اضطراب واختلاط شديدين ، وقد استطعت أن أعيد هذه الأوراق إلى مواضعها الأصلية من اتصال الكلام عن طريق المختصر من جهة وكتاب المغرب من جهة ثانية ، إذ احتفظ ابن سعيد فى الكتاب الأخير (جزأى الفسطاط والقاهرة) بأكثر من ترجم لهم العماد من المصريين فى الخريدة . وكنا إلى وقت قريب نظن أن ما فقد من كتاب المغرب لا أمل فى العثور عليه ، ولكن مهده المخطوطات عثر فى سوهاج على قطعة جديدة ، فيها بقية كتاب القاهرة . وسيرى القارئ فى تعليقاتنا على التراجم والأشعار أننا رجعنا كثيراً إلى هذه القطعة .

وعلى نحو ما نظمتُ أوراق مصورة دار الكتب معتمداً على المختصر

والمغرب أكلت ما سقط منها مستمداً منهما ومن الكتب الأخرى التي احتفظت ببعض التراجم نقلاً عن العماد، كما يرى القارئ في ترجمة الموفق بن الخلال إذ نقلت فاتحتها الساقطة من ترجمة ابن خلكان له في كتابه «وفيات الأعيان» .

ولما تماثل النص بهذه الصورة وأصبح جديراً بالنشر عهدت إلى تلميذي وصديقي الأستاذ إحسان عباس أن ينقله من المصورتين المذكورتين لما أعهدده فيه من حسن لغوي وذوق أدبي ، فقبل ذلك مخلصاً ، وأداه على خير وجه من الصحة والضبط والدقة .

وتناولت منه النص فرممت ثغراته ، كما بينت ، وعرضته على كتب اللغة وعلى كل ما أمكنتني من كتب مخطوطة ومطبوعة ، وخاصة تلك التي استمدت منه مثل المغرب . ورجعت إلى مجموعة من المخطوطات المصورة في دار الكتب المصرية ، وعلى رأسها «معجم» السَّانِي و«المحمَّدون من الشعراء» للثَّقْفِي و«الوفاء بالوفيات» و«أعيان العصر وأعوان النصر» للصَّغْدِي و«مسالك الأبصار» لابن فضل الله العُمَرِي . وأفدت منها جميعاً فوائد جمة في تحقيق النص . وإذا كان لشاعر ديوان مطبوع أو مخطوط قابلت عليه منتخبات العماد له ، على نحو ما يرى القارئ لهذا الجزء الأول في ترجمة ابن سناء الملك ، إذ قابلت أشعاره على نسختين من ديوانه ، إحداهما مصورة والثانية مخطوطة ، وكذلك قابلت أشعار ابن قلاؤس على ديوانه المطبوع .

ورجعت بجانب ذلك إلى كتب التراجم المطبوعة وفي مقدمتها «معجم الأدباء» لياقوت و«وفيات الأعيان» لابن خلكان و«إنباه الرواة بأبناء النحاة» للثَّقْفِي (الجزء الأول منه) و«الطالع السعيد» للإدْفَوِي و«فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي ، و«حسن المحاضرة» للسيوطي . ورجعت إلى كثير من الكتب التاريخية مثل

«الروضتين» و «النجوم الزاهرة» لابن تغرى بردى، و «خطط» المقرزى، و «الكامل» لابن الأثير. ويجد القارئ في هوامش هذا الجزء الأول أسماء الكتب المختلفة التي رجعت إليها في تحقيق النص والتعليق عليه.

ولما أكملت هذا العمل قرأه الأستاذ أحمد أمين بك معي، وراجعه مراجعة شاملة، استعرض فيها التصحيحات والتعليقات. وبذلك أمكن لهذا العمل أن يخرج إلى الباحثين.

٢

وصف المصوّرة فى هذا القسم

أما المصوّرة الأولى فقد أخذت عن مخطوطة محفوظة بمكتبة «نور عثمانية» تحت رقم ٣٧٧٤. وهى تبدأ بأول النص وتستمر حتى تنتهى بترجمة طلائع ابن رزّيك، ونجد فى نهايتها هذه العبارة: «تم الجزء التاسع من كتاب خبرية القصر وجريدة العصر، ويتلوه فى الجزء العاشر منه إن شاء الله تعالى شعر الأمير أبى المهند حسام بن قضة بن مبارك العقيلي من المصريين».

ويغلب على الظن أن تكون هذه النسخة كتبت فى القرن التاسع الهجرى، وهى بخط نسخ صغير ما عدا عنواناتها فقد كتبت بخط ثلث. وإجماعها كامل، وشكلها كثير، وليس فيها حليّات مميزة سوى شكل مخروطى، تحتم به أحياناً بعض التراجم، أو بعض الأبيات، وقد يوضع حول العُنوان.

وعدد أوراق هذه النسخة التى أفدنا منها فى هذا القسم خمس وعشرون ورقة، وهى تامة، فليس بها خرم أو نقص يتخللها. وعدد سطور الصفحة فيها سبعة وعشرون سطراً وطولها ٢٦ر٥ س. م وعرضها ١٧ر٥ س. م.

وأما مصوِّرة دار الكتب المصرية عن نسخة المكتبة الأهلية بباريس فمحافظة بالدار تحت رقم (٤٢٥٥ أدب) . وهي تبدأ بمقطوعات شعرية نجد في أنثائها: «وأشدني بعض فضلاء مصر لابن الحباب» وفي آخرها: «تمّ التأليف الحاوي لشعراء مصر وأدباء العصر بمنّ الله تعالى بتاريخ العشرين من رجب من سنة اثنتين وأربعين وستائة ، والحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه» . وحول هذه العبارة مطالعات لبعض من نظر فيه .

فهي نسخة قديمة كُتبت في عصر قريب من عصر العماد ، وربما نُقلت من نفس نسخته . وهي تبدأ ببقية ترجمة القاضي الجليس بن الحباب وتستمر حتى نهاية هذا النص المصري . وهي ورق مختلط ضمّ بعضه إلى بعض على غير نسق ، ويستطيع القارئ أن يطلع على ذلك بمقارنة أرقام النسخة على تعاقب النص في هذا الجزء الأول ، كما في ترجمة الجليس مثلاً ، وابن قادوس ، ومحمد بن هاني .

وقد كُتبت هذه النسخة بخط نسخ حسن ، وكتبت عنواناتها كالنسخة السابقة بخط الثلث ، وإعجامها تام ، وشكلها كامل ودقيق . وقد وضع ناسخها هذه الحلية التي أشرنا إليها في النسخة السابقة ، فمن حين إلى آخر يقابلنا شكل مخروطي مع بعض العنوانات ، أو في نهاية بعض المقطوعات .

وعدد أوراق هذه النسخة ٢٠١ غير أنه ينبغي أن نلاحظ أن العماد أضاف إلى مصر ملحقا ذكر فيه شعراء عسقلان وهو يشغل أربع عشرة ورقة . ومعنى ذلك أن الأوراق الخاصة بمصر في هذه النسخة مائة وسبع وثمانون ورقة . وعلى كل ورقة رقم أفرنجي إلى اليسار لاشك في أنه من عمل المكتبة الأهلية الباريسية . وعدد سطور الصفحة في الأكثر سبعة عشر سطراً ، وطولها ٢١ س . م ، وعرضها ١٣ س . م .

العماد الأصفهاني وأسلوب تأليفه لهذا القسم

والعماد مؤلف هذا القسم المصرى هو محمد^(١) بن محمد بن حامد بن محمد ابن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن آله الكاتب الأصفهاني المعروف بابن أخي العزيز^(٢). ولد بأصفهان سنة ٥١٩ هـ ، وقدم بغداد وهو في سن العشرين ، فانتظم في سلك المدرسة النظامية ، ودرس على أساتذتها المختلفين الفقه والحديث والخلاف ، وبرز أثناء ذلك في نظم الشعر وصوغه ، فحاول الصلة عن طريقه بالخليفة المتقي لأمر الله (٥٣٠ - ٥٥٥ هـ) فأوصى به وزيره عون الله بن هبيرة (٥٤٤ - ٥٦٠ هـ) فولاه النظر بواسط والبصرة . وقد أرنح العماد بدء هذه الصلة في ترجمة المتقي بالقسم الأول من الخريدة ، إذ يقول : « وأول من مدَّخْتَهُ من الخلفاء المتقي — رضى الله عنه — خدمته في سنة اثنتين وخمسين وخمسة مائة بقصيدة ، ووليت بعد ذلك الأعمال الجليلة ، وليت بواسط نيابة وزيره عون الله ابن هبيرة » . واستمر يخدم ابن هبيرة على واسط والبصرة حتى توفي سنة ٥٦٠ هـ فاعتقل مع من اعتقل من أنصاره ، يقول في أوائل الخريدة : « ولما توفي الوزير ابن هبيرة اعتقلت في الديوان ببغداد بسبب منابتي عنه في واسط والبصرة ، فمدحت الخليفة (المستنجد) بقصيدة ، أستعطفه بها في شعبان سنة ستين منها :

أعيذكُم أن تغفلوا لأُمُورِهِ وأن تتركوه نُهْبَةً لمغيرِهِ

وما زال يستعطفه حتى فك وثاقه ، فولَّى وجهه نحو الشام وألقى عصا التسيار

(١) انظر في ترجمة العماد معجم باقوت طبع مصر ١١/١٩ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان طبع القاهرة سنة ١٢٧٥ هـ ج ٢ ص ١٠٨ والوفاء بالوفيات للصفدى طبع إستانبول ١٣٢/١ وحسن المحاضرة للسيوطى ١/٣٢٥ وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى نشر مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ج ٤ ص ٢٣٢ والجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لابن الساعى طبع المطبعة السريانية ببغداد ٦١/٩ وطبقات الشافعية للسبكي ٤/٩٧ .

(٢) ولي المناصب العلية للدولة السلجوقية ويقول العماد في أول الخريدة : إن مدائحهم مجلدات ، وإنه ألف الخريدة لإحياء لذكرى مادحيه وشكراً على صنيعهم .

بدمشق سنة ٥٦٢ هـ ، واتصل بالقاضي كمال الدين الشهرزوري مديبر دولة نور الدين ، فوصله بنجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، وكان يعرف عمه العزيز ، فقربه منه ، ولم يلبث أن استخدمه نور الدين في الإنشاء ، ورتبه في أشرف الديوان . وكان ينشئ الرسائل الفارسية أيضا فيجد فيها إجادته بالعربية . وفوّض إليه نور الدين شؤون المدرسة النورية ، التي سميت فيما بعد — نسبة إليه — بالعمادية .

ولما توفى نور الدين وقام ابنه إسماعيل مقامه قفلت الأبواب في وجه العماد ، فرحل إلى العراق ، حتى إذا بلغه أخذ صلاح الدين لدمشق رجع إلى الشام وصلاح الدين على حلب سنة ٥٧٠ هـ ، فمدح وزيره القاضي الفاضل ، فأوصله إلى صلاح الدين ، وفخّم شأنه عنده ، وأشار عليه أن يستكتبه ، فلزم حضرته ، وأفاء عليه صلاح الدين من رعايته . وكان القاضي الفاضل يُنيبه عنه في الكتابة عن صلاح الدين ، حين يضطر إلى الرجوع لمصر لبعض شؤون الدولة والسياسة . ولم يزل العماد حَظِيًّا عند صلاح الدين حتى وافاه القدر سنة ٥٨٩ هـ فلزم بيته بدمشق ، كالزم القاضي الفاضل بيته بالقاهرة ، واشتغل بالتأليف والتصنيف إلى أن توفى في مستهل رمضان سنة ٥٩٧ هـ .

وللعماد مؤلفات كثيرة لم يُنشر منها إلا « الفَيْح القُسي في الفتح القُدسي » . وله كتب أخرى في التاريخ أشار إليها ياقوت وغيره ممن ترجموا له . وأشهر كتبه وأنفسها « خريدة القصر وجريدة العصر » في شعراء عصره والعصر الأقرب منه ، ونراه يقول في مقدمتها : « قد ذكرت أهل عصرى وأهل عصر أبائى وأعمامى » . ومن يقرأ في هذا القسم المصرى الذى نشره من هذا الكتاب يستطيع أن يلاحظ في يسر أن العماد ذكر فيه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٧٣ هـ إلا ما ترجم له عنواً مثل الشريف العقيلي الذى كان يعيش في النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، ولعله لم يعرف عصره .

والخريدة تقع في عشر مجلدات كبيرة ، وقد قسمها العماد أربعة أقسام ،

خصَّ القسم الأول منها بالعراق ، والثاني ببلاد العجم وفارس وخراسان ، والثالث: بالجزيرة والموصل والشام والحجاز واليمن . أما الرابع فخصَّه بمصر وصقلية والمغرب والأندلس ، وافتتحه بمصر وشعرائها ، وعَلَّل ذلك بقوله في أول هذا الجزء : « وأنا مبتدئٌ بالديار المصرية لامتزاجي بأهلها ، وابتهاجي بفضلها ، وحصول مداري في فلَكها ، ووصول مُرادى إلى ملكها » .

ويتضح لكل من يراجع هذا القسم المصرى أن العماد يُطيل في التراجم أحياناً ، ويوجز بإيجازاً شديداً أحياناً أخرى ، حسب المواد التي تنبأ له ، والتي يصنع منها الترجمة . وقد بدأ بمقدمة طويلة أشاد فيها بصلاح الدين وأنشد طائفة من قصائده التي دَبَّجها فيه وفي فتوحاته وانتصاراته . واستهلَّ التراجم بعد ذلك بترجمة القاضي الفاضل وقَصَّر الترجمة ، أو كاد ، على التنويه به وما صاغه فيه من أشعار ، ثم ترجم بعده لمن كانوا يعاونونه في دواوينه ، من مثل المؤتمن بن كاسيوبه ، وابن رفاعة ، وابن سناء الملك ، والأسعد بن مَمَّان . واستطرد إلى بعض شعراء مصر الممتازين في عصره مثل ابن قلاقس ، وطلّاح بن رُزَيْك الوزير الفاطمي المشهور (٤٤٩ — ٥٥٥ هـ) وتلاه بمن كانوا يعاونونه في دواوينه ومن خصَّوه بمدائحهم مثل القاضي الجليس ، والمهذب بن الزبير ، وابن قادوس ، والموفق بن الخلال . ثم أفاض في الحديث عن كل مَنْ عُرِف لمصر من شعراء في القرن السادس سواء في القاهرة ، أو في الإسكندرية ، أو في الصعيد ، أو حتى في المحلة وسَخَا .

وفي العادة يبدأ الترجمة بقطعة مسجوعة ، أكثرها في الثناء على الشاعر وشعره ، وقلما احتوت أخباره ووقائع حياته وأحداثها إلا قليلا وفي التراجم المهمة ، وخاصة تلك التي كانت في عصره أو قريباً منه . وكأما كانت غايته الأساسية أن يجمع أكثر ما يستطيع من نماذج الشاعر وشعره . فالكتاب أو هذا النص إلى أن يكون منتخباتٍ شعريةً أقرب منه إلى أن يكون تاريخاً دقيقاً للشعراء ، ومع

ذلك فهو أهم مصدر تاريخي وأدبي وصل إلينا عن الشعر المصري حتى القرن السادس الهجري .

على أنه ينبغي أن أشير إلى أن العماد في هذه المنتخبات نَحَى عامداً كثيراً من الأشعار التي صاغها الشعراء في مديح الخلفاء الفاطميين ، وخاصة تلك التي تبالغ في مديحهم وتُضفي عليهم صفات إلهية . وقد ساق في هذا الجزء عنفاً قطعة لأبي الحسن الأخفش في مديح الحافظ الخليفة الفاطمي ، وعَلَّق عليها بقوله : « قد أفضى به الفلو إلى الكفر الصريح » . ولم يلبث بعد إنشاده لمض أبياتها أن قال : « واقترعت على هذه أتمودجا لشركه ، وأخرت الباقي من سلكه » . وكنا نأمل أن لا يقتصر ، وأن لا يؤخر ، حتى نعرف مدى تغلغل النحلة الفاطمية في نفوس الشعراء ، وإلى أي حَدِّ استجاب لها المصريون . ولعل نزعة السُّنِّيَّة كان لها أثر في ذلك ، وأيضاً فإن صلاح الدين ، سيده ، قضى على الفاطميين فجري في ركابه ، وأجرى معه في تأليفه إلى نفس الغاية .

وإذا تركنا أسلوب العماد في تأليفه لهذا القسم إلى أسلوبه الكتابي الذي يبدو في فوائح التراجم لا حظنا أن العماد يلتزم فيه السجع وفنونا مختلفة من البديع ، نوه بها صراحة في إحدى رسائله للقاضي الفاضل من هذا الجزء إذ يقول ص ٤٤ : « وهذه الرسالة قد وفيتها حقاً من التجنيس والتطبيق والترصيع والمقابلة والموازنة والتوشيح » . وربما كان التجنيس أهم زخرف عُنى بإشاعته في نثره ، ومن يقرأ في مستهل هذا الجزء الذي نشره وفي ترجمة القاضي الفاضل خاصة يستطيع أن يلاحظ إلى أي حَدِّ كان العماد يُعْتَدُّ في سجعه بواسطة الجناس ، وخاصة حين يعمد إلى رد العجز على الصدر ، كما يقولون ، حتى لتتحوَّل بعض عباراته إلى ما يشبه الرُّقِّي والتأمم .

مصادر العمداء في هذا القسم

من يقرأ في هذا القسم المصرى يستطيع أن يلاحظ في سهولة أن العمداء يعتمدون فيه على مصدرين أساسيين هما : السماع أو الرواية الشفوية عن الشعراء أنفسهم أو عن راوٍ روى عنهم ، والصحف أو الكتابات التي قرأ فيها أشعارهم وهي إما دواوينهم أو مصنّفات عُنيَتْ بهم ، فترجمت لهم .

أما من حيث المصدر الأول ، فإنه يتنوّع نوعين : نوع السماع أو الرواية عن الشعراء أنفسهم على نحو ما نرى في ترجمة ابن سناء الملك والأسعد بن ممتّى وأبيه الخطير . وفي الجزء الثاني من هذا النص طائفة من الشعراء عُنُون لهم العمداء هكذا : « جماعة التقطتهم من الأفواه » وهم خمسة عشر شاعرا أكثرهم لَقِيَهُ بنفسه ، واستنشده طائفة من شعره .

والنوع الثاني من هذا المصدر الأول هو نوع السماع أو الرواية عن راوٍ واحد بينه وبين الشاعر . وكثيرٌ هم الذين أتخفوه بهذه الدرر ، التي سلكها في هذا القسم المصرى ، وعلى رأسهم القاضى الفاضل ، ونجم الدين بن مَصّال ، والقاضى حمزة بن عثمان ، ونصر الفزارى الإسكندرى ، وأحمد بن حيدرة الحسينى ، والشريف إدرىس الإدريسى الحسنى ، وزين الحاج أبو القاسم ، وأبو الذكاء البعلبكي ، وزين الدين بن نجبا الواعظ الدمشقى . فهؤلاء ، وغيرهم كثيرون ، يَرَوِي عنهم في التراجم المختلفة . وهذا هو المصدر الأول للعمداء في هذا القسم المصرى يتنوع على هذا النحو نوعين ، وكذلك الشأن في المصدر الثانى ، فهو إما دواوين الشعراء ، وإما مصنّفات ترجمت لهم أو عرّفت بهم . أما الدواوين فإن العمداء اطلع على طائفة طريفة منها ، وانتخب لهذا القسم في خريدته ما أُعْجِب به فيها من معنى غريب ، أو لفظ رائق ، أو صورة مبتكرة ، أو فكرة مخترعة . وليس من رأى كمن سمع .

ومن الدواوين التي رجع إليها في هذا الجزء الأول ديوان الشريف ابن هبة الله العلوي ، وأبي الفتح بن قادوس ، ومحمد بن هانيء ، وابن الضيف . وسيراه القارىء في الجزء الثاني يرجع إلى دواوين ابن السكيزاني ، وابن النضر الأديب ، وعلى بن عرّام ، وهبة الله بن عرّام . وكل أولئك فقدت دواوينهم ، وهو يُسرف في الاختيار لهم . ولعل هذا يكشف — من بعض الوجوه — عن قيمة هذا النص .

ويلحق بهذا النوع من الدواوين كتابُ « الزهر الباسم من أوصاف أبي القاسم » لابن قلاؤس ، وهو كتاب أُلّفه في أبي القاسم بن حمود زعيم أهل صقلية من المسلمين في عصره ، وضمّنه كثيراً من مدائح فيه ، وقد استقى منه العمد في ترجمة ابن قلاؤس نحو عشرين صحيفة . والكتاب منقود الآن . ويمكن أيضاً أن يلحق بهذا النوع من الدواوين الرُّقع السكيزانية التي ينوّه بها العمد إذ كثيراً ما يقول : « وقع إلى من شعر هذا الشاعر قصيدة بخطه » أو يقول : « أهداني القاضي الفاضل أو غيره كابن ممتّاني مثلاً قصيدة من خط فلان » ، أو يقول : « أهداني فلان قطعة من شعره » ونحو ذلك .

وأما النوع الثاني من هذا المصدر الكتابي ، فهو المصنفات التي رجع فيها إلى التراجم ، وهو أحياناً يكتب بالنقل عن هذا المصدر ، وأحياناً يُضيف إليه الأنواع المختلفة السابقة . ومن أهم المصنفات التي رجع إليها في هذا القسم المصري مُصنّف للقاضي الجليس في شعراء ابن رزّيك الوزير الفاطمي وهو كثيراً ما ينقل منه في هذا الجزء الأول .

وربما كان أهمّ المصنفات المصرية التي رجع إليها في هذا الجزء وفي بقية النص كتابُ « جنان الجنان ورياض الأذهان » للرشيد بن الزبير المتوفى سنة ٥٦٣ هـ وقد أُلّفه ، كما يقول العمد ، سنة ٥٥٨ هـ . وهو أهمّ كتاب ألف عن الشعر

المصرى فى العصر الفاطمى ، ومن يطلع على المغرب لابن سعيد (جزأى الفسطاط والقاهرة) يجده يحتفظ بكثير من تراجمه .

وبجانب الجنان يستعين العماد بكتاب يسمى « المختار فى النظم والنثر لأفاضل أهل العصر » لابن بشرى المهدي ، وهو عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشرى بن شبيب الأزدي . وقد صنف هذا الكتاب ، كما يقول العماد فى الجزء الثانى من هذا القسم ، سنة ٥٦١ هـ .

وليس هذان المصنفان كل ما استعان به العماد فى تراجم هذا القسم المصرى ، فقد استعان أيضاً بالرسالة المصرية لأنى الصلّت أمية بن عبد العزيز المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، ورسالة ثانية لابن جبريحي بن حسن الشاعر ، وهى فى مدائح بنى أسامة سنة ٥٢٥ هـ . وأهمية هاتين الرسالتين أن العماد اطلع منهما على شعراء مصر المهمين فى الربع الأول من القرن السادس . وختم العماد هذا النصّ بجماعة كتب شعريهم قبل نزوله مصر سنة ٥٧٢ هـ . ومن أهم مصادره فىهم مُذَيَّل السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ وهو ذيل على تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب .

ولعل فى هذا ما يدلّ بعض الدلالة على العناية البالغة التى أنفقها العماد راضياً فى تصنيف هذا القسم المصرى . وإنه ليدكرنا فى هذا الصنيع بعمل أهل الحديث فإنهم كانوا يشقون على أنفسهم بالسمع والرواية الشفوية ، فكانوا يطلبون لقاء من يحملون الحديث ومن يروونه عنهم ، قبل أن يطلبوا الكتب والمؤلفات التى صنفت فيه ، وكانوا يذهبون بأنفسهم إلى لقاءهم فى البلدان والأمصار المختلفة ، وارتحلوا فى سبيل هذا اللقاء رحلاتهم المشهورة . وطبق ذلك العماد فى الخريدة وفى هذا القسم المصرى تطبيقاً واسعاً ، فكان يلقى الشعراء المصريين ويسألهم عن أخبارهم وأجود ما صاغوه من شعريهم ، فإن تعذر عليه لقاءهم بسبب وفاتهم روى عن لقيهم وتفقد أخبارهم ، أو عاد إلى دواوينهم والرقع التى خلفوها بخطهم وأحصى أشعارهم . فإن لم تكن لهم دواوين ولا حُفِظَتْ بعض رُقع شعريهم رجع

إلى المصنفات التي رَوَتْ بعضَ أحداثهم ووقائعهم ، وأنشدت بعضَ قصائدهم ومقطوعاتهم . ويكفي أن يعود القارىء لترجمة مثل ترجمة المهذب ابن الزبير فسيجد مصادرها تتوالى على هذا النحو :

نجم الدين بن مَصال — بعض الكتب — جزء من الأمير عز الدين حسام
فيه قصيدة بخط المهذب — الشريف إدريس الحسنى — مُرْهَف بن أسامة —
القاضي حمزة بن عثمان — بعض المصريين — كتاب جنان الجنان .
وبهذه الصورة البديعة صاغ العماد هذا النص صياغة دقيقة تُعدّ مضرب
الأمثال في إحكام التأليف الأدبي وضبطه وإتقانه .

٥

قيمة هذا القسم المصرى

يتميز هذا القسم المصرى النفيس بمجموعتين من القيم ، أما أولاها فقيم ذاتية تصوّرها المنتخبات التي تنخّلها العماد لكل شاعر وما أدّخرت من جمال فنى ، فقد جمَعَ بين دفتى هذا القسم كل ما استطاع من عيون النماذج وفرائدها ، وغرائب الأساليب ونواصعها ، وبدائع الصور ومجائبها ، ولطائف المعانى ودقائقها . وأما ثانيتهما فقيمٌ موضوعية ترجع إلى تمثيل هذا القسم لجوانب الحياتين السياسية والاجتماعية فى مصر أثناء القرن السادس ، وما اضطرب فيه الشعراء من ظروف مادية وروحية .

واللونان من القيم بالغا الخطر فى تاريخنا الأدبى وخاصة إذا عرفنا أن هذا النصّ أول نصّ قيمٍ يُنشر فى تاريخ الشعر المصرى ، وأنه يمثل عصرًا زاهيا من عصوره . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن القرن السادس الهجرى فى مصر هو ربيع الشعر بها ، وحسبُ القارىء أن يعرف أنه ظهر فى النصف الأول من هذا القرن ابنُ قلاقس ، بينما ظهر فى النصف الثانى ابنُ سناء الملك ، غير الأزهار النديّة

الكثيرة التي يفوح شذاها في هذا القسم من مثل ظافر الحداد ، والمهذب بن الزبير ، وطلائع بن رزيك ، والقاضي الجليس ، وابن قادوس ، وابن الكيزاني صوفى العصر الفاطمى .

وأكبر الظن أننى لا أسرف حين أزعج أن هذا القسم المصرى لم يُستفَلَّ استغلالا كاملا في البحث والدرس حتى الآن . قد تكون مصورة دار الكتب المصرية قُرئت ، ولكن قلما يتنبه من يقرأ فيها إلى أنه يقرأ نصا مختلطا مضطربا لا نسق فيه ولا نظام ، وأيضا فإنه ينقص كثيرا من أوله كما بيَّنت . ومن أجل ذلك كنت أذهب إلى أن هذا القسم من الخريدة يُتاح للباحثين في صورة تامة لأول مرة .

ولا ريب في أن نشر النصوص ودراستها أوَّل خطوة ينبغي أن يبدأ بها من يتحدثون عن أدب أمة من الأمم . ولا ريب أيضا في أن هذا النص سيهيئ للباحثين فرصة ذهبية للإجابة على الأسئلة الدائرة في تاريخنا الأدبي ، وهي : هل وجدت شخصية حقيقية لمصر في الشعر العربى ؟ وما مدى انطباع الحياة الخارجية في نماذج شعرائها ؟ وإلى أى حَدٍّ قَلدُوا ؟ وإلى أى حَدٍّ جَدَّدُوا ؟ وهل غلب عليهم التقليد أو غلب عليهم التجديد ؟ .

والجمال لا يتسع الآن للإجابة على هذه الأسئلة ، وسأحاول ذلك في بحث مستقل . وأرى من واجبي قبل أن أختم هذا المدخل أن أشكر أستاذى أحمد أمين بك لمراجعته له ، وما تجشَّم في ذلك من عنتٍ وعناء ، وكذلك أشكر الأستاذ إحسان عباس الجميل معاونته لى فيه .

وإنى لأعترف بأنى بذلت فيه كل ما استطعت غيرَ مُدَخِّرٍ وُسَمًا أو جُهْدًا ، ومع ذلك فقد فاتنى بعض ما كنت أرجو . والله أسأل أن يرزقنى السداد فى القول والإخلاص فى الفكر والعمل ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

سوفى صنيف

القاهرة فى ٢٧ من يوليه سنة ١٩٥١

فهرس المحتويات

صفحة

ج	مقدمة الأستاذ أحمد أمين بك	...
هـ	مدخل الدكتور سوفي ضيف	...
٣١-١	مقدمة العماد الأصغراني	...
	شهداء مصر	
٣٥	١ - القاضي الفاضل	...
٥٤	٢ - ابن كاسبيويه	...
٥٦	٣ - ابن رفاة	...
٦٤	٤ - ابن سناء الملك	...
١٠٠	٥ - الأسعد بن ممتاني	...
١١٣	٦ - والده الخطير بن ممتاني	...
١١٧	٧ - الشريف محمد بن أسعد الجواني	...
١١٩	٨ - والده الشريف أسعد الجواني	...
١٢١	٩ - الشريف ابن هبة الله العاوي	...
١٤٥	١٠ - ابن قلاقس	...
١٦٦	١١ - ابن خلف الأموي	...
١٦٨	١٢ - ابن المنجم	...
١٧٠	١٣ - موسى السخاوي	...
١٧٣	١٤ - طلائع بن رزيك	...
١٨٦	١٥ - ابن قضاة العقيلي	...
١٨٦	١٦ - هبة الله بن كامل	...

فهرس المحتويات

صفحة	
١٨٧	١٧ - ابن الذرورى
١٨٩	١٨ - القاضى الجليس
٢٠٠	١٩ - الرشيد بن الزبير
٢٠٢	٢٠ - ولده على بن الرشيد
٢٠٤	٢١ - المهذب بن الزبير
٢٢٦	٢٢ - أبو الفتح محمود بن اسماعيل (ابن قادوس)
٢٣٥	٢٣ - الموفق بن الخلال
٢٣٧	٢٤ - على بن الحسن
٢٣٨	٢٥ - أبو الحسن الأخفش
٢٤٢	٢٦ - ابن الصياد
٢٤٥	٢٧ - ابن قيصر
٢٤٨	٢٨ - محمد بن هانىء
٢٨٢	٢٩ - ابن جوشن
٢٨٢	٣٠ - الحسن بن الجليس
٢٨٣	٣١ - أبو التقي صالح بن الخلال
٢٨٥	٣٢ - أبو النمر الإسناوى
٢٨٥	٣٣ - ابن الضيف

مقدمة العماد الأصفهاني

القسم الرابع

مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الرابع

من كتاب ضريبة الفهر وجريبة الفهر في ذكر محاسن فضلاء
مصر وأعمالها وبطلان المغرب وإيراد ما لهم من النظم المطرب
والنثر المعجب ، وهو منقسم :

الأول مصر

- وأنا مبتدئ بالديار المصرية لامتناعي بأهلها ، وابتهاجي بفضلها ، وحصول
مدارى فى فلکها ، ووصول مرادى إلى ملكها ، وإطلاعى على فضائلها ،
واضطلاعى بفواضلها ، ودخولى إليها فى خدمة سلطانها ، وخروجى منها بشكر
إحسانها ، ومقامى فيها أتررف على محاسنها ، وأترشف من عذبتها وآسئها ،
وأتملى بمقود جواهرها ، وأتملى من سعود زواهرها ، نازلاً من المولى الأجل
الفاضل فى ظل إفضاله الوافر الوارف ، واصلاً من ذرى المحل الكامل فى ذيل
إقباله الكافى إلى أبهج الرفارف ، حاصلًا من الملك الناصر فى المنى بالملك والنصر ،
حاملًا فى سلطانه الباهر على العدا بالهالك والقهر .
- ومصر سربع الفضلاء ، وسربع النبلاء ، ومطلع البدور ، وموضع
الصدور ، وأهلها أذكىاء أذكىاء^(١) ، يبعد من أقوالهم وأعمالهم العيى والعياء ،
لا سيما فى هذا الزمان المذهب ، والوقت المهذب ، بدولة مولانا الملك الناصر ،

(١) أذكىاء : جمع زكى وهو طاهر النفس .

جامع كلمة الإيمان ، قَامِعَ عِبْدَةَ الصَّلْبَانِ ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام
 والمسلمين ، أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين^(١) ، ففي أيامه
 الزاهرة ، ودولته القاهرة ، أشرقت الأرض بنور ربها ، وهبَّت الأرياح من
 مهبَّتها ، ورُفِعَت معالم العدل والعلم ، وخَضَعَت دعائم الجهل والظلم ، وأُثْبِتَت
 ٥ أمالي الآمال في دفاتر النجاح ، وكُتِبَ أمان الأمانى بمهارة^(٢) الفلاح ، واستدْرَجَ
 جَوْدُ الجود^(٣) ، واستقر طَوْدُ الوجود ، وزُفَّ هَدْيُ^(٤) الهدى على خاطبي النصر ،
 وحُفَّ نَدْيُ النَّدى بطالبي الوفر ، واتضح الحق ، واتضح الباطل ، وعَزَّ العالم وذلة
 الجاهل ، وأفاض الأفاضل في الشكر ، وراض الأمانل قرَّح القرائح في النظم
 والنثر ، وعاد الرجاء مفتوح الرِّتاج ، ممنوح النتائج ، حالى التاج بيواقيت الفوز ،
 ١٠ عَلِيَّ السَّرَّاج في مواقيت العز ، أَرَجَ الآفاق بذائع البدائع ، رَأَجَ الأسواق
 بضائع^(٥) البضائع ، بوجود المولى الفاضل ، وجوده المولى^(٦) إلى الأفاضل ، وكفى
 مصر فخراً سُمُو سناء فضله في ذُرَاهَا ، ودنو جَنَى أفضاله لَدَرَاهَا^(٧) ، فإنه
 ذو الشُّوْدُد الظاهر ، والمَحْتَد الطاهر ، والسلف الكريم ، والشرف الصميم ،
 والعُرْف^(٨) الزكى ، والعُرْف^(٩) الذكى ، والفتوة الراجحة ، والمروءة الناجحة ،

(١) يشير إلى ما كان من نحو صلاح الدين للدولة الفاطمية وجعل مصر في ظل الدولة العباسية .

(٢) مهارق : جمع مهرق ، وهي الصحف ، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب
 عهد وأمان أو كتب دين (الحيوان للجاحظ طبع الحلبي ٧٠/١) وفي الأصل هكذا : بمهاريق
 وهو تحريف .

(٣) استدرج جود الجود : سال غيث الكرم .

(٤) الهدى : العروس .

(٥) الضائع : من ضاع المسك ، أى فاحت رائحته وانتشرت .

(٦) المولى : من أولاه الشيء ، أى أنتم عليه به .

(٧) الجنى : الثمرة ، والقرا : الفلن والسكنف .

(٨) العرف الزكى : المعروف أو الإحسان النامى .

(٩) العرف الذكى : أصله الشذى الساطع ويريد به هنا الصهيرة الأرجة .

والظنّ المحمّر^(١) بالدين ، واليقين المؤزر بالصدق المبين ، والحق المتين ، والبلاغة التي لم يبلغ إلى شأوها قس^(٢) والرأي الذي لم يهتد إلى سننه قيس^(٣) ، والبراعة التي نسخت شريعتهما بالإعجاز شرائع الفصحاء ، وبذخت^(٤) صنعتها بالإحراز بدائع البلغاء .

- وهو الذي رآش نبل^(٥) ننبلى ، وأعاش شخص فضلى ، وأقام جاه أملى بعد المحول ، وأنام عين وجلى عند الدهول ، ونبتت عرش حفظى ، ونبتت غرس حظى ، ونشرنى وقد كاد يطوى اسمى ، وأنشرنى^(٦) وقد كرب يئبلى رسمى ، ورغبتى فى قصد مصر عند توجه مولانا الملك الناصر من دمشق إليها عائداً ، وحقق عندى أنه يكون لى مساعفاً مساعداً ، فسرت فى أول شهر ربيع الأول من دمشق فى الخدمة الناصرية ، ووصلت آخر الشهر إلى القاهرة الصلاحية ، فقابل وفادتى^(٧) بوافر رفاذته^(٨) ، وموافقى بوفى إفادته ، ونوّه بذكرى ، ونبّه على قدرى ، ونظّم أمرى ، واغتمم شكرى ، وخفف ثقلى ، وراذف سهلى وعلى^(٩) . وحين ملكت مادة برّه ، سلكت جادة شكره ، وصار حمدى الحرّ له مستترقاً ، ونفسى المستعبدة لآمالها بنجح آماله قد صادفت عتقاً .

(١) المحمّر : المستور .

(٢) يريد قس بن ساعدة الإيادى خطيب عكاظ فى الجاهلية ، وهو يشتهر بالحكمة والبلاغة .

(٣) يريد أبا على قيس بن عاصم المقرئ التميمى ، وكان سيداً فى قبيلته ، وُلِقَ الإسلام وصحب الرسول فى حياته وعاش بعده زماناً ، وكان يشتهر بالخطابة وحصافة الرأي ، ويروى عن الأحنف زعيم تميم فى البصرة أثناء العصر الأموى أنه قال : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم .

(٤) بذخت : سمت وشرفت ومنه بناء باذخ أى عال مغرق فى الملوك .

(٥) رآش النبل : ألصق به اليريش ليدفعه فى الحرب .

(٦) أنشرنى : أحيانى . (٧) وفادتى : قدومى وورودى .

(٨) رفاذته : أصل الرفاذة أموال كانت تجمعها قريش فى الجاهلية تشتري بها للعجاج طعاماً ، ويريد هنا العهد استكمال صورة الرغد للقاضى الفاضل ، وأنه خصص أموالاً رفاذة للأدباء من مثله .

(٩) النهل : الثرب الأول ، والعمل بتشديد اللام : الثرب الثانى أو الثرب بعد الثرب .

ومما نظمته في طريق مصر قصيدةٌ ذكرت فيها المنازل على ترتيبها /، [٣٤ و]
والشوقَ إلى دمشق وطيبها ، ووصلتها بمدح الملك الناصر ، وتولّى المولى الفاضل
نَعَشَ جَدَّهَا العائر ، وترويحَ حظّها الكاسد ، وسعريها القاصر ، أولها :

هـجرتكمُ لا عن مَلالٍ ولا غَدِرٍ ولكن لمقدورٍ أُتِيحَ من الأمرِ
وما كنتُ أدري أن يُتَاحَ فراقكمُ ومن يعلمُ الأمرَ المقدَّرَ أو يدري؟
وأعلمُ أني مخطئٌ في فراقكم وعذري في ذنبي وذنبِي في عذري
أرى نُوبًا للدهرِ تُحْصَى وما أرى أشدَّ من الهجرانِ في نُوبِ الدهرِ
بعيني إلى لُقيَا سواكمُ غشاوَةٌ وسمعي إلى ^(١)نجوى سواكمُ لَدُووقر^(٢)
وقلبي وصدري فارقاني لِبُعدكمُ فلا صدرَ في قلبي ولا قلبَ في صدري
وَإني على العهدِ الذي تهـمدونهُ وسرى لكمُ سرى ، وجهرى لكمُ جهري
تجرتُ صرفَ الهَمِّ من كَأْسِ شوقكمُ فها أنا في صَحْوَى زريفٍ من السكرِ
وَإِنَّ زمانًا ليس يَعمُرُ موطني بسكناكمُ فيه فليس من العمرِ
وأقسيمٌ لو لم يُقسِمِ البينُ بيننا جوى الهَمِّ ما أمسيتُ مُنْقَسِمَ الفكرِ
أسيرُ إلى مصرٍ وقلبي أسيرُكمُ ومن عَجَبِ أسرى وقلبي في أسرى
أخلاقِي قد شَطَّ المزارُ فأرسِلوا الـ خيالَ وزوروا في الكرى وأرْجُوا أجرِي
تذكرتُ أحبابي بجلِّقٍ بعدما ترحلتُ والمشتاقُ يأنسُ بالذِكرِ
أخلاقِي فقري في التبايُ إليكمُ بحقِّ غناكمُ بالتداني أرْجُوا فقري

(١) رواية كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة طبع مطبعة وادي النيل
بمصر سنة ١٢٨٧ / ١٥٢٦٥ : عن .

(٢) الوقر : النقل في الأذن أو الصمم .

ومنها في وصف المنازل :

ولما قصدنا من دمشق غباغباً^(١) ونزلنا بصحراء الفقيع^(٢) وغودرت^(٣) ونهنت بالفوار^(٤) فور مدامي سرينا إلى الزرقاء^(٥) منها ومن يصب أعادتك يا زرقاء حمراء أدمي وسود هومي سودت بيض أزمي أيا ليل زد ماشت طولاً وظلمة تذكرت حمام القصير^(٦) وأهله

وبتنا من الشوق المض على الجمر فواقع من فيض المدامع في الغدر ففاضت وباحت بالمكتم من سري أوماً^(٥) يسر حتى يرى الورد أويسر •

فقد مزجت زرق الموار بالخمر فيومي بلا نور وليلى بلا فجر فقد أذهبت منك السنا ظلمة المجر وقد جرت بالحمام في البلد القفر

ومنها :

وردنا من الزيتون^(٧) حسمي^(٨) وأيلة^(٩) ولم نسترخ حتى صدرنا إلى صدر^(١٠) غشيناً الفواشي^(١١) وهي يابسة الثرى ورض علينا بالندی ثم^(١٢) الحصى

ومن يرتجى رياً من التمد التزر

- (١) غباغب : قرية في نواحي دمشق بينهما ستة فراسخ .
 (٢) لم نجد لهذه الصحراء ذكراً فيما بين أيدينا من مراجع وواضح من الشعر أنها في الطريق إلى شرق الأردن .
 (٣) الفوار : اسم ماء .
 (٤) الزرقاء : نهر بشرق الأردن . (٥) الأوام : العطش .
 (٦) حمام القصير : القصير فيضة بالقرب من دمشق .
 (٧) الزيتون : جبل بالقدس .
 (٨) حسمي : موضع بين منازل عذرة والعقبة .
 (٩) أيلة : العقبة الآن .
 (١٠) صدر : قلعة في الطريق من العقبة إلى مصر .
 (١١) الفواشي : بعض منازل لعذرة .
 (١٢) التمد : أرض قريبة من مدائن صالح .

فقلت اشرحي بالخمسِ صدرًا مطيبي
 رأينا بها عينَ المواساة أننَّا
 وما جسرتُ عيني على فيضِ عبرة
 وملتُ إلى أرضِ السِّديرِ^(٣) وجنة
 وجبنا الفلأ حتى أتينا^(٥) مباركًا
 ولما بدا الفسطاطُ بشرتُ ناقتي^(٨)
 ولم أنسَ يومَ البينِ بالمرجِ^(٩) نشرنا
 وقد أقبلتُ نغمَ وأتراها كما
 وقفنا وحادينا يحثُّ وناقتي
 وكلُّ بَنانٍ فوقِ سِنِّ لنادِمِ
 ويغفُ فؤادي في مناداةِ شوقهم
 بكتُ أمَّ عمروٍ من وشيكِ ترَحُّلي
 تقولُ إلى مصرٍ تسيرُ ! تعجبًا
 تُبددُ في سهلٍ من العيشِ شَمَلنا
 فقل أيعا عُرْفِ حَدَاكِ على النوى ؟

- (١) عين موسى : عين بواد كثير الزيتون بالقرب من براء .
 (٢) الجسر : مدينة القازم وكانت تقع بالقرب من السويس الآن .
 (٣) السدير : أول ما يليق القادم من الشام إلى مصر من جنات وزروع .
 (٤) الطلح : شجر الموز . والسدر : شجر النبق .
 (٥) رواية الروضتين : أصبنا .
 (٦) بركة الحب : هي الآن قرية في مديرية القليوبية تسمى البركة ، وهي شرقي المرج .
 (٧) القصر : قصر السلطان صلاح الدين وكان قصر الفاطميين قبله .
 (٨) رواية الروضتين : رفقتي .
 (٩) المرج : يريد أحد صروج دمشق وهي القياض حولها .
 (١٠) تزم : ترفع رأسها لهم بالسير .

ومن فارقَ الأحبابَ مستبدلاً بهم
فقلتُ ملاذِي الناصرُ الملكُ الذي
فقلتُ أقمِ لا تَعْدَمِ الخيرِ عندنا
فقلتُ صلاحُ الدينِ ؟ قلتُ هو الذي
ثِقِي بِرِجْوَعِ يَضْمَنُ اللهُ نَجْحَهُ
وإنَّ صلاحَ الدينِ إن راحَ مُعْدِمٌ
نَعَزُّ بِأفضالِ العزيزِ وَفَضَّلِهِ
عطيتهُ قد ضاعَمَتِ مُنَّةَ الرَّجَا
وماذا يحد المدح منه^(٢)] فإنما

سواهم فقد باعَ المراجِعَ بالخسرِ
حصلتُ بِجدواهِ على المَلِكِ والنَّصرِ
فقلتُ وهل تُغني السواقِ عن البحرِ
به صارَ فضلي عالىَ الحِظِّ والقَدْرِ
ولا تَقْنَطِي أن تُبَدِلَ العُسرَ باليسرِ •
إليه غدا من فيضِ نائِلِهِ مُثْرِي
ونَحْسِبُ نفعاً كلَّ ما مَسَّ من ضَرِّ
ومِنَّتِهِ^(١) قد أضعَفَتِ مُنَّةَ الشكرِ
مناقِبُهُ جَلَّتْ عن الحدِّ والخِصرِ

١٠. ولى في الملك الناصر بعد مملكته مصر قصائد موسومة على اسمه ونعته ،
[٣٤ ظ] فمن جملة الموسومات على اسمه قصيدة نظمها^(٣) في سنة خمس / وستين أنفذتها إليه
بمصر ، وهي هذه :

يَرُوقِنِي فِي المَها^(٤) مُهْفَهفَها
ومن قُدُودِ الحِسانِ أَهْيَفَها
ومن عيونِ الظباءِ أَفترَها
ومن خُصُورِ المِلاحِ أَنحَفَها
ما سَقَمِي غَيْرُ سَقَمِ أَعْيِنِها
ثُمَّ شِفاءِي الشِفاءُ أَرشِفَها
يُسْكَرُنِي قَرَقَف^(٥) يَشْعَشِعُها
لِحِظِّ الطَّلَا لا الطَّلَا^(٦) وقرَقَفَها
يا ضَعَفَ قَلْبِي من أَعْيِنِ نُجَلِ
أَقْتَلُها بِالقَلوبِ أَضَعَفُها

- (١) المنة بضم الميم : القوة . والمنة بكسر الميم : النعمة ، ورواية الروضتين : ونعمته .
(٢) في الأصل يراض ، وأكملنا الشطر بما يلائم السياق .
(٣) في الأصل : أولها .
(٤) المها : البقر الوحشي ، ويريد النيهاء على سبيل الاستهارة .
(٥) القرقف : الجمر .
(٦) الطلا : بكسر الطاء الخمر ، وفتحها ولد الطيبة .

ومن عذارٍ كأنه حلقٌ
 ومن حدودٍ حُرٍ موزدةٍ
 في سلبٍ لبي تَلَطَّفْتُ فَأَنِي
 يا مُنكَرًا مِنْ هَوَى بُلَيْتُ بِهِ
 دَعَّ سِرًّا وَجَدِي فَمَا أَبُوْحُ بِهِ
 واصرف كئوسَ الملام عن فِتْنَةٍ
 مِنْ شَرَفٍ (٣) الحب حلَّ في مِهْجٍ
 لا يستطيعُ السَّالُوَ مُعْرَمُهَا
 فالقلبُ في لوعةٍ أَعَالِجَهَا
 كَانَ قَلْبِي وَحَبَّ مَالِكُهُ
 هَذَا بِسَلْبِ الْفَوَادِ يَظْهَنِي
 الْمَلِكُ النَّاصِرُ الَّذِي أَبَدًا
 بَعْدَهُ وَالصَّلَاحِ يَعْمُرُهَا
 وَإِنَّ مِصْرًا بِمَلِكٍ يَوْسُفِهَا
 وَإِنَّهُ فِي السَّمَاخِ حَاتِمُهَا (٤)
 كَمْ آمَلٍ بِالنَّوْدَى يُحَقِّقُهُ
 وَلَيْسَ تُؤَلِّقُ وَعَدَّ عَارِفَةً (٦)
 أَحْكَمَ فِي سَرْدِهِ (١) مُضَعَّفُهَا
 أُذْوَمَهَا لِلْحِيَاءِ أَطْرَفُهَا
 نَحْوَى بِخَطِّ الصَّبَا (٢) مُلَطَّفُهَا
 عِلَاقَةٌ مَا يَكَادُ يَعْرِفُهَا
 وَخَلَّ حَالِي فَلَسْتُ أَكْشِفُهَا
 عَنِ شَرَعَةِ الْحَبِّ لَسْتُ تَصْرِفُهَا
 أَقْبَلُهَا لِلْغَرَامِ أَشْرَفُهَا
 وَلَا يَلِدُ الشِّفَاءَ مُدْنَفُهَا
 وَالْعَيْنُ فِي عِبْرَةٍ أَكْفَفُهَا
 مِصْرٌ وَفِيهَا الْمَلِيكُ يُوسُفُهَا
 وَهُوَ يَقْتُلُ الْأَعْدَاءَ يُنْصِفُهَا
 بَعِزٌّ سُلْطَانُهُ يُشْرَفُهَا
 وَبِالنَّوْدَى وَالْجَمِيلِ يَكْنِفُهَا
 جَنَّةٌ خُلِدَ يَرْوِقُ زُخْرُفُهَا
 وَإِنَّهُ فِي الْوَقَارِ أَحْنَفُهَا (٥)
 وَمُنِيَّةٌ بِالنَّجَاحِ يُسْفِفُهَا
 إِلَّا وَعِنْدَ النَّجَازِ يُضَعْفُهَا

(١) السرد : الحرز في الأديم وهو هنا يشبه العذار بخلق الدرع أحكم خرزها .

(٢) الصبا : الصبوة إلى الحبيب والغرام .

(٣) شرف البناء : أعاليه . وقد عاد يتحدث عن هواه .

(٤) حاتمها : إشارة إلى حاتم طي . جواد العرب المشهور .

(٥) أحنفها : هو الأحنف بن قيس زعيم تميم في الإسلام وأهلها وأحكمها .

(٦) العارفة : الصنعة والمعرفة .

حَكَمَ فِي مَالِهِ الْعَفَاةَ^(١) فَا
وإن شَمَلَ اللَّهُمَّا^(٢) يُفَرِّقُهُ
ذو شرفٍ مكرماته سرفٌ
وعزيمةٍ بالهدى تكفلها
يوسفُ مصرَ التي ملاحِها
كُتِبُ التَّوَارِيخِ لَا يُزَيِّنُهَا
ومن يَمِيرُ^(٤) الْعَفَاةَ فِي سَنَةِ
آيَاتُ دِينِ الْإِلَهِ ظَاهِرَةٌ
يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا تَصَرُّفُهَا
لِمَكْرُمَاتٍ لَهُ يُؤَلِّفُهَا
ويستحقُّ الثناء مُسْرِفُهَا
وهمةٌ للعلى تكلفها
جاءتْ بأوصافِهِ تُعَرِّفُهَا
إِلَّا بِأَوْصَافِهِ^(٣) مُصَنَّفُهَا
أَسْمَانُهَا لِلجُدُوبِ أَعْجَفُهَا
فِيكَ وَبَيْنِي عَلَيْكَ مُصَحَّفُهَا

ومنها أصف اجتهداه وجهاده للفرنج عند نزولهم على دمياط :

١٠ كم جحفلٍ بالعراء ذى لَجَبٍ
كالبحر طامى العُبابِ لَاعِبَةٌ
بموجه للرياح أَعْصَفُهَا
إلى الردى مُسْرَعٌ مُتَّقِفُهَا
حيث بأشلائها تُضَيِّقُهَا
بيآراتِ الطُّبَا تَنْصِفُهَا
١٥ وحطتْ دمياط^(٦) إِذْ أَحَاطَ بِهَا
لَاقَتْ غَوَاةَ الْفَرَنْجِ خَيْبَتِهَا
فَزَادَ مِنْ حَسْرَةٍ تَأَسَّفُهَا

(١) العفاة : طلاب النوال وهي جمع عاف .

(٢) اللهما : جمع لهوة وهي العطية .

(٣) رواية الروضتين ١/١٨٢ : بأيامه .

(٤) يدير : يأتي بالميرة وهي الطعام .

(٥) الصفصف : المستوى من الأرض .

(٦) يشير إلى نزول الفرنج دمياط سنة خمس وستين وخمسة ومقاومة صلاح الدين لهم

حتى رحلوا عنها بعد خمسين يوما ، انظر الروضتين ١/١٨٠ .

فَرَّ فَرِيرِيهَا وَأَزْجَعَهَا نِدَاءَ دَاوِيَّهَا تَهْتَفُهَا^(١)
يُمَطِّرُ مُطْرَانُهَا الْعَذَابَ كَمَا يُرْدَى بِهِدُّ السَّقُوفِ أُسْقِفُهَا
تَكْسِرُ صُلْبَانَهَا وَتَنْكِسُهَا لَقِصْمِ أَصْلَابِهَا وَتَقْصِفُهَا
أوردت^(٢) قَلْبَ الْقُلُوبِ أُرْشِيَّةً مِنْ الْقَنَاءِ لِلدَّمَاءِ تَنْزِفُهَا
وَلَيْتَهَا سَفَكَهَا فَعَامِلُهَا عَامِلُهَا^(٣) وَالسَّنَانُ مُشْرِفُهَا^(٤)
تَعَسَّقَتْ نَحْوَكِ الطَّرِيقِ فَمَا أَجْدَى سِوَى هُلْكِهَا تَعَسَّفُهَا
وَحَسِبَهَا فِي الْعَمَى تَهَافُتُهَا بَلْ لِسَهَامِ الرَّدَى تَهْدِفُهَا
يُمَضَى لَكَ اللَّهُ فِي قِتَالِهِمْ عَزِيمَةٌ لِلجِهَادِ تَرْهِفُهَا
إِنْ أَظَلَمَتْ سُدْفَةٌ^(٥) أَنْزَتْ لَهَا؛ أَبْهَى لِيَالِي الْبَدُورِ مُسْدَفُهَا
بِشَائِرُ الدِّينِ فِي إِزَالَتِهِ مَوَاعِدَ اللَّهِ لَيْسَ يُخْلِفُهَا

ومنها:

أدركت ما أعجزَ الملكَ وقد بات إلى بعضه تشوفُها^(٦)
جاوزت غايات كل منقبة يعز إلا عليك موقفُها
وإن طرقت العلاء واضحة آمنها في السلوك أخوفُها

(١) الداوية : فرقة من فرسان الصليبيين ، وتسمى أيضاً باسم الهيكلين templars وهي جمعية تأسست سنة ١١١٨ م من بضعة أشراف من الفرنسيين الذين صحبوا جودفري إلى القدس ، وكانت جمعية أخوية رهبانية عسكرية . وكذلك الفرنسية جمعية أخوية رهبانية من جماعات الصليبيين ، وهي تطلق على فرق كثيرة .

(٢) القلب : جمع قلب ، وهو البثر . والأرشيبة : الجبال ، جمع رشاء .

(٣) عامل الرمح : صدره ، والعامل : الوالي .

(٤) مشرف الشيء : الذي يعلوه . والمشرف أيضاً : القائم على الأوصاف .

(٥) السدفة : الظلمة .

(٦) التشوف : التناول والتطلع .

صَلَحَ دِينَ الْهَدَى لَقَدْ سَعِدَتْ مَمْلَكَةٌ بِالصَّلَاحِ تَعْرِفُهَا
 عِنْدِي بِشُكْرِ التُّعْمَى ثَمَارُ يَدٍ زَاكِيَةُ الْغَرَسِ أَنْتَ تَقْطَعُهَا
 فَاقْبَلْ نَقُودًا مِنْ الْفَضَائِلِ لَا يُصَابُ إِلَّا لَدَيْكَ مَصْرَفُهَا
 أَصْدَافُ دُرِّي إِلَيْكَ أَحْمَلُهَا وَعَنْ جَمِيعِ الْمُلُوكِ أَصْدَفُهَا^(١)
 إِنْ لَمْ تُصِخْ لِي فَهَذِهِ دُرْرِي لِأَيِّ مَلِكٍ سِوَاكَ أَرْضُفُهَا
 وَهَلْ لَأَمَالِنَا سِوَى مَلِكٍ يَنْقُدُهَا بِرَّهٌ وَيُسَلِّفُهَا^(٢)
 دُنْيَا مِنْ الْفَضْلِ قَدْ خَلَتْ وَبَدَا لِلنَّقْصِ فِي أَهْلِهَا تَعْيِفُهَا^(٣)
 وَكُلُّ سَوْقٍ لِلْفَضْلِ كَاسِدَةٌ بَانَ لِأَعْدَائِهِ تَحْيِفُهَا^(٤)
 وَهَلْ يَرُوجُ الرَّجَاءُ فِي نَفْرٍ كَلَّهُمْ فِي الْعَلَاةِ مُزَيَّفُهَا
 قَدْ عَطَفْتُ لِي فَضَائِلِي وَوَفَّتْ لَكِنْ حَظُوظِي أَعْيَا تَعَطَّفُهَا
 وَفَضْلِي الشَّمْسُ فِي مَطَالِعِهَا لَكِنَّ جَهْلَ الزَّمَانِ يَكْسِفُهَا
 قَدْ أَعْرَبْتُ^(٥) فَيْكَ بِالثَّنَا كَلِمِي وَحَاسِدِي ضَالَّةً^(٦) يُحْرَفُهَا
 أَسَدِي لَنَا شِيرَ كُوهٍ^(٧) عَارِفَةٌ يَوْسُفُ مِنْ بَعْدِهَا سَيَخْلِفُهَا
 أَنْتَ قَمِينٌ بِكُلِّ تَالِدَةٍ إِنَّكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ تُطْرِفُهَا

(١) أصدفها: أصفها، يزيد أنه يخص صلاح الدين بها.

(٢) يسلفها: يعطيها سلفاً وهي عكس ينقدها أي يعطيها توأ.

(٣) تعيفها: من عانت الإبل الماء أي لم تشربه.

(٤) تحيفها: تنقصها من حيثها أي نواحيها.

(٥) أعربت: أفصحت.

(٦) ضلة: من ضل عن الطريق وعن القصد.

(٧) هو أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الذي أرسله نورالدين صاحب الشام إلى مصر حين استنجد به شاور سنة تسع وخمسين وكذلك سنة اثنتين وستين. ولما استغاث العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بنور الدين ضد الصليبيين أرسله إليه واستعصر بمصر وقتل شاور وولى الوزارة للعاضد من بعده سنة أربع وستين ولم تطل مدته فقد توفي بعد شهرين، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين ولم يلبث أن أزاله الخلافة الفاطمية.

/ومنها قصيدة أخرى موسومة باسمه أنفذتها إليه من دمشق إلى مصر في [٣٥ و] شهر صفر سنة سبع وستين ، أولها :

مُتَنِّئِي العِطْفِ أَهْيَفُهُ كَيْفَ لَا يُرْجَى تَعَطُّفُهُ
 زَادَ فِي قَتْلِي تَسْرَعُهُ ثُمَّ فِي وَصَلِي تَوَقُّفُهُ
 ٥ يا ضنِّي جَسْمِي لَقَدْ خَطَفَ القَلْبَ مُضْنَى الخَصْرِ مَحْطَفُهُ (١)
 وَبِنَفْسِي مِنْ أَرَاقِ دَمِي مِنْهُ جَفْنٌ سُلَّ مُرْهَفُهُ
 وَبِلَائِي مِنْ مَقَبَلِهِ وَشَفَائِي حِينَ أَرَشَفُهُ
 وَلِقَلْبِي مَالِكٌ أَبَدًا يَتَلَفَاهُ وَيُتَلَفُهُ
 مِنْ لِمَجُورٍ يَدُومُ عَلَى وَصَلِي مِنْ يَهُوِي تَأَشَّفُهُ
 ١٠ وَمِنْ البَلْوَى تَلَهَّبُهُ وَمِنْ الشُّكْوَى تَلَهَّفُهُ
 وَسَقِيمُ الطَّرْفِ يُسْقِمُهُ وَنَحِيفُ الخَصْرِ يُنْحِفُهُ
 يَتَنَاهَى فِي تَظْلَمِهِ مِنْ حَبِيبٍ لَيْسَ يُنْصِفُهُ
 حَبِذَا لَيْلُ الشَّبَابِ وَقَدْ طَابَ لِلسَّمَارِ مُسَدِّفُهُ (٢)
 وَزَمَانٌ بِالعِرَاقِ لَنَا رَقٌّ لَمَّا رَاقَ زُخْرُفُهُ
 ١٥ حِينَ يُصِيبُنِي مَقْرَطُهُ (٣) وَيُصَافِيُنِي مُهَيِّفُهُ
 وَيُنَاجِيُنِي مَقْرَطُهُ (٤) وَيُنَاجِيُنِي مُشَنَّفُهُ (٥)
 وَيَعَاطِيُنِي المَدَامَ وَقَدْ (٦) لَانَ عِنْدَ الوَصْلِ مَعَطْفُهُ

(١) مخطف الخصر : ضامره .

(٢) مسدفه : مظلمه .

(٣) المقرط : من يلبس القرط ، وهو قباء ذو طاق واحد .

(٤) المقرط : من يتخذ القرط أو ذو القرط .

(٥) المشنف : ذو الشنف وهو القرط .

(٦) في الأصل : « ويعاطيني المدام به » ، وهو تحريف .

كاد يُرديني^(١) تشدده ثم أحياني تلطفه
 ونجى بات يُخِضني بشكاويه وأتحفه
 قال إن الدهر ليس على وفق ما نهوى تصرفه
 وكساد الفضل في زمن رائج فيه مزيقه
 أترى في الناس كلهم من معروف تشوفه ؟
 قلت ما في الدهر غير فتى كل ما قد فات يُخلفه
 إن يسد في الدهر ذو كرم فصالح الدين يؤسفه

ومنها قصيدة مدحته بها في سنة اثنتين وسبعين بمصر وأنا في خدمته ، أولها :

فديتك من ظالم مُنْصِفٍ وناهيك من باخلٍ مُسْعِفٍ^(٢)
 بليتك يُسْقِي سقاي المعضِّ ولكن بسفك دمي تشقني
 وتُخْلِيفُ وعدك لي بالوصالِ حنانيك من واعدٍ مُخْلِيفِ
 وتستحسنُ الغدر طبعًا ومن وقي من ذوى الحسنِ حتى تني !
 أمثلك كلُّ حبيبٍ جفًا ومثلي كلُّ حبيبٍ جفي
 أيا كينَ العطفِ قاسي الفؤادِ بعيشك [بالله^(٣)] لن وأعطفِ
 فما تركَ الوجدُ لي مُسَكَّةً^(٤) ولا مُنَّةً لي لم تَضْعِفِ
 تلافَ فصدك لي مُتَلَفٌ فؤادي من الأسفِ المُتَلَفِ
 وإن كنتَ لا بدَّ لي قاتلاً بما صنعَ الوجدُ بي فاكْتَفِ
 تناهيتَ في قتلتي عامداً فحيثُ انتهيتَ بقتلي قِفِ

(١) يردني : من الردى وهو الهلاك .

(٢) في الروضتين ١/٢٦٩ : مسرف .

(٣) في الأصل : بعيشك لن واعطف ، والشر بهذا تنقصه كلمة ، وقد وضعناها بين حاصرتين للدلالة على أنها مزيدة .

(٤) المسكة : ما يتمسك به .

ثنائِكَ بُرِّيَ فِي رَشْفِهَا وَقَدْ طَالَ سُمِّي وَلَمْ أَرُشِفِ
 أَنْجُو وَمِنْ قَدِّكَ السَّمْهَرِيُّ (١) لِحَيْثِي وَفِي جَفْنِكَ الْمَشْرِفِي (٢)
 أَيَا مُسْرِفًا فِي عَذَابِي اقْتَصِدْ أَعْيُنَكَ مِنْ شَطَطِ الْمُسْرِفِ
 نَحُولِي مِنْ خَصْرِكَ الْفَاحِلِ السَّقِيمِ كَمَا شَقِكَ الْمُدْنِفِ (٣)
 وَمِنْ سَقَمِ لِحْظِكَ ذَلِكَ الْمَرِيضِ شَفَائِي وَأَشْفِي (٤) أَنَا لَوْ شِئِي
 عَلَى خَطْفِ قَلْبِي يَجَلِ الشَّبَاكَ عَقْدُ وَشَاك (٥) فِي مُخْطَفِ (٦)
 أَنَا الْمُسْتَهَامُ بِذَلِكَ الْقَوَامِ وَذَلِكَ الْمَوْشِحِ وَالْمِعْطَفِ
 وَذَلِكَ الْمَقْبَلِ وَالْمَبْسَمِ الْمَفْدَى الْمَقْدَمِ (٧) وَالْقَرَقَفِ
 بِجَدِّكَ مِنْ وَهَجِ شُعْلَةٍ أَحَاطَتْ بِقَلْبِي فَمَا تَنْطَفِي
 فَإِنْ تُخْفِ الْحَاظِكَ الْقَاتِلَاتُ دَمِي فَبِخَدَيْكَ مَا يَخْتَفِي
 غَدَا عَادِلِي عَادِرًا مُذْ رَأَى عِدَارَكَ كَالْقَمَرِ الْأَكْلَفِ
 وَقَالَ أَرَى خَدَّهُ مُرْهَفًا وَلَا عَيْبَ فِي خَصْرِهِ الْمُرْهَفِ
 أَقَايِحِ وَأَسْ وَوَرْدُ لَهَا اجْتِمَاعٌ عَلَى غُصْنِ أَهْيَفِ
 تَرَفَّقُ رَفِيقِي فَلَيْتَ الَّذِي يُعْنَفُ فِي الْحَبِّ لَمْ يَعْزَفِ
 غَرَامٌ عَرَا وَزَمَانٌ عَدَا فَهَلْ ظَالِمٌ مِنْهَا مُنْصِفِي
 زَمَانٌ خَلَا مِنْ جَمِيلٍ فَيَلْسَنَ لَغِيرِ ذَوِي نَقْصِهِ يَصْطَفِي

(١) السمهري : الرمح الصلب منسوب إلى سمهر زوج ردينة ، وكانا متقنين للرمح ، ويقال بل سمهر بلدة بالحشة .

(٢) المشرفي : السيف ينسب إلى مشارف الشام وهي القرى الواقعة على حدود الصحراء هناك .

(٣) المدنف : السقيم من الحب .

(٤) أشفي : من أشفي على الملاك إذا أشرف عليه .

(٥) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وخصريها .

(٦) مخطف : صفة لموصوف أي خصر مخطف وهو الخصر الضامر .

(٧) المقدم : الأحمر المشبع حمرة .

جَنَى ظُلْمَةَ الْفَضْلِ حَظِي الْمُنِيرُ ولولا سنا الشمس لم تُكسِفِ
وياليت دهرى إذا لم يكن بسُؤْلِ يُسِفِ لم يَسِفِ (١)
أَبْلَغُ دَهْرِي قَصْدِي وَقَدْ قَصَدْتُ بِمَصْرَ ذُرَى (٢) يُوسِفِ
وهي قصيدة طويلة تبلغ مائة بيت (٣)، والموسومات بنعته كثيرة، فمنها قصيدة أولها:

لو أن عُذْرِي لَكَ يَا لَاحِ لَاحُ ما كنتُ عن سكرى يَاصِحِ صَاحِ
ومنها قصيدة في التهنية، بكسر عسكر حطب والموصل، بتل (٤) السلطان
يوم الخميس عاشر شوال سنة إحدى وسبعين، أولها:

يَوْمٌ أَهَبَّ صَبَاً (٥) الْمِهْبَاتِ صَبَاحُهُ وروى حديث النصر عنك رَوَاحُهُ (٦)
فَالسَّعْدُ مُشْرِقَةٌ لَنَا آفَاقُهُ والنصرُ بَادِيَةٌ لَنَا أَوْضَاحُهُ (٧)
أَوْفَى عَلَى عُوْدِ الثَّنَاءِ خَطِيبُهُ وشَدَاً عَلَى غُضْنِ الْمَنَى صَدَّاحُهُ (٨)
فَالشَّامُ مُبْتَلَى الثَّرَى مِيمُونُهُ والعَامُ مُنْهَلٌ الْحَيَا (٩) سَحَّاحُهُ

(١) يعسف: يظلم.

(٢) يقال أنا في ذرى فلان أى في ظله وفي نعمة.

(٣) احتفظ كتاب الروضتين بثلاثة أبيات بعد البيت الأخير من هذه الأبيات وهي:

فسر وافتح القدس واسفك به دماء متى تجررها تنطف
وأهد إلى الإبتار البتار وهد السقوف على الأسقف
وخلص من الكفر تلك البلاد يخلصك الله في الموقف

وتنطف في البيت الأول: تسيل، والبتار في البيت الثاني، كقرباب، هو السيف القاطع مثل البتار بتشديد التاء والياء.

(٤) تل السلطان: من أعمال حلب وبينهما خمسة فراسخ.

(٥) الصبا: ريح لينة يذكرها المحبون كثيراً.

(٦) الرواح: العشى أو من الزوال إلى الليل.

(٧) الأوضاح: جمع وضح وهو بياض الصبح.

(٨) الصداح: المنفى.

(٩) الحيا: الغيث.

والحل^(١) زالَ كِبَارِقٍ مُتَهَلِّلٍ لمَّ الشعوبَ بوَمُضِهِ لَمَّاحُهُ^(٢)
 فالحمدُ لله الذي إِفْضَاَهُ حَلُوُ الْجِنَا عَالِي^(٣) السَّنَا وَضَاحُهُ
 عاد العدوُّ بِظُلْمَةٍ مِنْ ظُلْمِهِ / في ليلٍ ويليِّ قد حَبَا مِصْبَاحُهُ
 رَكَدَتْ قَبُولُ^(٤) قَبُولِهِ مِنْ بَعْدِ أَنْ هَبَّتْ غُرُورًا بِالرِّيَاءِ رِيَّاحُهُ

[٣٥ ط]

٥٠ ومنها :

أوفى يريدُ له بِجِسْرٍ جُنُودِهِ رَبُّنَا فَجَرَّتْ خَسِرَةً أَرْبَاحُهُ
 حَمَلَ السِّلَاحَ إِلَى الْقِتَالِ وَمَا دَرَى أَنَّ الَّذِي يَجْنِي عَلَيْهِ سِلَاحُهُ
 وَلَى بِكَسْرِ لا يَرْجَى جَبْرَهُ وَبِقَرَحِ قَلْبٍ لا تُبَلِّ^(٥) جِرَاحُهُ
 وَنَجَا إِلَى حَلْبٍ^(٦) وَمِنْ حَلْبِ الرَّدَى^(٧) دَرٌّ وَفِيهِ نِجَاتُهُ وَقَلَّاحُهُ

١٠٠ ومنها :

إِن أَفْسَدَ الدِّينَ الْعِصَاةُ^(٨) بِجِنْتِهِمْ فَالناصرُ الْمَلِكُ الصِّلاخُ صِلَاحُهُ

ومنها :

فَرِحَ الْعَدُوُّ بِجَمْعِهِ وَلَقَيْتَهُ فَتَحَوَّلَتْ أَحْزَانُهُ أَفْرَاحُهُ
 صَحَّتْ عَلَى ضَرْبِ الْكِمَاةِ كُسُورُهُ^(٩) وَتَكَسَّرَتْ عِنْدَ الطَّعَانِ صِحَّاحُهُ

(١) الحل : الجذب .

(٢) لمّاحه : لمّاعه : من لمّح النجم إذا لمع .

(٣) هكذا في الروضتين ٢٥٥/١ وفي الأصل : على وهو خطأ .

(٤) القبول : بفتح القاف ريح الصبا ، وهي تقابل الدبور يريد المهاد أن ريح

إقبال العدو ركّدت .

(٥) تبل : من البلب بكسر الباء وتشديد اللام وهو الشفاء .

(٦) حلب : مدينة مشهورة في شمال الشام على حدود تركيا .

(٧) الحلب : استخراج ما في الضرع من اللبن والدر .

(٨) في الروضتين : الفلاة .

(٩) الكمي : الشجاع وشاكي السلاح .

وَأَفَى بَسْرَحٍ لِلنَّقَادِ^(١) فَكَانَ فِي
 بَحْرٍ^(٢) دَارِعُو فِرْسَانِهِ
 شَحَنَاوُهُ شَحَنَتْ جَوَارِي فُلُكِهِ
 عَدِمُوا الْفَلَاحَ مِنَ الرِّجَالِ نَجَاءَهُمْ
 فَهَمُّ لِحَرْثٍ لَا لِلْحَرْبِ حِزْبُهُمْ
 قَدْ فَاطَ^(٤) لِمَا فَاضَ جَيْشُكَ جَاشُهُ
 كَمْ سَابِقٍ بَرَدَاهُ يُرْدَى سَابِحٍ
 وَمِنْهَا :

كَمْ عَيْنٍ عَيْنٍ غَوَّرَتْ غَوَّارَهُ^(٥)
 إِنْ أَدَنْتِ بِالنَّتَنِ رِيحُ قَتِيلِهِمْ
 كَمْ مَارِقٍ مِنْ مَأْزِقٍ دَمُهُ عَلَى
 يُضِيئِكَ نَهْدٌ إِنْ سَبَاهُ نَاهِدٌ^(٩)
 وَلِكَ الْكَعُوبُ^(١٠) مَقُومَاتٍ لِلرَّدَى
 وَقَلِيبٍ قَلْبٍ عَوَّرَتْ مَتَّاحَهُ^(٦)
 فَالِنَصْرُ نَفَّاحُ الشَّدَا فَوَّاحَهُ
 مَسَحَ^(٧) الْحِمَامُ مَرَّاقَهُ^(٨) مَسَّاحَهُ
 وَلِدَيْكَ جَدٌّ إِنْ أَبَاهُ مَزَّاحَهُ
 وَهِيَ الْغَدَاةُ كَعَابُهُ وَرَدَّاحَهُ^(١١)

- (١) السرح : المال المشرح أو المرسل من غنم ونحوه ، والنقاد : جمع نقاد وهو راعي جنس من الغنم قبيح الشكل ، والاستمارة واضحة .
 (٢) البحر : الجيش العظيم .
 (٣) القرح : العض بالسلاح ، والقراح : الأرض المخلصة للزرع والفرس .
 (٤) فاط : هلك .
 (٥) العين الأولى بمعنى الينوع والثانية الباصرة ، وغورت : من غار يغور أي ذهبوا بها ، والغوار من الإغارة في الحرب .
 (٦) القليب : البئر ، وغورت : من العوار وهو العيب والحرق في الثوب . والمتاح : جمع مآخ ، وهو الذي يستق من القليب :
 (٧) مسح : مسحة .
 (٨) مرهقه مساحه : يريد سائله يمسح السيف ويندعه ، أولمله يريد أنه يسيل عليه ويلطخه .
 (٩) النهدي : النهوض للعدو والصمود له ، يقول إنك تصمد للعدو على حين تسبيه المرأة الناهد أو الكعاب .
 (١٠) يريد كعوب السيف ، ومقومات : مشهرات .
 (١١) المرأة الرداح : السينة .

رائحُ النجيم^(١) بها صحافُ صفاحكُم
وتجولُ في صهواتِها فرسانكُم
ويروقهُ الخمرُ الحرامُ وعندكُم
ضربُ الطلِّ^(٢) بالمشرقيِّ طلابكُم
عمرُ غدِّ صفيلةٍ^(٣) تحاكمكُم
ملاي وتَمَلُّ كلَّ كأسِ رايحه
وتدورُ في خلواتِه أَقداحُه
وما يراقُ من الدماءِ مُباحُه
وبراحِ مَنْ شربَ الطلَّ طَلاخُه^(٤)
وأصيلُ خدِّ عقيلةٍ تَفَاحُه

ومنها:

لِلَّهِ جَيْشٌ بِالْمُرُوجِ عَرَضَتْهُ
ومن الحديدِ سوابغاً أبدانهُ
وله فوارسُ بالنفوسِ سماحها
روضٌ من الثُّغْرِ البنودُ وخمرها^(٥)
من كلِّ ماضى الحدِّ طَلَّقَ غَمْدَه
قد كان عزمكُ لِلَّهِ مُصَمِّمًا
أَسَدُ العرينِ رجاله ورماحه
ومن المضاءِ عزائمًا أرواحه
أَتَعَادُ بِالْعَرَضِ المصونِ شحاحه
والبيضِ ، يُرْهِى وَرْدُه وَأَقَاحُه
فَتَكَا لِأَعْمَادِ الرقابِ نِكَاحُه
فيهم فلاحٌ كما رأيتَ فَلَاحُه

ومنها:

وَكَأَنِّي بِالسَّاحِلِ الْأَقْصَى وَقَدْ
فَاعْبُرْ إِلَى القومِ الفراتِ لِيَشْرَبُوا
لِتُنْفِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ رَهْنَ الرَّهْأِ^(٦)
ساحَتُ بِيحْرِ^(٧) دَمِ الفَرَنْجَةِ سَاحُه
موتِ الأَجَاجِ^(٨) فَقَدْ طَمًا طَفَّاحُه
عَجَلًا وَيَدْرُكُ لَيْلِهَا إِصْبَاحُه

(١) النجيم : الدم .
(٢) الطلِّ : جمع طلبة وهي أصل العنق .
(٣) الطلاح : ضد الصلاح .
(٤) يريد السيف والرماح .
(٥) البنود : الأعلام .
(٦) رواية الروضتين : بنجر .
(٧) الأجاج : المر .
(٨) الرها : مدينة بالجزيرة كانت أحد مواطن الثقافة الهيلينية قبل الإسلام . وإليها يرجع فضل كبير في نشر هذه الثقافة ببلاد الفرس قديماً ثم بين المسلمين حين امتلكوا الجزيرة .

وابغوا الحِرَّانَ ^(١) الخِلاصَ فِكمِ بِهَا	حِرَّانُ قَلْبِ نَحِوِكُمْ مُنْتَاحُهُ ^(٢)
نَجَّوْا الْبِلَادَ مِنَ الْبِلَاءِ بَعْدَ لِكُمْ	فَالظَّمُ بَادٍ فِي الْجَمِيعِ صُرَاحُهُ ^(٣)
وَاسْتَفْتِحُوا مَا كَانَ مِنْ مُسْتَفْلِقٍ	فِيهَا فَرُبُّكُمْ لَكُمْ فِتَاخُهُ
قُولُوا لِأَهْلِ الدِّينِ قَرُّوا أَعْيُنَا	فَلَقَدْ أَقَامَ عَمُودَهُ سَفَاخُهُ ^(٤)
بِشْرَايَ فَالْإِسْلَامُ مِنْ سُلْطَانِهِ	جَدِيلُ الْفَوَادِ بِنَصْرِهِ مُرْتَاخُهُ
مَلِكٌ يُعِينُ الْمُعْتَفِينَ ^(٥) يَمِينُهُ	وَلِرَاحَةِ الرَّاجِينَ تَبْسُطُ رَاحُهُ
لَمَّا اجْتَدَاهُ ^(٦) مِنَ الرَّجَاءِ رَجَالُهُ	أَوْفَى عَلَى قَطْرِ السَّمَاءِ سَمَاخُهُ
فَأَقْصَدُ بِيَرْحِ الْفَقْرِ رَحْبَ جَنَابِهِ ^(٧)	فِي رَاحِهِ يَوْمَ النَّوَالِ بَرَاخُهُ ^(٨)
مَلِكٌ تَمَلَّكَ ^(٩) جَدَّهُ مِنْ جِدِّهِ	فَالْمَجْدُ مَجْدٌ وَالْمَرَاخُ مِرَاخُهُ ^(١٠)
مَلِكٌ يُحِبُّ الصَّفْحَ عَنْ أَعْدَائِهِ	فَلِذَلِكَ تَصَفَّحَ عَنْ عِدَائِهِ صِفَاخُهُ

ومنها:

لَكَ بَيْتٌ مَجْدٍ لَيْسَ يُدْرِكُ حَدَّهُ	يَعِيَا بَذْرِعَ عُرُوضِهِ مَسَاخُهُ
الْمَلِكُ غَابَ أَتَمُّ أَشْبَالُهُ	وَالدِّينُ رُوحٌ أَتَمُّ أَشْبَاخُهُ
مَا شَرَحَ صُدْرَ الشَّرْعِ إِلَّا مِنْكُمْ	وَلِذَلِكَ مِنْكُمْ لِلْهُدَى إِيْضَاخُهُ

(١) حران : هي المدينة الثانية في الجزيرة التي نضرت منها الثقافة الهيلينية ، إذ كانت هي وأختها الرها مركزين مهمين للسريان . وكانت تغلب المسيحية على الرها بينما تغلب الوثنية على حران وأهلها المعروفين باسم الصائبة .

(٢) ملتاحة : من لاحة العطش : غيره .

(٣) الصراح : الخالص من كل شيء .

(٤) السفاح : السفاك للدماء .

(٥) المعتفون : طلاب النوال .

(٦) اجتدى : طلب الجدوى وهي العطاء .

(٧) برح الفقر : شدته .

(٨) البراح : المتسع من الأبريش .

(٩) الجد : الحظ .

(١٠) المراح الأولى : مكان الرواح وزمانه ، والثانية : من المرح .

فخرًا بنى أيوبَ إنَّ محلكم ضاقت على كلِّ الملوك فساحه
لولا اتساع جنابكم لقددته خضراً ، وفودُ المعتفين وشاحه
أتمَّ ملوك زماننا وسراته^(١) وكرامه وعظامه وفصاحه
/ عطاؤه كبراؤه فضلاؤه ورزانه^(٢) وريصانه وصباحه [٣٦ و]
أقارُه وشموسُه ونجومه وبجارُه وجباله وبطاحه^(٣)
أتمَّ رجالُ الدهرِ بل فرسانه ولذي الخلومِ الطائشاتِ رجاحه
فتَّاكُه نساكُه ضراره نُفاعةُ مناعةُ مناحه
وأبو المظفرِ يوسفُ مطعامه مطعانه مقدامه ججاجه^(٤)
وإذا انتدى في مخنلٍ فحبيبه وإذا غدا في جحفلٍ فوقاحه^(٥)
أسجحت حين ملكت عفوا عنهم^(٦) إنَّ الكريمَ مؤمِّلُ إسجاحه
ومنها قصيدة أخرى أنفذتها إليه من دمشق إلى مصر قبل مملكة
الشام، أولها:

سكرانٌ باللحظِ صاحِ نشوانٌ من غيرِ راحِ
بوجنةِ الوردِ يفتُرُّ عن ثنايا الأقاحِ
وقامةِ النصبِ يهتزُّ في مراحِ المراحِ^(٧)
وعارضِ^(٨) المسكِ مثلِ المساءِ فوقِ الصباحِ
نمَّ العذارُ عليهِ فمَّ فيه اقتضاحِ

- (١) السراة: جمع سرى وهو الرئيس ، وهو جمع نادر لأن فعلا لا يجمع على فعلة .
(٢) رزان : جمع رزين ، ومثلها رصان : جمع رصين .
(٣) البطاح : جمع أبطح ، وهو كل مكان منسع .
(٤) الججاج : السيد .
(٥) الرفاح : الجري .
(٦) في الأصل : أسمعت ، والإسجاح : حسن العفو .
(٧) مراح المراح : مكان السرور .
(٨) العارض : صفحة الحد .

وردُ الحياءَ جَنِيًّا^(١) في ذلك التفاح
 والريقُ كالراحِ شُبَّتْ^(٢) بعذبِ ماءِ قَرَّاحِ^(٢)
 من كأسٍ فيه اغتَباقِي^(٣) مُنَعَّمًا واصطَباحِي^(٣)
 وفي الأمورِ اختَمِي^(٤) على أسمه وأفتِباحِي^(٤)
 أهوى طلوعَ صَبَّاحِي^(٥) على وُجُوهِ صَبَّاحِ^(٥)
 ولثمَ أَحْوَرَ أَحْوَى^(٦) وضمَّ رُودِيَّ^(٦) رَدَّاحِ^(٦)
 وريِّ قَلْبِي الصدى من عناقِ ظَمَى^(٧) الوشاحِ^(٧)
 وفتنتي من عيونِ حورِ مِرَاضِي صَاحِ^(٨)
 يا صاحِ إني نَزيفٌ سَكْرًا وإِنَّكَ صَاحِ^(٨)
 وبرحُ وجدِي مَقِيمٌ فما لَهُ من بَرَّاحِ^(٩)
 دَعْنِي فما أنتَ يومًا مؤاخِذٌ بِجُنَّاحِ^(٩)
 وما أطعتُ غَرَامِي حتى عصيتُ اللِّوَّاحِي^(١٠)^(٧)
 وَفِي الحبيبِ وَتَمَّتْ بوصلهِ أَفْرَاحِي^(١٠)
 وزادَ قِدْحِي^(١١) ودارتِ بِمُنْيَتِي أَقْدَاحِي^(١١)
 أعطى الكؤوسَ مِلاءً على أَكْفِ الملاحِ^(١٢)
 ورضتُ بالصبرِ دَهْرِي وكان صعبَ الجَاحِ^(١٣)
 قد استقرتُ أُمُورِي فيه بِحَسَبِ اقْتِرَاحِي^(١٤)

(١) الجني : على وزن فعيل الناضج .

(٢) الماء القراح : الماء الصافي الخالي من كل شائبة .

(٣) الاغتباق : الشرب بالعتى . والاصطباح : الشرب في الصباح .

(٤) الأحوى : ذو الشفة الحمراء لى السواد ، والأحوى أيضا : الأسود .

(٥) الرود : الشابة الحسنة .

(٦) ظمى الوشاح : ناحل الوشاح .

(٧) اللوائح : جمع لائح وهو اللاتم .

(٨) القدح : السهم .

كما استقرَّ صلاحُ الدنيا بملكِ الصَّلاحِ
 تنيرُ شمسُ مساعيه من سماءِ الصَّبَّاحِ^(١)
 وأمره مستفادٌ من القضاء المتَّاحِ
 ذو المفخرِ المتعالي والنائلِ المُستَاحِ^(٢)
 وللحقيقةِ حامٍ وللدينةِ ماحٍ
 غيثُ الساحةِ طَوْدُ الوقارِ لَيْثُ الكفاحِ
 صدره يجذواه صَدْرِي مُذْ لم يزل في انشراحِ
 من قَدَحِ زَنْدِ الأمانِي به وَقُودُ القِدادِ
 أَمَلْتُهُ لِمَلِي فِلاحَ وَجْهٍ فِلاحِي
 آمأنا بلهأه^(٣) الِ أَجْسامُ بالأرواحِ
 نَدَى كَرِيمٍ حَيٍّ وبأسُ ذَمْرٍ^(٤) وَقَاحِ
 يَفْدِيكَ أَهْلُ اجْتِراءِ على رُكُوبِ اجْتِراحِ^(٥)
 بالمالِ غيرُ كرامٍ بالعِرضِ غيرُ شِجَاحِ
 رأيتَ صونَ المعالي في بذلِ مالٍ مباحِ
 إن طالَ ليلٌ مُلِمٌ وافيتَ بالإصْبَاحِ

(١) رواية هذا البيت في الروضتين ١٨٢/١ هكذا :

تنير شمس أياديه في سماء السباح

ويلاحظ أن كتاب الروضتين ينقل هذا الشعر من كتاب البرق انشائي للعماد ، وهو مما ألفه في أخريات حياته . فيمكن أن يكون قد أصلح هو نفسه هذا البيت حين رواه في البرق كما أصلح غيره مما سبق .

(٢) المستاح : من استمعتنه إذا سألته العطاء .

(٣) اللهى : جمع لهوة وهي العطاء .

(٤) الذمر : الشجاع .

(٥) الاجترّاح : الاكتساب .

ومنها :

مُلِّيتُ^(١) يوسُفُ مُصْرًا^(٢) جِدًّا بغير مِزاح
مُلَكًّا بغير انْتِزاعٍ عِزًّا بغير انْتِزاع
يا من أَياديهِ تُبْدِي بِالْحَصْرِ عِىَّ الفِصَاحِ
وَمَنْ مُرَجِّجِي نَدَاهُ مُبَشِّرُهُ بِالنَّجَاحِ
عدوه في انْتِصَاعٍ وَبِحُدِّهِ في انْتِصَاحِ

ومنها :

صريحٌ مدحى لعليا كَ عن ولاءِ صُراحِ
بِقَيْدِ شُكْرِي عطايا كَ مُطْلَقَاتُ السَّرَاحِ

١٠. ولى فيه قصيدة طائية عند وصوله إلى الشام واتصالى بخدمته^(٣) أحببت
إثباتها في الخريدة ، وإيداعها في الجريدة ، لأجل ذكر أخواتها من نظم شعراء
العصر في الأقاليم^(٤) ، وهى هذه :

عَفَا اللهُ عَنْكُمْ مالكم أيها الرهطُ قسطنتم^(٥) ومن قلب الحب لكم قيسطُ
شَرَطْتُمْ له حفظَ الودادِ وَخَنَنْتُمْ حنانكم^(٦) ما هكذا الودُّ والشَرَطُ

(١) ملئت : تمت .

(٢) في الأصل : مصر .

(٣) نقل صاحب كتاب الروضتين عن البرق الشامى أن العمد قال : إنه نظم هذه القصيدة بتاريخ انصلاح شعبان سنة سبعين وخمسة وصلاح الدين على بعلبك يحاول فتحها . انظر الروضتين ٢٤٧/١ .

(٤) ذكر صاحب الروضتين ما يفسر هذه الجملة إذ يروى عن العمد فى برقه الشامى أنه كان ملازما حينئذ لصلاح الدين . وكان مع صلاح الدين ديوان أسامة بن منقذ لا يفارقه ، وكان معها جماعة بقصيدة طائية له من هذا الوزن والروى . ويقول العمد إن كثيرا من الشعراء المحدثين نظموها على هذا المثال منهم المرى وابن أبى حمينة والأرجاني وملاطى بن رزيك ثم يقول : وقد أوردت جميعها فى كتاب الخريدة . وهذا معنى قوله جئنا لأنه أودع قصيدته فى الجريدة لأجل ذكر أخواتها . والصلة واضحة بين طائفة وملاطية المرى فى صفة .

(٥) قسطنتم : ظلمتم . (٦) فى الروضتين : خيالكم .

جعلتم فؤادَ المستهامِ بكم لكم
 إذا كنتم في القلبِ والدارُ قد نأت
 نوى همُّهُ لما نوى الوجدُ عنده
 وأرقهُ طيفُ طوى^(١) نحوه الدجى
 تشاغلتمُ عنه وثوقاً بوده
 جزعتُ غداةَ الجزعِ^(٢) لما رحلتمُ
 ملكتمُ فأنكرتمُ قديمَ مودتي
 فدتُ مهجتي من لا يدُمُّ لمهجتي
 يريك ابتساماً عن شتيت^(٣) مقبلي
 وما كنت أدري قبل سطوة طرفه
 / وهب أن بالقرطينِ منه معلقٌ
 وأهيفَ للاشفاقِ من ضعفِ خصره
 على قرْبِهِ في الحالينِ مُحسِّدٌ
 بوجنتِهِ نورُ المدامةِ مُشرقٌ
 تزينُ عذارِيهِ كتابةً حُسنِهِ
 فؤادك خالٍ يا خيلِي فلا تلمُ
 يلازمُ قلبي في الهوى القبضُ مثلما
 ملكك حوى الملكَ العقيمِ^(٤) بضبطه

مخطأً فعنه ثقلَ همِّكم حطوا
 فسيانٍ من أحبابه القربُ والشحطُ
 مقياً وشطَّ الصبرُ في جيرة شطوا
 وقد كاد^(٥) جيبُ الليلِ بالصبحِ ينقطعُ^(٦)
 كأنَّ رضاكم عن محبكم سُخطُ
 وأسقطني من بينكم ذلك السقطُ^(٧)
 كأنَّ لم يكن في البين معرفة قطُ
 إذا حاكمتمهُ وهو في الحكمِ مُشتطُ
 كأنَّ نظيمَ الدرِّ ألقه السطُ
 بأنَّ ضعيفاً فاتراً مثله يسطو
 لذنبِ الهوى قلبي فلمْ علقَ القرطُ [٣٦ ظ]
 محلُّ نطاق^(٨) للقلوبِ به ربطُ
 من الثغرِ والشعرِ الأراكةُ والمشطُ
 ومقلته نشوى وفي فيه إسفنتُ^(٩)
 ومن خاله في وجنتيه لها نقطُ
 فؤاداً سباه انخالُ وانخذُ وانلخطُ
 يلازمُ كفَّ الناصرِ الملكِ البسطُ
 كريمٌ وما للمالِ في يده ضبَطُ

(٢) في الأصل : كان .

(٤) الجزع . منعطف الوادى .

(٧) رواية الروضتين : يحل نطافا .

(١) في الاصل : قرى .

(٣) ينعط : ينشق .

(٥) السقط : حيث ينقطع معظم الرمل .

(٦) شتيت مقبل : الثغر الفلج .

(٨) الإسفنت : اسم من أسماء الحجر .

(٩) الملك العقيم : الملك الفذ الذي ليس له مثال .

- ومولى سريرُ الملكِ حفَّ بشخصه
 ملكٌ لنجمِ النججِ من أفقِ عزِّه
 إذا لُمَّتْ أيدي الملوكِ فعنده
 لنومِ الرعايا وادعين سهادُه
 أكفُّ ملوكِ العصرِ لا وكفُّ عندها
 عطايا نقودٍ لا نسايا^(٦) فكلمها^(٧)
 أغرُّ لكفِّ الكفرِ كفُّ بياسِه
 أياديه غرُّ وهي غيرَ مُغَبَّيةٍ
 يحبُّ ضيِّجَ الشاكرين إذا دعوا^(١٢)
 ويَعْبِقُ عَرَفَ العُرْفِ والقِسْطِ عنده
 إلى طوله^(١٧) المعروف طولُ يدِ الرجا
 صنائِعُهُ رِبْطُ^(١٨) الكرامِ وإنها
- كما حفَّ بالإنسان من ناظرٍ وَسَطِ
 سنًا ولطيرِ السَّعْدِ^(١) في وكره قَمَطِ^(٢)
 مدى الدهرِ إجلالاً له تُنْتَمُ البُسْطِ
 إذا وادِعُوا الأملاكِ في نومهم غَطُّوا^(٣)
 وكفُّ المليكِ الناصرِ البحرُ لا الوَقْطِ^(٥)
 تُعَجِّلُ لا وعدُّ هناك ولا قَسْطِ^(٨)
 كما لفقارِ^(٩) الفقْر من جوده وهُطِ^(١٠)
 وإحسانه غَمْرٌ وليس له غَمَطُ
 ويهوى سؤالِ المعتنين إذا أطوا^(١١)
 ونَدُّ الندى لا البان والرندُ والقِسْطِ^(١٦)
 وفي بحرِ جدواه لأماننا غَطُّ
 لوفاً أياديه المصانعُ والرِبْطِ^(١٩)

(١) في الأصل : من .

(٢) القمط : ما يشد به وكر الطائر من أعشاب وما يلف حول الطفل من ثياب ،
 وسيأتي في هذه القصيدة .

(٣) غط في النوم : غلب عايه وأغرقت فيه .

(٤) الوكف : الغيث والمطر .

(٥) الوقط : الحفرة في الجبال أو في الصخر تجتمع فيها المياه .

(٦) نسايا : جمع نديثة وهي البيع المؤجل .

(٧) في الأصل : وكلمها . (٨) القسط : الظلم .

(٩) الفقار : جمع فقرة وهي ما انتضد من عظام الظهر .

(١٠) الهط : الكسر والوطء .

(١١) أط : صاح . (١٢) القسط هنا : الرزق والتصيب .

(١٣) ند الندى : مسك ، أوطيب ، الكرم .

(١٤) البان : شجر .

(١٥) في الأصل : الرنط وهو خطأ ، والرند : شجر طيب الرائحة .

(١٦) القسط : عود هندي . (١٧) الطول : الفضل .

(١٨) ربط : جمع رباط وهو ما يربط به .

(١٩) المصانع : المباني من الحصون ، والربط هنا : جمع رباط وهو الثغر الذي يربط فيه الجيش .

- يَمُرُّ وَيَجْلُو حَالَةَ السَّخَطِ وَالرِّضَا
 مِنْ الْقَوْمِ تَلْقَاهُمْ عَنِ النَّكَرِ إِنْ دُعُوا
 هُمْ رَضَعُوا دَرَّ الْحَجِيِّ فِي مُهَوِّدِهِمْ
 يَصِيبُونَ فِيمَا يَقْصِدُونَ فِكْمَ رَمَوْا
 مَتَى يَقْدِرُوا يَعْفُوا وَإِنْ يَعْذِرُوا يَعْفُوا
 يَصِيبُ الَّذِي يَصْبُو^(٢) إِلَى قَصْدٍ بِأَهْمِهِ
 وَمَا أَسْعَدَ الْمَلِكَ الَّذِي نَحَوَّ بِأَبِهِ
 وَمَارَوْضَةٌ غِنَاءٌ حُسْنًا كَأَنَّهَا
 إِذَا قَادَنِي لِلزَّرْجِسِ النَّضْرِ نَاطِرُهُ
 وَلِلوَرْدِ خَدَّ الْحَيَاءِ مُورَدُهُ
 تَلَوَّحُ بِهِ الْأَشْجَارُ صَفًّا كَأَنَّهَا
 تَغْنَى عَلَى أَعْوَادِهَا الْوَرَقُ مِثْلَمَا
 كَانَ سَقِيطًا^(٨) الْطَلَّ عِبْرَةٌ مُغْرَمٌ
 تَرَى لِمُحَيَّا الشَّمْسِ مِنْ هَامِرِ الْحَيَا
 بَازِكِي وَأَذَكِي مِنْكَ حُسْنًا وَإِنَّمَا
 لَكَ الصَّدْرُ وَالْبَاعُ الرَّحِيانُ فِي الْعَلَا
- فَنَجِيَّتِهِ دَأْبٌ وَنَقِيَّتَهُ فَرَطٌ^(١)
 بَطَاءً وَإِنْ يُدْعَوْنَ إِلَى الْعُرْفِ لَا يُبْطُوا
 أَمَا جَدُّ وَانضَمَّتْ عَلَى السُّودِ الْقُمُطُ
 بِسَهْمِ الثَّرَاءِ الْمَلَقِينَ فَلَمْ يُحْطُوا
 وَإِنْ يَبْذُلُوا يُغْنَوْنَ وَإِنْ يَسْأَلُوا يُعْطُوا
 وَفِي غَيْرِ هَذَا الْقَصْدِ يُخْطِي الَّذِي يُخْطُو
 مَطَايَا بِأَبْنَاءِ الرَّجَاءِ غَدَتِ تَمْطُو^(٣)
 لَوَارِفِهَا^(٤) مِنْ نَسْجِ نَوَارِهَا مِرْطٌ^(٥)
 تَلَاهُ عَزَّازٌ لِلْبَنْفَسِجِ مَحْطٌ
 وَلِلْبَانِ قَدَّ جِيْدُهُ أَبَدًا يَعْطُو^(٦)
 سَطُورُ كِتَابٍ وَالغَدِيرُ لَهَا كَشْطُ
 يَرْتَلُّ لِلتَّوْرَةِ أَلْحَانَهَا سِبْطٌ^(٧)
 وَبَارِقَهُ مِنْ نَارِ لَوْعَتِهِ سِقْطٌ^(٩)
 لثَامَ حِيَاءٍ دُونَهُ لَيْسَ يَنْحَطُّ
 بِحَسْنَاكَ لَا بِالرُّوْضِ لِلْعَائِدِ الْغَبْطُ
 وَذَلِكَ الْحَيَا الطَّلُقُ وَالْأَنْمَلُ السُّبْطُ^(١٠)

- (١) فرط : إفراط .
 (٢) يصبو : ينظر .
 (٣) تَمْطُو : من المَطْو وهو المند في السير .
 (٤) في الأصل : نوازها .
 (٥) المرط : لآزار من خز خاص بالنساء .
 (٦) يعطو : يريد أنه قريب يتناول .
 (٧) السبط : القبيلة من اليهود .
 (٨) السقيط . الباقط .
 (٩) السقط : الشرار الذي يسقط من الزنيدن عند إرثائها .
 (١٠) السبط : ضد الجمود ، والأعل السبط كناية عن السخاء .

لراحيكم ماء البشاشة والندي جميعاً وعظ الحاحد النار والنظ
 غنا لك طوعاً نيل مصر ووجلة العراق ودان الغرب والعجم والقبط
 ولنيل شط ينتهي سببه به ونيلك^(١) لاراحين نيل ولا شط
 وعفوك ورذ والجناة جناته وييضك^(٢) شوك في العداة لها خرط^(٣)
 فداوك ممد المطال محجب وحاجبه للكبر والعجب ممتط^(٤)
 فداوك قوم في الندي وفي الندي وجوههم سهم^(٥) وأسهمهم مرط^(٦)
 لتبك دماً عين العدو فقد جرى على الأرض من أوداجه دمه العبط^(٧)
 ومنها :

منعت حمى الإسلام للنصر معطياً غداة عوت من دونه الأذوب المعط^(٨)
 وصلت وكم فرجت عنا ملية بسهم الرزايا في الكرام لها لهط^(٩)
 بعودك عاد الحق واتضح الهدى وهب نسيم النصر وانفراج الضغط
 وأنت أجزت الشام من شوئم جاره ولم يكف رهط الكفر حتى بغى رهط^(١٠)
 أجزت وقد جاورا وادنت وقد عدوا^(١١) وصلت وقد خاروا ولنت وقد لظوا^(١٢)
 فلا يعيا المولى بمن مله جاشه هوى وبقوم حشو جيشهم رط^(١٣)
 كثير تعدد قليل غناؤهم وهم— لا أصابوا رشم— همل رهط^(١٤)

- (١) النيل : العطاء .
 (٢) خراط : تزع وصرع .
 (٣) سهم : عابسة .
 (٤) الدم العبط : الذي لا يزال سائلاً .
 (٥) المعط : الجرد التي لا شعر لها . (٦) لوط : رمى وضرب .
 (٧) يريد الخارجين على صلاح الدين في الشام وبلاد الموصل والجزيرة .
 (٨) عدوا : من العدوان وفي الأصل عدا . (٩) لظوا . جعدوا .
 (١٠) الرط : قبيل من الهند .

عَدَلْتَ فَلَا ظِلْمَ وَطُلْتَ (١) فَلَا مَدَى (٢)
 فَيَزِيْزُ مَكَانَ الْمُخَالَصِينَ فَإِنَّمَا أَلْ
 وَقَرَّبَ وَلِيًّا صَحَّ فِيكَ ضَمِيرُهُ
 / نَبَا بِي مَقَامَ الْجَاهِلِينَ فَعَفَّتُهُ
 هُمْ مَنَعُوا رِفْدِي قَبُولٍ وَنَائِلٍ
 وَكَمْ مُطْمَعٍ فِي خَيْرِهِ بِشَرِّ وَجْهِهِ
 لِأَبْدَى بِلَا عِذْرِ حِظْوِظَ فِضَائِلِي
 وَجِئْتِكَ أَلْقَى الْعِزَّ عِنْدَكَ مُنْقِيًّا
 أَعَزَّنِي جَمِيلاً وَأَصْطَنَعَنِي وَأَصْفَى لِي
 أَعْنَى فَعِينٍ (١٠) الْفَضْلِ عَانٍ (١١) مُقَيَّدٌ
 وَأَوْعِزُّ بِتَشْرِيْفِي وَرَسْمِي فَإِنَّهُ
 إِالَمَ زَمَانِي لَا يَزَالُ مُسَاطَّطًا
 سَعَتْ نَحْوَكُمْ مِنِّي مَطَايِبًا مُطَالِبٍ

وَقُلْتَ فَلَا مَيِّنٌ وَجُدْتَ فَلَا حَقْطُ
 أَعَادَى أَنْاسٍ فِي رِءُوسِهِمْ خَلْطُ
 وَلَا يَأْمِنُ التَّمْسَاحَ مَنْ دَابَّهُ السَّرْطُ (٣)
 وَقَدْ نَضْنَضْتَ (٤) لِلنَّهْشِ حَيَاتُهُ الرُّقْطُ [٣٧ و]
 وَذَا وَشَلُّ بَرَضٍ (٥) وَذَا أُكْلُ حَخْطٍ (٦)
 وَمَشْتَمَلٍ مِنْهُ عَلَى شَرِّهِ الْإِبْطُ (٧)
 نَفَارُ الْعَدَارِي مِنْ عِدَارِي بِهِ وَخَطُ (٨)
 قَلَانِدَ الْأَسْمَاعِ مِنْ دُرِّهَا لَقَطُ
 جَمِيْلَكَ حَتَّى يَشْمَتَ الْحَاسِدُ الْمِلَاطُ (٩)
 بِعُقْلَةٍ حَرْمَانٍ نَدَاكَ لَهَا نَشْطُ
 لِحْدِي جِزَالًا قَدْ تَقَدَّمَهُ الشَّرْطُ
 عَلَى نَابِيهِ مِنْ أَهْلِهِ نَابُهُ السَّلْطُ (١٢)
 لِأَنْسَعِيهَا (١٣) فِي النَّجْحِ عِنْدَكُمْ مَغْطُ (١٤)

(١) طلت : تفضت وأنعمت .

(٢) يريد أنه ليس له مدى في تفضله يقف عنده ، وربما كانت محرفة عن كلمة أذى .

(٣) السرط : البلع .

(٤) نضضت الحيات : حركت ألسنتها .

(٥) الوشل البرض : الماء القليل .

(٦) الأكل الخط : الذي فيه طعم من مرارة .

(٧) الإبط : باطن المنسكب ، يريد العهاد أنه يبض النسر ، وقد استخدم هذه الكناية

من قصة تأبط شرا الشاعر الجاهلي ، وهي قصة مشهورة .

(٨) الخيط : الشيب .

(٩) الملط : الخيبت .

(١٠) عين : ذات .

(١١) عان : أسير .

(١٢) السلط : الشديد .

(١٣) الأنسع : جمع نسع وهو سير عريض تشد به الرحال .

(١٤) المغط : الإغراق والجري والامتداد أيضا .

فَدُمُّ ظَافِرًا أَبَا الْمُظْفَرِ بِالْعِدَى حَلِيفَ قَبُولٍ لَا يَكُونُ لَهَا حَبْطٌ^(١)
 بَقِيَتْ وَلَا زَالَتْ عِدَاكَ مُفِيدَةً سَعُودًا وَلَا تُحْسِنُ صَعُودًا وَلَا هَبْطَ
 وَلَوْ كُنْتَ جَارًا لِلْعَرِيِّ لَمْ يَقُلْ لِمَنْ جِيرَةٌ سِيمُوا النَّوَالَ فَلَمْ يَنْطُوا^(٢)
 وَمَدَامُحَ كَثِيرَةٌ ، وَمَنَايْحُهُ^(٣) غَزِيرَةٌ ، وَلَيْسَ شَرْطُ هَذَا الْكِتَابِ ، بَسْطَ

هذا الباب ؛ فاقصرت على ما أورده ، وحصرت ما أفردته ؛ فإن ملته
 أو أسقطته ، فاستعمل ما استطبته ، واستحل ما أحببته ؛ واستجلب سناه ، وتحلَّ
 عما سواه ؛ ففعل غيرك يستمري ما تستمره ، ويعرف بفهمه الثاقب وفكره
 الصائب ما تنكره ؛ فقف حيث ينتهي إليه فكرك ، وطُفْ حول ما يشتمل
 عليه زَكَاةً^(٤) ، نَبَهُ ذَكَرَكَ وَوَجَّهَهُ قَدْرَكَ .

- ١٠ وأنا الآن موفِّ حق هذا القسم الرابع ، بذكر ما أثبتته من البدائع ، ومورد
 كلِّ ما يهتزله عطف السامع ، ويتنزه فيه طَرْفُ الراجع ، . فانظّم من دُرِّ ما شئت
 ولا تُلِمَّ ببحره إن خشيت ؛ فإن دُرَّ البحر يجلبه من يلازم القَوْصَ ، ودُرَّ الفكر
 يجلبه من يداوم الفحص .

(١) الحبط : الإحباط والإبطال .

(٢) يشير هنا إلى قصيدة المرعي الطائية التي عارضها ، وقد استشهد بأول شطر فيها ،
 نغم به طائيته . والمرعي في شطره يستفهم عن قوم طلب إليهم النوال والعطاء فلم ينطوا ،
 والإنطاء : العطاء بلغة أهل اليمن .

(٣) المنايح : جمع منيحة وهي المنحة أو العطية .

(٤) الزكن : الفهم وفي الأصل : ذكرك .

شعراء مصر

[شعراء مصر]

وقبل شروعي في ذكر أعيان مصر وأحاسنها ، ومزايا فضائلها ومزاينها ،
أقدم ذكر مَنْ جميع أفاضل الدهر ، وأمائل العصر ، كالقطرة [في ^(١)] تيار
بحره ، بل كالذرة في أنوار فجره ، وهو :

١ - المولى الأجل الفاضل الفاضل * الأهمر

أبو علي عبد الرحيم بن الفاضل الأُسرف أبي المجد على بن الحسن بن

الحسن بن أحمد بن اليساني

صاحب القران ، العديم الأقران ، وواحد الزمان ، العظيم الشان ، رب
القلم والبيان ، واللّسن واللسان ، والقريحة الوقادة ، والبصيرة النقادة ، والبديهة
المعجزة ، والبديعة المطرزة ، والفضل الذي ما سُمِع في الأوائل بمن لوعاش في زمانه

(١) ساقطة من الأصل .

(*) أشهر كتاب مصر في العصور الوسطى . ولد في عسقلان وكان أبوه يلي قضاء بيسان
في فلسطين فنسب إليها ، وقد أرسله إلى ديوان الإنشاء في القاهرة أواخر العصر الفاطمي ،
فتخرج فيه لمعهد المحافظ (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ) وكانت رئاسته حينئذ إلى الموفق بن الخلال
وابن قادوس . ولما ظهر نبوغه اتخذ ابن حديد قاضي الإسكندرية كاتباً له ، ثم تركه إلى ديوان
مصر في عهد الظاهر (٥٤٤ - ٥٤٩ هـ) فأزال يعمل به حتى وفد إلى مصر أسد الدين
شريكوه ، فاختره كاتباً له ، ولما توفى لحق بصلاح الدين وأصبح وزيره ومستشاره ، وما زال
يرعاه صلاح الدين حتى آخر حياته ، وقد لزم بعده بيته وتوفى سنة ٥٩٦ هـ . وله ديوان رسائل
كبير وديوان شعر لما يطبع . انظر ترجمته في ابن خلكان طبعة ديسلان ٣٩٧/١ وشذرات
الذهب ٣٢٥/٤ ومسالك الأبيار (مصورة دار الكتب المصرية) المجلد الثاني من الجزء السابع
الورقة ٢٧٨ . وطبقات الشافعية للسبكي ٢٥٣/٤ والوشى المرقوم في حل المنظوم لابن الأثير طبع
مطبعة الفنون ص ٩ .

لتعلق بغيره ، أو جرى في مضماره . فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع
ورسخت بها الصنائع ، يبتدع الأفكار ، ويفترع الأبدكار ، ويطلع الأنوار ،
ويبدع الأزهار . وهو ضابط الملك بآرائه ، ورباط السلك بآلائه ، إن شاء أنشأ
في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو دُونَ لكان لأهل الصناعة خير بضاعة .
• أين قسُّ عند فصاحته وأين قيسُ في مقام حصافته ، ومن حاتمٌ وعمرو في سماحته
وحماسته . فضله بالإفضال حال^(١) ، ونجم قبوله في أفق الإقبال عالٍ ، لا منَّ
في فعله ، ولا مَينَ في قوله ، ولا خُلفَ في وعده ولا بَطْءَ^(٢) في رِفْده . الصادق
الشَّيمُ ، السابق بالكرم ، ذو الوفاء والمرورة ، والصفاء والفتوة ، والتقى والصلاح
والندى والسماح . مُنْشَرٌ^(٣) رُفَاتِ العلم وناشِرُ راياته ، وجالي غَيَابَاتِ^(٤)
الفضل وتالي آياته . وهو من أولياء الله الذين خُصُّوا بكرامته ، وأخلصوا لولايته ،
قد وفقه الله للخير كله . وفضل هذا العصر على الأعصار السالفة بفضلِه ونبلِه ؛
فهو مع ما يتولاه من أشغال المملكة الشاغلة ، ومهامه المستغرقة في العاجلة ، لا يغفل
عن الآجلة ، ولا يفترعن المواظبة على نوافل صلاته ، وحفظ أوراده ووظائفه ،
وبث أصفاده^(٥) وعوارفه ، ويحتم كلَّ يوم ختمةً من القرآن المجيد ، ويضيف
إليه ما شاء من المزيد . / وأنا أوتر أن أفرد^(٦) بنظمه ونثره كتاباً فإنني أغار [٣٧ ط]
• من ذكره مع الذين هم كالمسها^(٧) في فلك شمسِه وذُ كائِه ، وكالثرى عند ثريَّتا علمه
وذُ كائِه ؛ فإنما تبدو النجوم إذا لم تُبدِ الشمسُ حاجبها ، ولا حجب نورُ
الغزاة عند إشراقها كواكبها ؛ ولأنه لا يُؤثرُ أيضاً إثبات ذلك ، فأنا متمثلٌ
لأمره المطاع ملتزم له قانون الاتباع ؛ واضعُ أُذُنِي لِإِذْنِهِ ، قابضُ يَمِينِي عَلَى

(١) حال : من الحلى وهو ما تترين به المرأة .

(٢) في الأصل : بطو . (٣) منشور : هي وباعت .

(٤) غيابات كل شيء : ما مشترك منه . (٥) الأصفاد : جمع صفة وهو العطاء .

(٦) في الأصل : أفرط . (٧) السها : نجم خفي من بنات نعش الصغرى .

يُمنه ، راكنٌ بأبلى إلى ركنه ، قاطنٌ برجائي في ظلِّ مننه^(١) ، أقترضُ رضاه ،
ولا أحكم على ما يحكم به ويراه ، ولا أقومُ إلا حيث يُقيمني ، ولا أسوم^(٢) إلا
ما يسومني ، ولا أعرف يداً ملكتني غيرَ يده ، ولا أتصدى إلا ما جعلني
بصدده ، وأسألُ الله التوفيقَ للثبات على هذا السننِ وانتهاجِ جَدِّهِ .

- وهو أحق ممدوحىً بمدحى ، وأقضاهم لحقه ، وأسماهم في أفعه ، وأولام
بصدقه ، وأهداهم إلى طرُقه ، ولى فيه مدائحُ منظومةٌ ومنشورة ، ومقاصدُ
معاهدها بفضلِه معمورة ، وقصائدُ قلائدها على مجده موفورة . فمن ذلك من
قصيدة كتبتُ بها إليه عند وصوله إلى الشام في الخدمة الملكية الناصرية سنة
سبعين واتصالي به :

- ١٠ قد أهدى الإبراه في الإيفاض^(٣) لي مذفاض لي بالرحب^(٤) ببحر الفاضل
قد عاض لي ملقاءً من فقرى غنى ما زال صرفُ الدهر منه عاضلي^(٥)
كم من منى ضلت وعاودت الهدى بلقائه حتى غلبتُ مناضلي
عاينت طودَ سكينته ورأيت شمسَ فضيلةٍ ووردت ببحر فواضل
ولقيت^(٦) سحبان^(٧) البلاغة ساحبًا بيانه ثوبَ الفخار لوائل
أبصرتُ قسًا في الفصاحة معجزًا فعرفتُ أنى في فهابةٍ باقل^(٨)
حلفُ الفصاحة والحصافة والسماحة والحجاسة والتقى والنائل

(١) المن هنا : من من عليه إذا أنعم .

(٢) أسوم : أصلها من المساومة في البيع ، وهو يريد أنه لا يمضى إلا عن إرادته .

(٣) الإيفاض : من أوفض له : بسط له بساطاً وأكرمه .

(٤) بالرحب : يريد بالترحيب . (٥) عاضل : ما نعى .

(٦) رواية الروضتين ٢٥١/١ : ورأيت .

(٧) سحبان : بليغ عربي من وائل يعرّب به المثل .

(٨) باقل : رجل يضرب به المثل في السعي .

بجرّ من الفضلِ الغزيرِ خِصْمُهُ طامى العُبابِ وما لهُ من ساحلِ

ومنها :

في كفه قلمٌ يُعجِّلُ جَرِيَهُ
يَجْرِي وَلَا جَرِيَّ الحسامِ إِذَا مَضَى (١)
نابَتْ كِتابَتُهُ مَنابَ كِتابَةِ
كَم جادِ إِسعافاً لِعافِيهِ وَكَم
بِراءِهِ أَبداً يُراعى عَالِمٌ
فَعَدُوُّهُ فِي عَدُوِّهِ ، وَوَلِيُّهُ
رِيانٌ من ماءِ التقي ، صادٍ إِلى
غَطَّتْ فَضيلَتُهُ نقيصَةَ دهرِنا
كفَلتُ كِفايَتَهُ بِكلِّ فَضيلَةٍ
أَكْرَمَ بِهِ من خِذَنِ إِفضالِ وَذِي
ماحِلٍّ في بَلَدٍ فَكانَ مَحَلَّهُ
فَفداهُ حَزْمِكَ كُلُّ غاشٍ (٤) غاشِمٍ
يا أَوْحَدَ العَصْرِ الَّذِي بَرَزَ (٥) الْوَرى
يا أَفْضَلَ الفِصحاءِ بلِ يا أَفْصَحَ الْبُلْغاءِ مُنْفرداً بِغَيْرِ مُساجِلِ
يا حاليّاً بِالْفِضْلِ حَلٌّ تَفْضِلاً مَنِ بِجَدِّكَ جَيِّدَ حَظٍّ عاظِلِ

(١) في الروضتين : جرى .

(٢) هكذا في الروضتين ، وفي الأصل : هو .

(٣) في الأصل : مروض .

(٤) الغاشي : من غشبه إذا أتاه أو ورد عليه .

(٥) هكذا في الروضتين ، وفي الأصل : مد ، وهو تحريف .

(٦) في الروضتين : مشابه ، والمعنى واحد .

كم ناقصٍ إداره قد ردّني لكنّا إقبالُ فضلكَ قابلِ
 قد كان هذا الشامُ لولا أتمُّ روعَ المقيمِ به وروحَ الراحلِ
 كيف السبيلُ إلى نجاحِ مقاصدي ومحاسني - وهي العيوبُ - وسائلي
 مالي وجاهَ الجاهلين فأغني عنهم كُفَيْتَهُمْ وَجُدْ بِالْجَاهِ لِي
 جُدْ لِي بِمَنْتِكَ الضعيفةُ منّي عنها وَأَنْقِلْ مِنْ جَمِيكَ كَاهِلِي
 أرجوكَ معتنياً لدى السلطانِ بي كَرَمًا فَتُكَّ بَعْتَنِي بِأَمَانِي
 تُوفِي وَلِيكَ دِينَ مَجْدِ عَاقِهِ لِي الْوَعْدِ مِنَ الزَّمَانِ الْمَاطِلِ
 قَرَّرْ لِي الشَّغْلَ الْمُنْخَلَّ مُخْلِياً بَالِي مِنْ الْهَمِّ الْمَقِيمِ الشَّاعِلِ
 لازلتَ غيثَ مكارمٍ وبقيتَ غَوًّا ثَأْكَارِمٍ وَسَلْتَ لَهْفَ أَفَاضِلِ

١٠ ومدحته بمصر وذلك في شهر رمضان من سنة اثنتين وسبعين

بقصيدة أولها :

بِحَيَاتِكُمْ مَا عِنْدَكُمْ بَعْدِي فَسَوَى الْأَسَى مَا بَعْدَكُمْ عِنْدِي
 جُودُوا بِرِفْدٍ مِنْ خِيَالِكُمْ فخيَالِكُمْ لِي غَايَةُ الرِّفْدِ
 أَسَدُوا إِلَيَّ يَدَا لِأَشْكُرَهَا فَالشُّكْرُ لَا يَعْدُو يَدَ الْمُسْدِي
 / مالي مجيرٌ غيرُ طَيْفِكُمْ يُهْدِي إِلَيَّ الْقَرَبَ فِي الْبَعْدِ
 [٣٨ و] وَالْعَيْنُ قَدْ دَمَيْتَ وَلَيْسَ لَهَا
 وَالسَّمْعُ فِي وَقْرٍ لِعَاذِلِهِ إِلَّا مَعِينُ الدَّمْعِ مِنْ وَرْدِ
 مَنْ غَيْرِكُمْ لِلْوَصْلِ أَسْتَدْعِي فِيكُمْ وَنَارُ الشُّوقِ فِي وَقْدِ
 مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ فِرْقَتِنَا أَوْ مَنْ عَلَى الْهَجْرَانِ أَسْتَعْدِي
 سَقَى شَفَائِي فِي مَوَدَّتِكُمْ أَنْ الْهَوَى يَوْمَ النَّوَى يُرْدِي
 بِالرُّوحِ يَفْدِيكُمْ مُحِبُّكُمْ وَضَلَاتِي فِي حُبِّكُمْ رُشْدِي
 ٢٠ وَالرُّوحُ أَكْرَمُ مَا بِهِ يَفْدِي

يا مالكي رِقِّي أَمَا لَكُمُ مِنْ رِقَّةٍ يَا حَافِظِي وَدِّي
 يَا جاحدي حقَّ الودادِ وهَلْ حقُّ الودادِ يضيعُ بالجحدِ
 يا دمعُ لا تتركْ مساعدتي فقد استقالَ الصبرُ من وجدِي
 طلبَ التصبرَ جاهداً فأبى قلبُ من الأشواقِ في جهْدِ
 وتكحَّلت ليلاً بِأثمده^(١) عينُ له مرهت^(٢) من الشهدِ
 مُتفرِّدٌ بتجرُّعِ الأسفِ المُظمئِ لشوقِ الأجرعِ^(٣) التفرّدِ
 شهيدَ الوداعِ فزاده أَلَمًا لما أصابَ الصاب^(٤) في الشهدِ
 إن أنت لم تهدي الشفاءَ له وهوأك مُمرضُهُ فن يهدي
 أملتُ نبحك لا تخبِ أَملي وقصدتُ حفظك لا تُضيعِ قصدي
 رَحَلُوا وقلبي في رحالِهِم يشكو صدي ويُشاك^(٥) من صدِّ
 أَلقيتُ عند مَثارِ عيسِهِم نفسي، وقلتُ خدي^(٦) على خدي
 ناديتُ حادِيهِم بعيشك قِفْ للبين من حدو^(٧) على حدِّ
 رفقاً بعيشهُم أَمَا لَهُم مِمَّا بدأ للبين من بدِّ
 فاهداً هُدَيْتَ - فذحدوتَ رَمَوْا جَلدي الضعيفَ الأسَّ بالهدِّ
 وَجدي بمصرَ يهيجُ ساكنهُ شغفي بذكرى ساكني نجدِ
 والوجدُ في الأحزانِ كامنَةٌ عندي خلافُ النارِ في الزندِ
 ما للأحيَّةِ - لا عَدَمَتُهُم - رَغِبُوا عن الإسعادِ^(٨) في الزهدِ

(١) الإئتمد : حجر للكحل .

(٢) مرهت العين : خلت من الكحل أو تقرحت بسبب تركه .

(٣) الأجرع : الكتيب . (٤) الصاب : المر .

(٥) يشاك : دخلته الشوكة .

(٦) خدي : من الوخه ، وهو ضرب من السور للإبل .

(٧) الحدو : الهداء .

(٨) الإسعاد : المشاركة في الديموع .

أوليسَ أحبَّ أبى بنو زمنى لا غَرَوَ إنْ لم يحفظوا عهدى
 إنْ لم يَفُوا فلقد وفى كرمًا عبدُ الرحيمِ بدمَّةِ الجَدِّ
 الفاضلُ المفضالُ والنَّدسُ^(١) المُسدَى الندى والماجدُ المُجدى
 ما إنْ يضلَّ بقاصدٍ أَمَلٌ إلا ويضمنُ أنه يَهْدَى
 يُسدَى إلى منيرٍ أنعمِهِ وأنير^(٢) مِدْحَتُهُ كما أُسدَى^(٣)
 العُرفُ معنادٌ له خلقٌ وبه تراه غيرَ مُعْتَدٍ
 ينجابه يدنو جَنَى أَملى النَّائى وراحهُ حَظَى المُكْدَى^(٤)
 أبدأ تَوَالَى مِنْ عوارِفِهِ طُرفٌ تضافُ لنا إلى تُلْدِ
 ويرى رجائى من مكارمه فى النجح طُرفٌ غيرُ مُرْتَدٍ^(٥)
 ١٠ زاكى النَّجَّارِ أخو الفخارِ وذو المجد الأثيرِ الطاهرِ البُرْدِ
 ذو الرتبةِ الشَّماءِ والشرفِ العالى السَّنَا والسوؤُدِّ العِدِّ^(٦)
 الناسُ كلهمُ له تَبَعٌ فى فضلهِ والدهرُ كالعَبْدِ
 والبحرُ ذو جَزْرِ^(٧) وراحتُهُ بحرٌ - مدى الأيامِ - فى مَدِّ

ومنها فى وصف القلم :

١٥ وله اليراعُ وليثُهُ أبدأ يُرعى به ويراعُ ذو الحقدِ
 كم غاض بحرٌ بنانه ففدا دُرُّ البيانِ يُساق فى العقدِ

(١) الندس : الفطن الذكى .

(٢) أنير . من أثار إذا غرز الإبرة فغناها أخط .

(٣) يسدى : هنا من السدى وهو ما مد من الثوب .

(٤) المكدى : السبي أو البأس من أكدى إذا قل خيره أو قل عطاؤه .

(٥) يشير إلى الآية الكريمة فى قصة سليمان وهى قوله تعالى « أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك » يريد أن ينجح رجائه سريع فهو يتحقق قبل أن يرتد إليه طرفه .

(٦) العد : الكثير ، وأصله الماء الجارى الذى له مادة لا تقطع .

(٧) فى الأصل : زجر ، وهو تحريف واضح .

إن سوّد البيضاء^(١) بيّضَ مِنْ ثوبِ الليالي كلَّ مُسوّدٍ
 قلمٌ أقاليمُ البلادِ بهِ وثغورها في الضَّبْطِ والشَّدِّ
 بهزّالهِ سَمْنُ العُلاّ وكذا في الهزلِ منه حقيقةُ الجدِّ
 لِلسّانهِ حُجَجٌ يَرُدُّ بها جزماً قضايا الألسنِ اللدِّ^(٢)
 ظمانُ يروى كلَّ ذى ظمياً فاعجبْ لذي وِرْدٍ بلا وِرْدِ
 ملكٌ كتيبتهُ كِتابتهُ فرَدُّ بجيشِ النصرِ في جُنْدِ
 الأسمرِ^(٣) الخطيُّ تابعهُ في حُكمِهِ والأبيضُ الهنديُّ^(٤)
 والنائبُ بحدّه أبداً مثلومةٌ مفلولةُ الحدِّ
 كمَ مازقٍ نقيّ الغرارِ^(٥) بهِ للربعِ من جنينِ ومن غمدي
 نفذتْ بهِ اللاماتُ طاعنةً ألفاتِ خرّصانِ^(٦) القناتِ الملدي^(٧)
 والشمرُ داميةٌ مطاعنُها كراودٍ في أعينِ رُمْدِ
 فرَجتهُ بِشَبابِ^(٨) مُلطفةٍ وَرَدَتْ بِقَسْرِ القسورِ الوَرْدِ^(٩)
 بلطيفِ تدييرِ يرقُّ له لصفائه قلبُ الصفا الصلدي
 عُرْفٌ يُبَدِّلُ بالرجاءِ لنا^(١٠) في الأزْمِ نُكْرَ الأزْمِ النُكْدِ
 ناديكَ من نَدِّ الندى عِطْرُ يا مَنْ يَجِلُّ نَداهُ عن نِدِّ
 من سبِي سَيْبِكِ^(١١) كلُّ مُحَمَّدَةٍ فَلانَتْ حقاً مالِكُ الحدِّ

(١) يريد الصيغة .

(٢) اللد . جمع ألد وهو الشديد الجدال الذي لا يرتد إلى الحق .

(٣) الأسمر الخطي : الرمح ، ينسب إلى مرفأ سفن بالبحرين يسمى الخط .

(٤) الأبيض الهندي : السيف . (٥) الغرار : حد القلم .

(٦) الخرصان : جمع خرص ، وهو القناة والسنان .

(٧) اللد : جمع ألد ، وهو الناعم اللين ، ويؤثر ذلك في القنا .

(٨) الشبا : الحد . (٩) قسر القسور الورد : قهر البطل الشجاع .

(١٠) الأزْم : الأزمة والشدة . (١١) السيب : العطاء .

وتُعِيدُ ما تُبْدِي وتُضَعِّفُهُ
يا مَنْ وَجَدْتُ بلاغِي حَصْرًا
وَمَنْ المِعْدُ سواكَ وَالْمُبْدِي؟
من كلِّ مَنْ عَقَدَ النَوائِبَ عن
في حَصْرٍ ما يُولِيهِ وَالْعَدُّ
فَرَّقَتْ أَعْدائِي غداةَ هُمُ
حَطَّيْ عُرِّي مُوثِقَةَ الشَّدِّ
ورَفَعْتَنِي فوقَ اليَفَاعِ ولو
لِلشَّرِّ في حَشْرِ وفي حَشْدِ
فَضَلِّي، طرادُ^(٢) الدهرِ غادره
لم تُسَمِّنِي^(١) لِمَكْتُ في الوَهْدِ
غَدَرَ الزَّمانُ بِكلِّ ذِي حَسَبِ
وَحَظوظُهُ كَلَّتْ من الطَّرْدِ
يَأْبَى الوَفاءَ بَعِيثِهِ الرَّغْدِ

ومنها :

زِدْ غَرَسَ رَبِّكَ^(٣) رِيهَ فَلَقَدْ
أَضْحَى بَعِيدَ العَهْدِ بِالْعَهْدِ^(٤)
عَدُوَّ العَدُوِّ يَهونُ أَضْعَبُهُ
مادمت - دمت - عليه لي مُعْدِي^(٥)
والشوكُ لا يَشْكُو جِنائَتَهُ
من كانَ مَطْلَبُهُ جَنَى الوَرْدِ
أَخْفَى بنو زَمَنِي مَحاسِنَهُ
وَعتابُ أَيامِي مَعِي وَخَدِي

ومنها :

هَذَا أَوَانٌ نِجَازٍ وَعَدِكَ لِي
إِنَّ الكَرِيمَ لَمَنْجِرِ الوَعْدِ
/ من شَدَّ ظَهَرَ رِجائِهِ بِكَ هَلْ
يَبقى بِأَمْرٍ غَـيْرِ مُشْتَدِّ؟
أَيكونُ زُبْدُهُ ما أُوْمِّـلُهُ
عَدَمَ التَّمَخُّضِ^(٦) فِيهِ عن زُبْدِ
أَرْغَمَ بِفَضْلِكَ ضِدَّ مَنَمَّيْتِي
لا زالَ فَضْلُكَ مُرْغَمِ الضِّدِ
ساعِدُ بِجِدِّكَ لِي بَقِيَتْ عَلَيَّ
رِغْمِ الأَعادِي صاعِدِ الجِدِّ

[٣٨ ط]

(١) أسماء : سما به .

(٢) طراد الدهر : مطاردته له .

(٣) الرى : الارتواء .

(٤) العهد الثانية : المطر .

(٥) معدى : من أعداه عليه ، إذا استعداه ونصره .

(٦) التَّمخُّض : استخراج الزبد من اللبن .

والقصيدة أكثر مما أوردته . وحيث أوردت من نظمي في مدحه ،
وحققت به عجزى عن شكر منحه ، فلا بد من إيراد بعض رسائل التي خدمته
بها ، وتعلقت عنده بسببها .

وأنا مورد رسالة جامعة مانعة^(١) ناصعة ، كتبتها في جواب مكاتبة له إلى
وقد أهدى لي تسع مجلدات من الكتب النفيسة ، تشمل على أشعار أهل العصر
الغريبين وآدابهم وهو يثنى فيها على إعرابهم ، عن المعاني المبكرة وإعجابهم
فيها وإعجازهم وإعجابهم ، فكتبت جواباً . وهذه الرسالة قد وقَّيتها حقها من
التجنيس والتطبيق والترصيع ، والمقابلة والموازنة والتوشيح^(٢) ، وقد ذكرت
الجماعة الذين أهدى إلي من شعرهم ومصنفاتهم ، وهي :

١٠ ما ظفر مدجج^(٣) الإِظلامِ بالسَّنا ، ومُحَوِّجِ الإِعدامِ بالغنى ، ومزَعَجِ الغرامِ
من وصل حبيبه للمفارقِ بِنُجْحِ المنى ، ومُخْرِجِ السَّقَامِ من وصف طيبه الحاذق
بِبُرْءِ الضَّنَا ، والمعوزِ المعوِّرِ^(٤) بِنَبْرِ الجِدَّةِ^(٥) بعد الإِملاقِ ، والمُنْهَجِ^(٦) المُبْهَجِ^(٧)
بعزِّ الجِدَّةِ غِبَّ الإِخلاقِ ، بل ما فوزُ الأملِ المشفى على مَرَضِ اليأسِ بالشفاء

(١) في الأصل : صانعة .

(٢) هذه ألوان بديع ، وقد دل بها العباد هنا صراحة على ما يستخدمه في أدبه : شعره
ونثره من هذه الفنون . أما الجناس فهو المجانسة والمائلة بين السكبات في حروفها بواسطة
الاشتقاق وما يندرج فيه من مثل صانعه وناصعه وما إلى ذلك . وأما الطباق أو التطبيق فهو
الجمع بين الضدين . وأما المقابلة فالجمع بين مجموعة من الأضداد . والترصيع هو المقابلة بين ألفاظ
الشطر الأول والثاني ، أو السجعة الأولى والثانية في الوزن والروي . والموازنة هي نوع من
ذلك أيضاً . أما التوشيح فهو أن يأتي الأديب باسم مثنى ثم يشرحه بلفظتين تاليتين مثل :
« المسعدان : الصبر والجلد » .

(٣) المدجج : شديد الإظلام ، وفي الأصل : مدجج .

(٤) المعور : الذي يحتاج ولا تفضي حاجته .

(٥) الجدة : المال ، وفي الأصل : الجنده .

(٦) المنهج : الثوب الخلق . (٧) في الأصل : المزجج .

- في النجاح ، وانخامل المستعنى من مَضَضِ الإفلاس بالإثراء والفلاح ، والماحل
 الثرى بما حلَّ في رَبعِ ثُربِه من ثَرَّةِ الحيا الربعى^(١) فأحياه ، والناحل المُنْضَى
 بما نُحِلَّ من صُنْعِ ربه في الإبلال من الجوى الذى أبلاه ، والناهل المُطْمَى في
 عذابِ الهاجرة الحشناء بعذابِ المناهل من مجاورة^(٢) مَوْرِدِ السَّلْسَالِ ، والذاهل
 المعنى في عذابِ الهاجرة الحشناء برحابِ المنازل من نِجَازِ موعدِ الوصالِ ، كَطَفَرِ
 الخادم وفوزهِ ، بشرفهِ وعزهِ ، وسعادةِ جَدِّهِ وجِدِّ سَعْدِهِ ، وحياءِ رُوحِهِ ، وروحِ
 حَيَاتِهِ ، وحُسْنَى حالِهِ ، وحبلىةِ حَسَنَاتِهِ ، ونورِ حدقةِ فخرهِ الناظرةِ ، ونورِ^(٣) حديقةِ
 ذُخْرِهِ الناظرةِ ، وسنا سنائه المشرقِ في أرجاءِ رجائه من سماءِ السَّمْحِ الساميةِ ،
 ولألاءِ آلائِهِ المتألقي بَرَقُ وِدْقِهِ^(٤) لإرواءِ الأرواحِ الظاميةِ ، عندِ إسفارِ صُبْحِ
 ١٠ أَمَلِهِ ، وسفورِ وَجْهِ جَدَلِهِ ، واحتلاءِ أنوارِ جلالَةِ الكمالِ ، واجتناءِ ثمارِ دلالةِ الإقبالِ ،
 بورودِ المِثَالِ المُمَثِّلِ ، المُقْبَلِ المُقْبَلِ ، المُفْضِلِ المُفْضَلِ ، عن المجلسِ العالى ، الأَجَلِيِّ ،
 الفاضلِ الأَسْعَدِيِّ الأَشْرَفِيِّ ، لازال شمسُ جلالهِ ، وبدرِ فضلِهِ وإفضالِهِ ،
 في أوجِ السعادةِ ، وبرُجِ الزيادةِ ، من مَشْرِقِي الشرفِ والسيادةِ مُشْرِقَيْنِ ،
 وعَلَمِ العِلْمِ بكتائبِ كُتُبِهِ ومقَانِبِ^(٥) مناقِبِهِ وقلبِ الشائِ^(٦) بعلوِّ شانِهِ وسموِّ
 ١٥ سلطانه في الخافقينِ^(٧) خَافِقَيْنِ ، ولا فتى حُكْمِ الشَّرْعِ في شِرْعَةِ الحُكْمِ
 بفتياهِ فَتْيًا ، وروضِ الولىِّ بولىِّ رضاهُ وجودِهِ مَجُودًا مَوْلِيًّا^(٨) ، وفضاءِ الفضائلِ
 بأنوارِ جَدْوَاهُ وَأضواءِ عَلِيَاهُ مُسْتَهْلًا مُتَهَلِّلاً ، وجاهِ الجاهلِ بتأرُجِ نِبا نِباهِتهِ
 الفأخِ النَّشْرِ وتبليجِ وَجْهِ وَجاهتِهِ اللَّامِحِ البِشْرِ مُتَبَطِّلًا مُتَعَطِّلًا ، ولا رَحِ

(١) الثرة من العيون : الغزيرة ، والحيا : المطر ، والرعى : نسبة إلى الربيع

(٢) في الأصل : محاور . (٣) النور : الزهر .

(٤) الودق : المطر .

(٥) مقاب : جماعة الخيالة في الجيش . (٦) الثانى : الحاسد المبعض .

(٧) الخافقان : المشرق والمغرب .

(٨) مجوداً : من الجود وهو الطر . ومولياً من الولى ، وهو المطر أيضاً .

كاشِحُهُ يَطْوِي الكَشْحَ [و] ^(١) بَرِّحُ جَوِي جَوَّهَ بِالنَّمِّ مُنِيمٌ ، وَمُنَاصِحُهُ تَحْوِي
 الْمَنَى صَحَّةٌ عَقِيدَتُهُ وَعَقْدُ صِحَّتِهِ مُبْرَمٌ قَوِيمٌ ؛ مَارَنَ مَارَنُ ^(٢) الْمَعَادِي الْعَادِي بِنَعْمٍ
 الرَّغْمِ ^(٣) ، وَطَنَّ وَطَنَّ الْمُوَالِي الْوَالِي بِنَعْمٍ النَّعْمِ ^(٤) ، وَسَارَ ظَفَنُ أُولَى الضَّفْنِ إِلَى
 نَقْمٍ ^(٥) النَّعْمِ ، وَحَارَ رَكْبُ الْمُضِلِّ الضَّالِّ مِنْ لَيْلِ الْوَيْلِ فِي ظُلَلِ الظُّلَمِ . فَإِنَّ
 الْخَادِمَ مَا اكْتَحَلَ بِالتَّشْرِيفِ حَتَّى احْتَلَّ ذُرَى السَّعْدِ الْمُنِيفِ ، وَحَلَّ حَبِي
 الْحُبِّ لِاجْتِبَاءِ حِبَابِهِ ^(٦) ، وَأَحَلَّهُ مِنَ الْعَيْنِ فِي سَوَادِهِ وَمِنَ الْقَلْبِ فِي سُودَانِهِ ،
 وَشَرَعَ مِنْ مَشْرَعِهِ فِي تَرَشُّفِ شِفَاهِ التَّشْرِيفِ بِسِقَائِهِ ^(٧) ، وَأَطْفَأَ أَوَارِ أُوَامِهِ ^(٨)
 بِامْتِثَالِ مَرَامِيهِ ، وَاسْتَشْرَفَ فِي مَرَادِ ^(٩) الْمُرَادِ مَعَالِمَ مَعَالِيهِ مِنْ مَغَانِي مَغَانِيهِ ،
 وَخَتَمَ بِالشُّكْرِ عَلَيْهِ وَشَكَرَ عَلَى خَاتَمِهِ ، لَمَّا مِنْ حَوَادِثِ الْمَكَارِهِ بِبِوَاعِثِ مَكَارِمِهِ ،
 وَاسْتَمَلَى مِنْ أُمَالِي آمَالِهِ سُورَةَ النِّجَاحِ بِمَطَالَعِ بَيَانِهِ ، وَاسْتَجَلَى مِنْ حَوَالِي
 أَحْوَالِهِ ^(١٠) صُورَةَ / الصَّلَاحِ بِطَلْعَةِ إِحْسَانِهِ ، وَقَامَ إِجْلَالًا بِعَظَمَتِهِ ، وَسَجَدَ إِقْبَالًا [٣٩ و]
 عَلَى قَبْلَتِهِ ، وَمَرَى ^(١١) ضِرْعَ الضَّرَاعَةِ لِمَرَّأَةٍ ، وَجَلَا مَحْيَا الْمَحْيَا لِمُجْتَنَلَاءٍ ،
 وَعَلَا أَفْقَ التَّوْفِيقِ لِدُنْيَاهِ وَدِينِهِ ، وَتَلَا (فَأَمَّا مِنْ أُوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) وَفَازَ مِنْ
 حَبْلِ الْعَصْمَةِ بِمَتِينِهِ ، وَمِنْ دُرِّ الْحِكْمَةِ بِثَمِينِهِ ، وَفَاءً إِلَى تَأْمُلِ صَحْنِهِ فَأَنَّى بِتَأْمِيلِ
 آلَاءِ مَنْنِهِ وَفَاءً ضَمِينِهِ ، وَرَأَى نَفْسَهُ بِمَنْزَلَةِ الذَّرَّةِ ذَرَّتْ ^(١٢) عَلَيْهَا الشَّمْسُ مِنْ أَعْلَى

(١) زيادة يقتضها السياق . (٢) المارن : الرمح الصلب .

(٣) الرغم : من الرغام وهو التراب . والراغم : الدليل .

(٤) النم : المال الراعي . (٥) لقم : معظم الطريق أو وسطه .

(٦) الحبي : بكسر الحاء جمع حبوة من الاحتباء ، وهو جمع الظهر والساقين بثوب ،
والحباء : العطاء .

(٧) السقاء : ما يسقى فيه ، وفي الأصل : بشفائه .

(٨) أوار الأوام : شدة العطش .

(٩) المراد : بفتح الميم الطلب ومكان الارتداد الذي فيه السكلا وما يشبهه .

(١٠) في الأصل : أحوال . (١١) صرى الضرع : مسح عليه ليدر :

(١٢) ذرت : طلعت .

مكان . وما قدر خامه^(١) لخامل أو باقة لباقلي ، في مساحب ذبول سيول سبحان ؟
وما قيمة قطرة عند الديمة المدرار ؟ وهل يبدو سهبا^(٢) الشهي ، لدى قمر النهي^(٣)
للبصير^(٤) ذى الأبصار ؟ وما أثر مدررة الفلاة في مدار الفلك الأثير ؟ وما خطر
خطل الكن العجم لخاطر خطيب العرب الألسن الخطير ؟ وهل يسع ذا حصير
قياس أياد يضيق عن خصر خصرها نطاق نطق قس إباد ؟ وهل يسعي ذو قصر
لمطولة الأطواد ؟ ولا عزو أن غاض وشل الناقص إذا فاض بحر الفاضل ! وأين
الثريا من يد المتناول ؟ وكيف بلاغ حمد العبد إلى بلاغة عبد الحميد عبد حمدها ،
والصائبان^(٥) صاديان إلى وزدها ، والطائيان^(٦) مطأطئان خجالا بل وجالا
من تقددها ورددها ، وهل هم إلا نجوم ذكاء غيبها طلوع ذكائه ، ورسوم
مضاء غيرها سطوع ضيائه ، وجداول جدل غيضا عباب فيوضه ، ونوافل عمل
أغمضا لباب قروضه .

ما قبل الخادم وهو مخدوم الإقبال ، بإقبال المولى الفاضل عليه لخلوص
مولاته بخصوص مولاة^(٧) الإفضال ! وما أحرى العبد بمباهاة الأحرار وأبره
بمضاهاة الأبرار ! . لقد أرني بفواضل مولاه على أرباب الفضائل ، وربا^(٨)
بفوائد جدواه قد قدره المتضائل ، ورفق حظوظه من حضيض الخمول والخمود ،

(١) الخامة : ما ينبت على ساق ، والطاقة الفضة منه مثل طاقة الريحان .

(٢) السها : نجم سنير ، والشهي الثانية جمع سهوة ، وهي الساعة من الليل .

(٣) قمر النهي : يريد القمر في غايته .

(٤) في الأصل : وللبصير لدوى الإبصار .

(٥) الصائبان : هما أبو إسحق الصابي الكاتب المشهور وحفيده هلال بن الحسن ،

وكلاهما اشتهر بالبلاغة والبراعة ، وفي الأصل : والصادان ، وهو تحريف .

(٦) الطائيان : أبو تمام والبجتي .

(٧) المولاة : الأولى من الولاء ، والثانية من التوالى أى التابع .

(٨) ربا : نما .

إلى يَفَاعِ الارتفاع بالشُّعُودِ والضُّعُودِ ، وَأَوْضَعَ^(١) به إذ^(٢) وَضَعَ له ميزانَ
مُزَايِنَةٍ في جَدَدِ الجُدُودِ . وما أَشْكِرُهُ للمجلسِ العالى الصدرىِّ وقد صدرتْ
في مجلسِ العلاءِ كَاتِبًا ، وَلِمَعَاطِسِ^(٣) الأعداءِ كَاتِبًا ! وَأَقْدَرُهُ بمنأخه ،
وَأَعْجَزُهُ عن مدأخه ! فَأَصْبَحَ ناطقًا صامتًا قانطًا^(٤) قانتًا ، قائلًا ساكتًا . إن
قال ، فَلِإِنَّ حُجَّةَ الحمدِ أَنْطَقَتْهُ ، [وإِنْ^(٥)] استقال ، فَلِإِنَّ لِحُجَّةَ الرِّفْدِ أَغْرَقَتْهُ
— وقد خافَ الفرقَ مَنْ أُمَّهُ^(٦) السَّيْلُ ، وضافَ الفرقَ^(٧) من ضَمِّهِ اللَّيْلُ —
فإنَّ عَجَزَ بيانا ، فَلِإِعْجَازِهِ بإبراء^(٨) ذلكَ البيانِ ؛ وإِنْ أَحْرَزَ رِهانا ، فَلِإِعْزَازِهِ
بالإجراءِ في هذا الميدانِ .

ووصلتِ الكُتُبُ ، كأنها الشُّهُبُ ، يُهْدِيها شمسُ نهارِ الفضلِ إلى سارى ليلِ
طَلَبِهِ ، لِيَهْدِيَهُ بنورها في غَيْبِهِ ، وَيُقِيمَهُ بسناها على سَنَنِ مَذْهَبِهِ . وهي تسعُ
مجلِّداتٍ ، بل تسعُ آياتٍ بيناتٍ ، آتاها عبده كليمُ الفصاحةِ المتوحِّدُ باختراعِ
الكلامِ الحرِّ ، وكريمُ السَّماحةِ المتفردُ باختراعِ الإِنعامِ البِكرِ ، وطَرْفُ^(٩)
الفصاحةِ المزيِّنِ علمه بالحلمِ ، وإلفُ الحِماةِ المبيِّنِ عزمه بالحزمِ . وكيف يُوصَلُ
بوسائطِ المُرَكَّبَاتِ الأربَعِ^(١٠) من العناصرِ إلى البسائطِ التسعِ؟! وهل يُطَعُّ إلى
النجمِ الطارقِ الطريقُ الشاسعُ بطِراقِ^(١١) الشُّسعِ؟! ولكنها صُفِّفُ الفُصُحِ
الأوَّلِينَ^(١٢) الأوَّلِينَ ، وكرامُ الكُتُبِ الكرامِ الكاتِبِينَ ، وخرائدُ فوائِدِ

(١) أوضع : أسرع .

(٢) في الأصل : إذا .

(٣) المعاطس : الأنوف .

(٤) القانط : اليائس .

(٥) زيادة يقتضيهما السياق .

(٦) أمه : قصده .

(٧) الفرق : الخوف .

(٨) الإبراء : إخراج النار من الزند ، وفي الأصل : بإقراء وهو تحريف .

(٩) الطرف : هنا معناها الأصيل الذى ليس له مثيل .

(١٠) هي : الماء والهواء والنار والتراب .

(١١) طراق الشسع : جلد النمل .

(١٢) الأوَّلِينَ : جمع أوَّلٍ وهو المفضل .

لِحَدِيثِ الْمُحَدِّثِينَ^(١) وَأَبْكَارُ أَفْكَارِ الْقَدَمَاءِ الْمُقَدَّمِينَ . بَيِّدَ أَنْ مَنَزَلَتَهَا مِنْ الْأَلْفَاظِ الْفَاضِلِيَّةِ مَنَزَلَةُ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ الذِّكْرِ الْمُبِينِ . وَكَمَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفَرْقَانِ مِنْ فَرْقَانٍ ، وَمَا هِيَ وَإِنْ جَلَّتْ وَجَلَّتْ لِلْقُرْآنِ بِأَقْرَانٍ . كَذَلِكَ مَا أَغْرَابَ الْمَغْرِبِيِّينَ^(٢) ، وَأَحَادِيثَ الْمُحَدِّثِينَ طَلَاوَةً ، وَلَا حَلَاوَةً ، وَلَا إِطْرَاءً وَلَا طَرَاوَةً ، وَلَا رُونِقًا وَلَا رُؤَاءً ، وَلَا بَهْجَةً وَلَا بَهَاءً ، مَعَ فَيْضِ شُرُوقِ صَنَائِعِهِ الْبَدِيعَةِ ، وَوَمِضِ بُرُوقِ بَدَائِعِهِ الصَّنِيعَةِ . وَمَنْ ابْنُ رَشِيْقٍ^(٣) عِنْدَ رَشْقٍ سَهَامِهِ وَمَشْقِهِ [٣٩ ظ] أَقْلَامُهُ ؟ / وَلَوْ ائْتَدَّ عَمْرُهُ إِلَى مُدَّتِهِ ، لَعَمَدَ إِلَى إِخْفَاءِ عُمْدَتِهِ^(٤) ، وَكَانَ خَامِلًا فِي حَاشِيَتِهِ ، حَامِلًا لِعَاشِقَتِهِ^(٥) . وَإِنْ أَبَا الصَّلْتِ^(٦) لَوْ رَأَى رَايَةَ رَوِيَّتِهِ لِأَبِي صَلْتٍ^(٧) صَارِمِ صِرَامَتِهِ ، غَاضًا حِدْقَةَ حَدِيقَتِهِ^(٨) ، عَاضًا عَلَى إِبْهَامِهِ لِمَا أُبْهِمَ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ وَحَقِيقَتِهِ . وَوَدَعَ وَوَدَعَ^(٩) قِيَاسِ الْقَيْسِيِّ^(١٠) يَمْرُئُهُ^(١١) الطِّفْلُ ، وَقَلْبُ^(١٢) الْقَوْلِ الْقَيْسِيِّ^(١٣) يَغْرُئُهُ^(١٤) الْخُفْلُ ، فَقَدَّ قَلْبِي^(١٥) يَدَ الْإِحْسَانِ ، وَقَدَّ

(١) المحدثين بكسر الدال : المخترعين ، وفتحها المستجدون أو المعاصرون .

(٢) في الأصل : الغريبين ، ويتبين مما يأتي أنه سيعرض لأحباب الكتب التسع

وكلهم من المغرب .

(٣) هو أبو علي الحسن بن رشيق أديب القيروان المشهور في عهد ملكها العزيز بن

باديس ، توفي سنة ٤٥٦ هـ .

(٤) يريد كتابه العمدة المعروف في صناعة الشعر ونقده ، وهو من أهم كتب النقد العربي .

(٥) الفاشية : الفطاء . والكلام كناية عن أن ابن رشيق كان يتوارى خجلاً .

(٦) هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز عاش ستين سنة : عشرين في إشبيلية بلده

وعشرين في المهديّة بالمغرب وعشرين في مصر . توفي سنة ٥٢٨ هـ . وسينقل العباد في هذا القسم المصري من خريدته عن رسالة مشهورة له باسم الرسالة المصرية .

(٧) الصلت : الإشهار ، ومنه سيف مصلت .

(٨) الحديقة : كتاب مشهور لأبي الصلت علي غرار بتيمة الدهر .

(٩) الودع : خرز بيض .

(١٠) يريد الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاتان القيسي الأندلسي المتوفى سنة ٥٣٥ هـ ،

وينقل العباد عنه كثيراً في حديثه عن شعراء الأندلس .

(١١) يمرئ : يمصه . (١٢) القلب : السوار .

(١٣) القسي : القاسي الشديد . (١٤) يغرئه : ينثره ويعرف ما فيه .

(١٥) قلا : أبيض .

(٤ — خريدة)

قلائد العقيان^(١) . وهل ابن خيران^(٢) إلا حيران في ميدان هذا البيان ؟
 ولقد شخبَ وریدُ ابن أبي الشخباء^(٣) ورُدَّ إلى خباء الاحتباء . ولوحيَ ابنُ
 خفاجة^(٤) لجاء حياً إلى جهة الاختفاء . فهؤلاء الذين خصَّ المولى عبدهُ
 بخصائصهم ، وأخلصه للاطلاع على علم مطالعهم ومخالصهم . وإن صاغت
 خواطِرُهُم من إبريز التبريز تيجاناً مرصعةً مرجاناً ، وصفت زواهرهم^(٥)
 للغارب بنواصع الدرر ولوامع الفرر شهباناً^(٦) متجمعةً ووحدانا ، وكانوا عيون
 الناس الأعيان ، وأناسي عيون الزمان ، متممين بحسن الخواتم حسن الفواتح ،
 مُحْكِمِينَ سُودَ الصخائف في بيض الصفايح ، فإنهم ناقصون إقصاراً لكامله ،
 شاخصون إصاراً لجماله ، لم يكتحلوا بتراب قدمه ، ولم يدخلوا من باب حرمة ،
 وكلُّ الصيد في جوف القرا^(٧) ، ومن قال غير هذا قيل له أطرق كرا^(٨) .

فهذه الكتب المهداة ، والشحُبُ المنشأة ، فروعها المصنفة ستة أصنافٍ
 وأصلها كتابه الكريم ، وأجزاؤها المؤلفة تسعة أصدافٍ وكلها ذرَّة اليتيم .
 تلك عشرة كاملة في المشايعة ، أذعنت عيونها^(٩) لفضيلة بكرها كعشيرة
 الصحابة في المبايعه ، أغضيت عيونها لفضل أبي بكرها^(١٠) ، فهل كانت عدَّة
 أتمها بعشرٍ لإكمالها ، أو حسنة جزاؤها بعشرة أمثالها ؟

(١) كتاب له مشهور في شعراء بلاده وهو مطبوع .
 (٢) من أكبر كتاب الدواوين في مصر أثناء القرن الخامس ، توفي سنة ٤٣٢ هـ .
 (٣) مثل سابقه ، كان من رؤساء الكتاب في الدواوين المصرية أثناء القرن الخامس
 توفي سنة ٤٨٢ هـ .

(٤) شاعر أندلسي مشهور توفي سنة ٥٣٣ هـ .
 (٥) صفت زواهرهم : مالت نجومهم . (٦) في الأصل عمرايا .
 (٧) مثل يضرب لمن يتفوق على أقرانه ، والفرا : حمار الوحش .
 (٨) مثل يضرب لمن يخدع بكلام يلطف له ويراد به الغائلة .
 (٩) العوز : التي أنتجت ، فهي ضد البكر ، ومفردها عوان .
 (١٠) يشير إلى مبايعه أبي بكر الصديق .

ولما زفَّ المولى هَدْيً^(١) هَدَايَاهُ إِلَى كُفُوِّهَا السَّكَافِي عِنْدَهُ صَفَّ إِمَاءَهَا^(٢) أَمَامَهَا عَلَى مِثَالِهَا ، فَيَا لَهْ غَرَسًا مَا تَمَّ بِهِ إِلَّا لِمَتَحَتَّرَشِ الْحَاسِدِ مَا تَمَّ ، وَأُنْسًا مَا تَمَّ مِنْهُ إِلَّا لِمَسْتَوْحَشِ الْجَاهِدِ مَا تَمَّ . وَقَدْ غَنَى بِالْغَانِيَةِ عَنِ وَصْفِ وَصَائِمِهَا وَلِهَذَا^(٣) ، بُعِنِي بِمَعَانِيهَا الرَّائِغَةِ الرَّائِغَةِ وَلَمْ يَنْظُرْ لِنُضَارِهَا شَبَّهَا شَبَّهَا ، وَإِذْ^(٤) أَفْرَدَهَا فَضْلَهَا عَلَى فِرَائِدِ فَضْلَاءِ الْمَشْرِقِينَ وَالْمَغْرِبِينَ أَبْصَرَ^(٥) وَسَمِعَ لِسَانِي^(٦) الْعَرَبِ وَالْعَجْمِ بِتَفْضِيلِ جَمِيلِهَا . عَلَى تَفْصِيلِ جَمَلَتِمَا مُعْجَمِينَ مُعْرَبِينَ . وَأَمَّا الْمَغَارُ بِهٗ فَعَلَى مَشَارِعِ الْمَشَارِقِ مُغَارٌ^(٧) حَبِيلِهَا ، وَمِنْ مَشَارِبِهَا مُعَارٌ خَيْلِهَا ، وَمِنْ مَعَانِمِهَا مَغَارِمُهَا ، وَمِنْ صَرَائِمِهَا^(٨) صَوَارِمُهَا ، وَحَسَبِهَا أَنَّ الْغَزَالََةَ الرَّائِغَةَ فِي رِيَاضِ الْفَلَكَ ، السَّكَارِعَةَ فِي حِيَاضِ الْمَلَكِ ، إِذَا وَصَلَتْ إِلَى وَرْدِهَا تَوَرَّدَتْ بِالشَّقِيقِ ، وَاصْفَرَّتْ لِلْفَرَاقِ مِنَ الْفَرَقِ ، وَأَصَابَتْ عَيْنَهَا عَيْنُ الْعَيْنِ الْحَامِيَةِ^(٩) ، وَعَاثَقَتْهَا يَدُ الْعِنَقَاءِ الْمَغْرِبِ^(١٠) الْعَادِيَةِ ، وَوَقَعَتْ فِي قَبْضَةِ طِفْلِ الطِّفْلِ^(١١) كَالْمَصْفُورِ ، وَقَضَتْ هُنَالِكَ نَجَبَهَا وَمَعَادُهَا مِنْ الْمَشْرِقِ غَدَاةَ يَوْمِ النُّشُورِ . إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ حُجَّةً بِالْعَمَّةِ وَبِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ لِلْمُحِقِّ الْمُحَقَّقِ ، فَإِنَّ تَعَلَّقَ الْمَغْرِبِيُّونَ بِأَذْيَالِ أَسْمَالِ^(١٢) الْأَنْوَارِ آخِرًا ، فَالْمَشْرِقِيُّونَ اجْتَابُوا حُلَّهَا الْقُسْبِ أَوْلًا ، وَإِنْ تَسَلَّقُوا عَلَى أَسْوَارِ أَسَارِهَا^(١٣)

- (١) الهدى : العروس .
 (٢) في الأصل : أماما .
 (٣) الوله : الغرام ، ولها من اللهبو .
 (٤) في الأصل : وإذا .
 (٥) في الأصل : وأبصر .
 (٦) لسانى العرب والعجم : لعتما .
 (٧) مغار الحبل : وثيقه ومحكمه .
 (٨) الصرائم : جمع صريمة وهي العزيمة .
 (٩) يشير إلى قوله عز وجل في القرآن الكريم أثناء الحديث عن ذى القرنين « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة » .
 (١٠) العنقاء المغرب أو عنقاء مغرب : طائر عظيم الجسم يرد ذكره في القصص العربي ، وهو طائر خرافي يقولون إنه يعدو ، ويفرق في العدو .
 (١١) الطفل : آخر وقت العشى عند الغروب .
 (١٢) الأسمال : الثياب البالية .
 (١٣) الأسار : جمع سؤر ، وهو البقية من الماء وغيره .

فالعراقيون فتحوها مَعْقِلًا مَعْقِلًا ، ولا نوم على العَرَّاقِ (١) العِرَاقِيَّ إذا استلَّامَ (٢) ليحصى بِحِمِّيَّتِهِ حِمَاهُ ، وَيَغَارُ حين يُغَارُ على علاه . أما مصرُ فهي الآن عِراقِيَّةُ الدولة ، عباسِيَّةُ الدعوةِ ، يوسفِيَّةُ العِزَّةِ ، فاضِلِيَّةُ الحوزةِ ، ناصِريَّةُ النِصْرَةِ ، عادِلِيَّةُ الحُظُورَةِ ، صلاحِيَّةُ السِيرةِ ، سيفِيَّةُ الهِزَّةِ . فالفضل لها في عصرنا لا قَبْلَهُ ، وغرَّها فاضلها الذي مارأى الزمان مثله ، وهو مُعْتَقُ عبده ، ومسترقُّ حمده ، وناعشه (٣) من عثارِ الجَدِّ ، ورأشه بدثارِ (٤) الجَدِّ ، فالخادمُ عِراقِي المنشأ واللرْبِي ، مصري المنحى والملجأ ، ناصِري (٥) العِلاءِ فاضِلِيُّ الوِلاءِ . وأما الشامُ فلا يُذْكَرُ ولا يُشْكَرُ ، وكيف يُعْرَفُ ولا يُنْكَرُ ، ومعروفٌ حَلْبَةُ حَلْبِهِ ذات المنكر . وقد دلَّ نصُّ الكتابِ الكَرِيمِ الواصلِ من المولى على أن سيَّاتها كثيرة ،

١٠ ولكنها لحسنات سلطانها مغفورة / : [٤٠ و

قد طال دَنِّي (٦) لكم فطوَّلُ طَوَّلاً بِجَاهِي العَرِيضِ كُمِّي
أصبحتُ في مصرَ ذا رجاءِ إلى النَّدَى الجَمِّ منك جَمِّ
أصابَ قَصْدِي وتمَّ أَسْرِي وبان نُجْحِي وفازَ أُمِّي
وإِنِّي قد وجدتُ وَجْدِي منك كما قد عَدِمْتُ عُدْمِي
نعشتني من عثارِ دَهْرِي فخرتُ (٧) حَمْدِي وحازَ دَنِّي

ومنها :

نتيجة النجح منك تقضى أن المواعيد غير عظم

(١) العراق : من أعرق فيه أهله وعرقوا .

(٢) استلَّام : لبس الأُمة وهي الدرع .

(٣) ناعش : من ناعشه من العثار أى رفعه منه وجبره .

(٤) راشه : من الرياش وهو اللباس الفاخر ، والدثار : الثوب .

(٥) في الأصل : ناصر .

(٦) الدن : من دن وذنن إذا طن ونغم ، وفي الأصل : دني وبعدها كلمة كسحت

واخترنا أن تكون (لكم) . (٧) خرت : من خار ، أى انتق واستخلص .

ومنها :

قضاء دَيْنِي ونيلُ سُؤلي	وحفظُ جاهي وجريُ رِسمي
وضيعةٌ لا يضيعُ فيها	عزْمي كما لا يفوتُ غنمي
وحرمةٌ تستيرُ منها	سعودُ قدري في أفقِ عَظْمي
يمتُ يَمًّا ولستُ أرضي	تيممًا في جنابِ يَمي
لِمَ أَمَلِي لِمَ يُزَنُ بنجح	لِمَ شَعْبِي لِمَ يُعَنُ بِلَمي
رُمٌ (١) رَمَّ أَمري وحلُّ حالي	ما كَرَّم في الوري كَرَمِي
رُثٌ (٢) رَجائي بكل طرز	وعُثٌ (٣) جاهي بغير سُخْمي
مضارعُ الفعل حظُّ فضلي	وعائقُ الصرفِ حرفُ جَزَمي
ناهيك من مُحول مُعِم	يحنو على المُحول المُعم
كل عدوِّ شَنَاك (٤) يَلتقي	في الناسِ طَمَسَ اسمِه كَطَسَمي
شَمَلُ العِدَا (٥) والعروض (٦) منهم	ما بين شتٍ وبين شَمي
ونلتَ عزا بغير صَرَفِي	ووصلَ مُلكٍ بغير صَرَمي
تَمَلَّها فهي بكرُ فكري	شميةٌ من نتاجِ شَهَمي
حدوت عيسى (٧) بها فجاءتُ	شمشقةٌ من هديرِ قَرَمي (٨)

ومنها :

لي خاطرٌ مُجَبِلٌ (٩) ، لهْمِي ،
أُقدَمَ رَغْبًا نجابَ رُغْبًا (١٠)

- (١) رم : أصلح ، والرم : البالي والفاسد .
 (٢) رث : من رث أي نهض ، وفي الأصل : رث رثائي .
 (٣) عث : من عث أي نهض أيضاً . (٤) في الأصل : يشناك .
 (٥) في الأصل : الأعادي . (٦) العروض : جمع عرض وهو الجيش .
 (٧) العيس : الإبل . (٨) القرم : الفحل والسيّد .
 (٩) مجبل : من أجبل الشاعر إذا أغم .
 (١٠) جاب رغباً : جاب أي قطع ورغباً أي أرضاً فلاة . كناية عن الطرق التي قطعها إليه .

إِلَيْكَ يَا كَعْبَةَ الْمَعَالِي حَبَّحَ حِجَابُهُ بِلُطْفِ حَجْمِ
 أَجْرٍ عَلَى الْوَهْمِ عَظُمَ شَانِي وَاجْبِرْ عَلَى الْوَهْنِ عَظُمَ نَظْمِي
 بِصَفْحَةِ الصَّفْحِ مِنْكَ يَبْدُو جِزْمٌ قِصُورِي بغير جُزْمِ
 بِاسْمِكَ لِلشُّكْرِ بِاسْمَاتٍ مَنِي مَنِي سَقْتُهُنَّ بِاسْمِي
 أَقْبِلْ وَأَفْضِلْ عَلَيَّ وَأَقْبَلْ عَرَبَ مَعَانٍ لَدَيْكَ عُجْمِ
 مَا دَمَتْ عَوْنِي فَلَيْسَ يَغْدُو جَمِيلٌ وَسِي قَبِيحَ رَسْمِ

٦ - الفاضل المؤمن * ابن كاسيويه الطائب

من صدور كتّاب مصر الذين يُثَنَّى عليهم الخنصر ، ويقوى باعتدال طبائع
 خواطرهم من البراعة^(١) الخنصر . ولم يزل في الدولة المصرية مُقَدِّمًا مُصَدِّرًا ،
 ١٠ وَبِكُرِّ فَضْلِهِ خَلْفَ حِجَابِ الصُّدُورِ مُحَدَّرًا . ما أحسن أثرَ براعته خطأً ، وما
 أمكنَ خاطرَه المنيرَ في سماءِ النظمِ لقلك المعالي^(٢) قُطْبًا . وما زال عن مصر
 يبشر الدولة العباسية عبوسها ، وبدا كلَّ يومٍ يُحِلُّ خَمَارَهَا وَيُقْلِعُ بُوسَهَا ،
 حار ابن كاسيويه ، وكاد يخفي ولو أنه في العلم سيبيويه ، فأواه القاضي الفاضل
 وغمرته منه القواضل ، وناضلَ عنه حين دون المنى ضلَّ المناضل ، وصيرَه الملك
 ١٥ عز الدين^(٣) فرُّخْشاه بن شاهنشاه بن أيوب وزيره ، وأسمعه من غناء الغني بجاه

(*) ترجم له ابن سعيد في المغرب . انظر القطعة المصورة بمعهد المخطوطات في الجامعة
 العربية ، الورقة ١١٥ وتقل في ترجمته عن المريدة ، ثم ذكر أن المهدي نوبه في ذيل الخريدة ،
 وروى عنه قطعة وجهها للمؤمن إلى القاضي الفاضل يصور فيها ما كابدته في الشام من مصاعب
 ومتاعب أثناء مقامه به مع فرخشاه . وانظر ابن ميسر ص ٩٥ حيث يذكره مع الشعراء الذين
 وفدوا على الصالح بن رزيق لتبتهته حين ولي الوزارة سنة ٥٤٩ هـ .

(١) في الأصل : الجراعة . (٢) في الأصل : العالي .

(٣) هو ابن أخي صلاح الدين ، استنابه عنه بالشام ، وكان متواضعا سخيا شجاعا مقداما
 وكان فصيحاً شاعراً ، توفي بدمشق سنة ٥٧٨ هـ .

خدمته بجمّة وزيره^(١). وهو الآن ذو جاهٍ عريض، وروض قشيب أريض، سهل العبارة سلسها، مبتدع الاستعارة مُحْتَلِسها، كنياته حُلوة معسولة، من تكلف الصنعة مَعسولة.

وله نظم يناسب نثره سلاسةً ونَهَجًا، ويلائم وشى رسائله سلامة ونَسَجًا؛ فمن ذلك أنى ملت لحضرة الملك عز الدين فرُّخشاه في داره بالقاهرة ليلة الثاني من رجب سنة ثلاث وسبعين وخمسةائة، والثومَن بن كاسيويه حاضر، وقد كتب له من شعره في مدحه ورقة قد أودعت من لطائفه، فأخذتها ناظرًا في ناصر زهرها، ومنها قوله:

[وسمّت محاسنك الزمانُ فلم تدعْ
أزرتُ خلالك بالحسام إذا مضى
لا غمرو أن جرّ الجيوش مُقدِّمًا
/ قسما لقد هجر الكرى جفنى فلا
وقتنا من الأوقات إلا مومسما
عند الضريبة والغمام إذا همى
من كان مذ شهد الوقائع مُقدِّمًا^(٢)
يعتاده حتى يعمود مسلما

وله، صدر كتاب:

لازلت منصور اللواء مظفرًا
والنجح مقرون بقصدك دائماً
وإذا قفّلت^(٣) فواجهتكَ ميامنٌ
أنت الذى جاهدت عن دين الهدى
وأزرت أرض الشرك أطراف القنا
وبالسنن الأعمادِ خاطبت العدا
والسعدُ يرحلُ إن رحلت وينزلُ
والدهر يتبع ما تقول وتعمل
تبدو بشارتها وجدُّ مقبـل
فأعزَّ نصرك ناصرٌ لا يُخذل
حتى غدت من خيفة تنزل
فأجابها فتحُّ أغرُّ محجـل

(١) البم والوزير: وتران من أوتار العود.

(٢) نقننا هذه الأبيات عن قطعة المنرب السابقة لأن الأصل مطموس فيها، وقد نقل ابن

سعيد الأبيات عن الحريرة نفسها.

(٣) قفّلت: رجعت.

ترجى^(١) الجياد إلى الجهاد جحافلاً تَغَشَى البلادَ وأنت وحدك جحفل
فَلَيْهِنَّكَ^(٢) الفتح الذي سَبَقَتْ به البُشْرَى وأشرقَ بِشْرُهُ التَهْلِيلُ^(٣)
يامن يُجَلِّي كلَّ خطبٍ مُغْضِلٍ قولٌ له فَضْلٌ وسيفٌ فَيَضَلُّ
عَقَدَ الوقارُ عليك تاجَ سَكِينَةٍ بالنور لا دُرَّ العقود يُكَالُّ
أحرزتَ من فضل الكمال خصائصاً عنها أحاديثُ المكارم تُنْقَلُ
فاسلمَ للملكِ قد حفظتَ نظامه وسما بعزمك مجدُهُ المتأثِّلُ
يحوى مقاليدَ البلادِ فسابقٌ أعطى القيادةَ ولاحقٌ مَتَمَّهُلُ

عدة في الديوان الفاضلي

٣ - السير عبد الله بن هبة القاسم

عبد الرحمن بن هبة الله بن حسن بن رفاعة

من أهل مصر، المعروف بظناب الأمير ناصر المروزي

دخلت على القاضي الأجل الفاضل مستهلَّ المحرم سنة إحدى وسبعين
في الخيم^(٤) بمرج الصفر^(٥) أهنيه بجديد العام العام الجدي، وأستهديه الفوائد
التي بها أحياء وأقوى، فوجدت بيده كتاباً لأبي القاسم المذكور إليه، والقاضي
الفاضل يقضى بفضلِهِ ويثني عليه، فوقفت على رسالته وطالبته بكلمته، فأراني
قصيدته، وأقراني فقرته، وقال إنه أفضل من بمصر نظماً ونثراً. هذا وقد جمع من
رسائله عشر مجلدات. فأما الرسالة فهي:

قد جعل الله المجلس العالی الفاضلي الأسعدى - زاده الله من اصطفائه أبكاراً

(١) ترجى: تدفع. (٢) في الأصل: بالفتح.

(٣) التهلل: المتألى، وفي الأصل: المتجلل.

(*) ترجم له ابن سعيد في المغرب، القطعة السابقة الورقة ١١٧، وقال إنه توفي سنة ٥٩٣ هـ.

(٤) الخيم: المعسكر. (٥) مرج الصفر: على مقربة من دمشق، والمرج: الفيضة.

- المناقب وعونها ، وواصل إلى جنبه حملات الثوبات وطمونها ، واستجاب من أوليائه^(١) في طول بقائه وهلاك أعدائه صالح الدعوات التي يدعوها — خير ما ينادى قريباً ويناكجى بعيداً ، وأفضل مُنعمٍ يحقق وعداً ويُخلف وعيداً ، وعم^(٢) انخلق جميعاً بنعمته ، وشرف القلب بصواب حكمه^(٣) وصوب^(٤) حكمته ، وألهج أقلامه بتوزيع إفضال المال والجاه ، وقسمته ، وخصه في إهداء الهدى بهدي • أقر به على الساعين أبده ، وأثل له مجدًا لا يتناهى مصعده ، أو يكون فوق النجم مقعده . ولم يزل إقباله على الملوك^(٥) يريه وجه الإقبال وسياً ، ويعيد عنده سموم^(٦) اليأس بأرواح النجاح نسيما ، ولا يضيع جريه في ميدان اعتناق تنفيذ صرامه عنقاً^(٧) ورسيا . وقد كان أكبر مولاه عن مكاتبة تليق بالأكابر ، وتنحط أصاغر الخدام عن درجة المحافظ عليها المثابر ، وسأل ابن حيون إحساناً إليه ١٠ بذكر هذه الجملة في كتبه وإجمالاً^(٨) ، وأن يقلده بالإعراب عنه مئة لا يسأم لها على مر الزمان احتمالاً . وحين أكّدت^(٩) مطالبه ، وأحاطت بجوانبه دواعي الندم وجوالبة ، وصار الإجلال وجلا ، وعاد الإخلال خجلا ، تاب إليه من علم شرف خلق المولى وكرم طبعه ، وتواضعه إقداراً للمعالى بحسن وضعه ، ما حمله على نظم قصيدخدم بها مجلسه الكريم ، مع تحقّقه أن لدحه جادة جيدّ تعجز جلة^(١٠) الشعراء ١٥ عن سلوكها ، وتيقّنه أن مناقبه لا تحتاج إلى المدائح إلا كحاجة عمود الجواهر إلى سلوكها ، وضراعتة في إجرائه في تقبلها على مألوف عادة الإحسان ومعروفها ،

(١) في الأصل : أولائه . (٢) معطوف على جعل في أول الرسالة .

(٣) في الأصل : حكمته . (٤) الصوب : الطر والغيث .

(٥) في الأصل : الملوك . (٦) السموم : الريح الحارة .

(٧) في الأصل : عنقا ، والعنق : سير سريع للإبل ، والرسم : من رسمت الناقة إذا

أثرت بحافرها في الأرض أثناء سيرها .

(٨) إجمالاً : إحساناً .

(٩) أكّدت : أخفقت . (١٠) في الأصل : حلبة .

واغتفار خطيئها الذي كفَّارته ما يواصله هو وعائلته من أدعية صالحة للولى بعدد حرورها . والمملوك مستمرٌّ على عادته في ملازمة الخدمة والمواظبة عليها ، وإدامة البكور إليها ، مع ما يلحقه من النزلات التي تُظلمُ مطالعَ محيَّاه^(١) وغيرها من أمراض شاهدها اصفراراً محيَّاه . والله تعالى يزيد في علو محلِّ / المولى المؤسس [٤١ و ٥ على التقى ، ويجمِّلُ الدنيا بمفاخره الموفية على ناصع الجوهر المنتقى ، ولا زال أفواجُ الرفاق لاقيةً إذا حطَّتْ بجانبه أفضلَ مُلتقى .

وأما القصيدة فإنها تنيف على مائة بيت فأثبت منها ما عقدت خنصر الاختيار عليه ، ومطلعها :

تالله ما عاشقُ الدُّمى عاقلٌ كلاًّ ولا عاذلٌ له عادِلٌ
 ١٠ ذا مُعْرَمٌ مُرْعَمٌ أخو حُرْقٍ وذا مطيلٌ ما عنده طائلٌ
 لم يخشَ من ناقدٍ وقد جاء بالنكسِ^(٢) إلى ناقيهِ الهوى ناقلٌ

ومنها :

غانيةٌ عن^(٣) حلى غانيةٍ بحسنِ عاطٍ^(٤) من جيدها عاقلٌ
 ١٥ وأسمرٌ غادرتُ لدوتتهُ ماءٌ لها فيه جارياً جائلٌ
 سنانهُ طَرَفُهُ ومن عَجَبٍ سيفٌ علا لهذماً^(٥) على ذابلٍ !
 أهله ضارباً وأعملَ للطننِ سواه من نهده عاملٌ^(٦)

ومنها :

وحالةُ المستهانِ أنفعُ ما عاذَ به المستهانُ من عاذلٍ
 خبا سناهُ وخابَ مقصده آيةٌ حالٍ لخامدٍ خاملٍ

(١) المحي : الحياة . (٢) في الأصل : بالنكس ، والنكس : عود المرض بعد النقه .

(٣) في الأصل : من . (٤) العاطي : قريب التناول .

(٥) الالهزم : السنان القاطع . (٦) عامل الرمح : صدره .

ومنها في ذم الدنيا :

- وزاد حُبُّ الهوى عليه فما ينفكُّ في^(١) هُوَّةِ الهوى نازل
يريد منها خفضاً فيرفعه من نَصْبِهِ للعنا بها فاعل
أين من الدرِّ^(٢) كف حالبها^(٣) المكفوف منها بكفِّه^(٤) الحابل
يُظهِرُ تكذيبُ سلمِ باطنها عنوانَ عدوانِ خائرٍ^(٥) خاتل
أنصارها عصبَةُ التتابع في الجهلِ وأحزابُ طالبي الباطل
وما يَبِي مُذْكَرًا بخطبتها حُكْمُ التناسي لحكمها الخائل^(٦)
يكونُ منها أمرُ الولاء وما نَمَّ لها عاضلٌ سوى الفاضل
عبد الرحيم الذي لرحمته ظلُّ على الخلق وارفٌ شامل
القابلُ القصدَ والمعيدُ من المنِّ أوفًا في العامِ والقابل
وجاعلُ الرسمِ في سماحته تحييسَ ملكِ الغنى على السائل

ومنها :

- وما الغنى المعزُّ للوفرِ بالمنعِ ولكن مُذِلُّ الباذلِ
بديهته البرِّ منه موفيةٌ أيدِ عوادى الردى [بها]^(٧) زائل
لعروة الجهلِ والقضية إذ تُعَيِّ ذوى العلمِ فاصمٌ فاصل
إن يظهر المدحُ فيك مُنتقصًا منه في النفسِ كامنٌ كامل
لأنه في فعالٍ همته لغاية العجز قائدُ القائل

(١) في الأصل : من . (٢) الدر : استخراج اللبن من الضرع .
(٣) حالبها : يريد حالب الدنيا . (٤) كفة الحابل : حباله الصائد .
(٥) الحتر والحخل : الغدر . (٦) في الأصل : ائمال ، والحائل : المتغير .
(٧) ساقطة في الأصل .

ومنها:

ومعجزُ السيفِ فضلُ جوهره ومائه لا عنايةُ الصـاقل

ومنها:

وكم حبا^(١) السامعين فائدةً إذا احتبي^(٢) من نديّة الحافل
 وكم أقام القسطاس حتى رأى الإقساط^(٣) عادٍ عن عدله عادل
 وكم له [من^(٤)] وساطةٍ منعت صائبَ سهمٍ من حادثٍ صائل
 يشبُّ منه الوليدَ أو يُعجز الكهلَ احتمالاً [منه^(٥)] على الكاهل
 وسادِرٍ في الضلالِ غادرُهُ ثوبِ إيناسٍ رشده سائل

ومنها في وصف كتابته ومنطقه:

١٠ يعرب عن حكمة يظلُّ لها يُعربُ عن لُكنةٍ به باقل
 ما حاق^(٦) مذحقَّ كُلالٍ منطقهِ حرامٌ سحرٍ يُعزى إلى بابل
 يرسلُ من نثره لآلئهِ تَبْـلَا فاعظُمُ بناثرِ نابِل
 فيقذف الدرَّ بجرِّ حكمتِهِ الخضمُّ من طرسِهِ إلى الساحل
 كم ظلَّ أعلى الكُتّابِ منزلةً لديه عنهما في حالة النازل
 ١٥ يعجز عن نقلهِ المثالُ مع الـ إعجاز ما دام عنده مائل
 والخطرُ الأسمدئُ يخطر في بلاغة^(٧) ذيلُ فضلها ذائل^(٨)
 يَحْضُرُ إنشاؤه غرائبَ أقوالٍ بها رُبُّ ذكره أهل

(١) حبا : أعطى .

(٢) احتبي : جلس ، وأصله من الاحتباء وهو الجمع بين الظهر والساقين بعمامة ونحوها .

(٣) الإقساط : العدل . (٤) ساقطة في الأصل .

(٥) ساقطة في الأصل . (٦) حاق : حاط .

(٧) في الأصل : بلاغة في ، وكلمة في زائدة . (٨) ذائل : طويل من الذيل .

أوجدُهُ الدهرُ عالمًا فَضَلَ العالمَ فَضَلَ العَالِي [على^(١)] السافلِ

ومنها :

- صنعاً من الله للأجلِّ غداً بكفِّ عَدَوِي أَعْدَائِهِ كَافِلٍ
 مافاء^(٢) يوماً إلى استشارته الـ مَلِكُ فَأَلْفِي من رأيه فائل^(٣)
 [لكن^(٤)] بَلَا منه خَيْرَ ذِي قَلَمٍ مُؤَاوِرًا خَيْرَ مَالِكٍ دَائِلٍ^(٥)
 حتى تَوَافَتْ مَنَاحُ النُصْرِ لِلدَوْلَةِ تَسْرِي فِي مَنهْجِ سَابِلِ
 لهنَّ من عدله ورحمته — أمَّ وِلْدٍ ووالدٍ نَاجِلِ
 وضوعفت للجفود قوة إضـ مَافٍ الأَعَادِي فبِأَسْمِهِمْ بَاسِلِ
 أَقْصَرُ سَهْمٍ حَوْتِ كِفَاتِهِمْ مَزِرٍ بِطُولِ المَثَقِّفِ العَاسِلِ^(٦)

ومنها :

١٠

يَا سِيداً قَيَّدَتْ عَقَائِلُ نِعْمَاهُ بِشكْرِ مَنْهـ هُاعَاقِلِ
 إِذَا أَخُو الحَاجِ ضَلَّ عَن سَنَنِ الحَجِّجِ [إِلَيْهِ^(٧)] ضَلَالَةَ الذَاهِلِ
 أَرْتُهُ أَنْوَارُهُ الطَّرِيقَ لَهُ كَأَنَّمَا مِيْلُهُ^(٨) لَهَا كَاحِلِ

ومنها :

- ١٥ يَنْحَلْنَا شَهْدَهُ بِلَا إِبْرٍ لِلنَّحْلِ مِنْ مَنِّ بَاجِلٍ نَاحِلٍ^(٩)

(١) ساقطة في الأصل .
 (٢) فاء : رجع .
 (٣) الرأي الفائل : الرأي الضعيف أو الخطأ .
 (٤) ساقطة في الأصل .
 (٥) في الأصل ذائل ، والدائل : المشتهر ، ولعل الشاعر أراد الذي تدول له ندول .
 (٦) المثقف العاسل : الرمح .
 (٧) ساقطة في الأصل .
 (٨) الميل : المكحال الذي تتكحل به العيون ، والنار بيني اللسان ، وهو هنا يريد الثاني ويجعله كأنه كاحل أو مكحال .
 (٩) الناحل : صاحب النحل ، والباجل : الميجل ، والمن : النحل .

والبُسْرُ^(١) لولا [لون^(٢)] يباشره الليل لما كان صِنبُهُ حائل
يا صادراً نحو صدرِ بغيثنا مرآك من صوبِ أَيْلَةٍ آيل
وكلهم فيك لازم شرعة^(٣) ال قافي^(٤) لآثارِ رجعة القافل
مَطَرَتَ جُوداً محلَّ محلِّهم^(٥) عهدَ رزقٍ ما عهدُهُ حائل

• ومنها :

أَقْسَمْتُ أَيُّ مَالٍ أَجِدُّكَ تَعْلُونِي مِنَ الهمِّ خبِئَةُ الخابِلِ
/ فَأَغْتَدِي فِي الدَّيْنِ مِنَ القَوْلِ أَخ تَارُ كَمَا اشْتَارَ أَرِيَهُ العَاسِلُ^(٤) [٤١ ظ]
مَجْتَنِيًا تَأْفِيًا مِنَ المَدْحِ جَمُّ المُنْحِ فِي وَجهِ نَقَصَهُ تَافِلِ
وَذَكَرَ القَاضِي الفَاضِلُ أَنَّ لَهُ شِعْرًا حَسَنًا وَأَنشَدَ مِنْهُ أَيْبَاتًا مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ

١٠ في وصف القلم ، هي قوله :

عَادَةُ كَفِّ إِنْ أَلَمَّتْ بِجِلْدِي عَادَا مَوْرِقًا أَوْ مَعْشَبًا حَلَّهُ الخِصْبُ
عَجِبْتُ لَهُ أَنْ ظَلَّ جَارًا لِسُحْبِهَا وَمَا فَعَلْتُ فِيهِ كَمَا تَفْعَلُ السَّحْبُ
وَأَحْسَبُهُ حَيًّا الطَّرُوسَ بِنَبْعِهِ وَأَصْبَحَ مَسْلُوبًا وَأَمْرَتِ الكُتُبُ

قال ابن كاسيويوه الكاتب ، وكان حاضراً عند القاضي الفاضل : [وله^(٥)]

١٥ أبيات في القطائف المقلوبة هي قوله :

أَهْلًا بِشَهْرِ غَدَا فِيهِ لَنَا خَلْفٌ أَكَلُ القَطَائِفِ عَنِ شَرِبِ ابْنَةِ العَنْبِ
مَنْ كَلَّ مَلْفُوهٍ بِيضٍ إِلَى أَحْرٍ^(٦) حُمُرٍ مِنَ القَلْبِ تَسْمِي جِمَّةِ^(٧) السَّعْبِ

(١) البسر : التمر قبل إرطابه ، والواحدة بسرة .

(٢) القافي : المتتابع للآثار .

(٣) اشتار أريه العاسل ، اشتار : استخرج ، والأرى : العسل ، والعاسل : صاحبه .

(٤) ساقطة من الأصل . (٦) الشطر في المغرب : ما بين محشوة صفت إلى آخر .

(٧) جنة السعب : شدة الجوع والجنون .

كأنهنَّ حُرُوزٌ ذاتُ أغشِيَةٍ من فضةٍ وتعاويذٌ من الذهب
وله بيتان أنشدتهما :

الصمتُ سَمْتُ سلامةٍ طوبى لندبٍ ^(١) يقتفيه
عرفَ المنكرَ للزما نِ فِدَامٍ ^(٢) فيه فِدَامٍ فيه

وله في القنائف المقلوبة :

وإني الصيامُ فوافتنا قنائفُهُ كما تَسَنَّمَتِ الكُثبانُ من كَشَبِ
والبيتان الآخران هما المذكوران .

وله في شعبة مذهبة :

كأنها من بناتِ الهندِ مُثَقَلَةٌ بِالْحَلِيِّ تُجَلِّي لِسكى تُهْدِي إِلَى النارِ

ولما دخلت القاهرة في سنة اثنتين وسبعين اجتمعت به في دار السلطان ثم
استنشدته شعره فأنشدني ما سبق ذكره من الأبيات وأنشدني لنفسه من قصيدة :

وذى هَيْفٍ إِنْ راحَ للراحِ ساقِيًا غدا سائِمًا للصبِّ رَكَبَ حِمَامِهِ
يبيحكُ إثمًا من مُدارٍ ^(٣) مُدامِهِ ويمنعُ لثَمًا من مُدارٍ لثامِهِ
فما باله في كَفِّهِ عَدْلُ حُكْمِهِ وفي طرفه الفتان جورُ احتكامِهِ
وكيف أضاءتْ أنجمٌ من كؤوسِهِ وقد أشرقتْ ما بينها شمسُ جامِهِ ^(٤)

ومنها في الثغر :

وحقَّ له أنْ كانَ حُقَّ جواهرٍ إِذا صِينَ من مسكِ اللَّمَى بختامِهِ

وله :

وغادِةٍ غرَّتني بغيرِ رَتبِها رُؤاهِ حَسَنِ يَدْعُو لرؤيتِها
أودُّ من وصلِها نَسِيمَ رِضا يُبْرِدُ عني هَجِيرَ هَجرتِها

(١) الندب : النجيب . (٢) فدام القم : شيء تشده العجم على أفواهها عند السقي .
(٣) في الأصل : مدام . (٤) الحمام : إناء من فضة .

شمتُ إذ شمتُ^(١) برق مبسمها أطيبَ طيبِ أمامِ ضمَّتْها
فقلتُ هذا دخانُ عنبرةٍ للخالِ تصلَّى بنارِ وجنتها

وله :

نظرتُ بطرْفِ شخْصِها^(٢) فتشكَّكتُ إذ قلتُ إنك في الحشا المتوهِّجِ
فحكى الذى فى العَيْنِ ما فى خاطرى فأرْبَيْتُها^(٣) إِيَّاهُ فى أُنْمُوذَجِ

٤ — السعير أبو الفاسم

هبة* القم بن الرسيير جعفر بن سناء الملك

كنت عند القاضي الفاضل في خيمته بمرج^(٤) الدهمية ثامن عشر ذى القعدة

(١) شام البرق : نظر إليه . (٢) الشخص : سواد إنسان العين .
(٣) في الأصل : فأرْبَيْتُهُ .

(*) أكبر شعراء مصر وأبرعهم في العصر الأيوبي ، ولد عام ٥٥٠ هـ وتوفي عام ٦٠٨ هـ وكان هو وأبوه يعاملان في دواوين القاضي الفاضل ، وكان أبوه يقوم على شئون اتقاضى أثناء غيبته في الشام ، ولعل هذا يفسر خطورة هبة الله عنده كما يتبين من كتاب فصوص الفصول ، فالفاضل كان يكرمه جداً ، ويوقره ، ويرى فيه مخايل شاعر عظيم . وله ترجمة في معجم الأدباء لياقوت ٢٦٥/١٩ ، وابن خلكان (طبع القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ) ١٢١/٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣٥/٥ وحسن المحاضرة للسيوطي ٢٣٥/١ طبع مصر سنة ١٢٩٩ ، والمغرب لابن سعيد (نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة) المجلد الثاني الورقة ١٤٧ ، وانفرد ابن سعيد بقوله عنه إنه كان غالباً في التشيع ، ويدل لقب جده سناء الملك أنه كان من كبار الموظفين في الدولة الفاطمية ، فقد خلع هذا اللقب أيضاً على حسين بن بدر الجمالي الوزير الفاطمي المشهور (الكامل لابن الأثير طبع ليدن ٢٧١/١٠) . ولابن سناء الملك ديوان موشحات يسمى دار الطراز به موشحات لغارية والأندلسيين ، نشره الدكتور جودة الركابي ، وله ديوان شعر لم ينشر حتى الآن ، وفي دار الكتب المصرية منه نسختان : مصورة مأخوذة من أصل في مكتبة جامعة فؤاد ، ومخطوطة بالكتابة التيمورية ، وسترجع إليهما أثناء تحقيق نص ابن سناء رامزين لنسخة الجامعة بالحرف ج ولنسخة التيمورية بالحرف ت . والنسختان جميعاً محشوتان بالأغلاط ، وهما مختارات لاديو انان كاملان فكثير من أبيات هذه القصائد غير موجودة فيهما وكذلك لا توجد بعض القصائد .

(٤) صراج الدهمية : لم نقف على مكان هذا المرج ويظهر أنه كان حول دمشق (انظر الروضتين ٢٥١/١) حيث يقول العماد إنه وصل مع القاضي الفاضل دمشق في ذى القعدة من حمص ، فإما أن يكون المرج حول دمشق أو في الطريق إليها من حمص .

سنة سبعين ، فأطلعني على قصيدة له كتبها إليه من مصر ، وذكر أن سنه لم تبلغ إلى عشرين سنة ، فأعجبت بنظمه . والقصيدة هذه نسختها من خطه :

- فراقٌ قضى للهَّمَّ والقلبُ بالجمع
ووصلٌ سعى في قطعه من أحيته
وربُّعٌ لذات الخيال خالٍ وربما
فيسبحان ربي قد سمَّت همة النوى
وفي الحى من صيرتها نُصبَ خاطرى
من العربيات المصونات بالذى
ومن يرى أن الملالة ملة
تتبه بفرع منه أصلٌ بليتى
وتبسم عما يُكسِفُ الدُّرَّ عنده
فكم تركتُ في ذلك الحى ميتاً
وكم ذاب من حرِّ التعانق بيننا
سقى الله أيام الوصال مدامى
زماناً تقود اللهور فيه يدُ المنى
ولا نائلُ الحسناء نزره ولا النوى
إذا شئتُ غناني غزالٌ مُغازلٌ
يغنى فتحمرُّ المدامة^(٤) خجالةً
فأصرفُ راحى حين يُكسِفُ بالها
- وهجرٌ تولى صُحَّحَ عيني مع الدمع
ولا عجباً قد يهلك النجم^(١) بالقطع
شغلتُ بهي من مساءلة الربع
وطالت إلى أن فرقت ساكني جمع^(٢)
فما أذنت في نازل الشوق بالرفع
أنارته خييلُ الغائرين من الذقع
وتلك لعمرك الله من طبع^(٣) الطبع
ولم أر أصلاً قطُّ يعزى إلى فرع
فكيف ترى من بعده حالة الظلع
وكم حملت فيها الضلوع على ضلع
قلائدُها حتى افترقنا من اللذع
عليها وإن أسرفن في الهطل والذبع
ويُدبى التراضى صحبة الصدِّ بالصدع
تجاهرُ فينا دولة الوصل بالخلع
نشيطُ الثنى فاترُ الخلف والمنع
ليقصرها عن سلبة العقل بالخدع
وأشربُ منه راحة بغم السمع

(١) النجم : النبات .

(٣) الطبع : الدلس .

(٢) جمع : مزدلفة .

(٤) هكذا في ت ، وفي الأصل : المدامع .

/ وأطربُ حتى لا أفيق كأنما
 وما ذاك من فعلِ الإلهِ بمنكرٍ
 نأى فدنا من كل طرفٍ سهادُهُ
 إذا نظرت عينٌ سواه تَلَثَّمَتْ
 وإن عَزَمَتْ نفسٌ على قصدِ غيره
 أيديه يُشجى الناسَ تذكيرُها به
 وقد ضاق ذرعُ الصبرِ منا لفقده
 فلولا اصطبارٌ فيه أعدى بلادَه
 لِكُتِبِ الأجلُ السيدِ الفاضلِ اغتدتُ
 ومن قَلَمٍ في كفه أصبحت به
 ومن فكره أُنحِتْ أفاعي يراعِه
 متى خَطَّ حرفاً أو هَمَّتْ كلُّ قلعَةٍ
 فله كُتِبَ منه إن أبصرَ العدى
 وإن قيلَ عَقْبِي خَلَعَهَا كلٌّ مفسد
 لو ادَّرَعَ المرءُ الجبانُ ببعضها
 لئن شوركْت في فتحِ حمصٍ بأسمهم
 فقد أوْهَمَتْ تلكَ السهامُ بأنها
 فتياً لمن ظنَّ السيوفَ ككتبه
 تُشَبِّعُ (٦) هاتيك الطيورَ وهذه

أتانىَ في عبد الرحيم هَنا الرَّجْعُ (١)
 ولا عَوْدُهُ من قدرة الله بالبِدْعِ
 وسار فأبقى كلَّ قلبٍ على فجع
 حياءً بعنوان (٢) الوفاء من الدمع
 ففى أَى دِرْعٍ تلتقى أسهمُ الردع
 فأعجِبْ بضرِّ جاء من جهةِ النفع
 فيا حبذا من فقده ضيقُهُ الذرع
 لسارت إليه واستجارت من القطع
 رقابُ الأعدى ناكساتٍ من الهطع (٣)
 حدادُ المواضى عاجزاتٍ عن القطع
 مع البعد منها قاداتٍ على السَّعِ
 ولم تُخْطِ وهماً أنها في يدِ القلع
 لها مطلباً لم يدفعوها عن الدفع
 لقد زِدَتْ قالت ذا اختصارى وذائقى (٤)
 لأصْبَحَ في الجلى غنياً عن الذرع
 مضت من قيسى لسنن يخطين في النزع
 مُنْصَلَّةٌ مما يحوكُ من السَّجْعِ (٥)
 لقد ظنَّ ظناً فاسدَ الأصلِ والوضع
 من الأمن تملأ أنفسَ الناسِ بالشَّعِ

(٢) في ج : بأردان ، والردن : السك .

(١) الرجوع : الرجوع

(٣) الهطع : النظر في ذل وخضوع من غير إقلاع للبصر .

(٤) القنع : القنوع والميل .

(٥) منصلة : ذات نصال .

(٦) تشبع : من الشبع ، لما تركه من القتل .

- ومن نفضها الماء المعينُ فلو جرى
لتهنِكَ يا عبدَ الرحيمِ سعادةٌ
ولا خاب من يرجو نذاك ولا خبا
فيا سيدي اللهُ يعلمُ أننا
بُلينا بحسادٍ كبيرٍ أذاهمُ
ولا يجنُّ بل لا^(٧) يُجرِّ في اعتقادهم
ولو أننا في نعمةٍ يحسدونها
فلناس حزنٌ من فراقك واحد
لقد خاطرت من خاطري خطراته
فأقسِمُ أن الطرس قد خاف منهم
فطوبى لعين أبصرتك وحبذا
فلو فارقت جسي إليك حياته
- لرَيَّانَ^(١) أفنى منه ما سال بالجزع^(٢)
بها شاسعُ الآمال أدنى من الشَّع
شهابُ ردى [يرمى]^(٣) [أعاديك بالسَّعِغ^(٤)
خصوصاً^(٥) بضراً مؤلمٍ صائبِ الوقع
يظنون أن الشرع^(٦) قد نصَّ في الشرع
من الشرِّ وترّاً أو يعزَّز بالسَّعِغ
لهان ولكن عذرهم كرمُ الطبع
وأحزاننا قد أوهنت^(٨) نقرَّ الجمع
لشكواي حالاً ضاق عن كتفها وسعى
وهذا دليلٌ أن كاتبه مرعى
مقرَّك من ربيع وصقك من صقع
لقلتُ أصابت غير مذمومة الضنع^(٩)

- ثم وصل إلى الشام في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين في الخدمة الفاضلية
فوجدته في الذكاء آية ، أحرز في صناعة النثر والنظم غاية ، يتلقى عرابه^(١٠) العربية
له باليمين راية ، قد ألحقه الإقبال الفاضلي في الفضل قبولاً ، وجعل طين خاطره
على الفطنة مجبولاً ، وأنا أرجو أن تترقى في الصناعة رتبة ، وتعزز عند تهادي

(١) الريان : المليء بالماء .
(٢) الجزع . منعطف الوادي .
(٣) ساقطة في الأصل .
(٤) الدفع : من سففته النار أى لفتته .
(٥) خصوصاً : مفعول مطلق بمعنى نخس ، وربما كانت محرفة عن خصصنا .
(٦) الشرع : من قولهم الناس شرع واحد أى هم سواء ، كأنه يعمال التعاسد بذلك .
(٧) في الأصل : لايل .
(٨) في الأصل : أذهبت .
(٩) في الأصل : الصقع .
(١٠) إشارة إلى البيت المشهور :
إذا ما راية زومت لمجد تلقاها عرابه باليمين

أيامه في العلم نُفِيتُهُ ، وتصفون من الصبا منقبته ، وتروى بماء الدُّرْبِيَّةِ رَوِيَّتُهُ ،
وستكثر فوائده ، وتؤثر فلانده .

ومن جملة ما كتبه لي بخطه ، وَأَلَمَعَيْنِيهِ بنقطه ، وأبرزه لي من سَمِطِهِ ،
قصيدةٌ يمدح بها الأجلَّ الفاضلَ أبا علي عبد الرحيم بن علي اليسانى ، ويذكر
مسيره صحبته للكتابة بين يديه ، ويهنئه بعيد الفطر :

إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ أَنْ تَرَانَا فَالْقَنَا يَوْمَ الْهِيَاجِ إِذَا تَشَاجَرْتَ الْقَنَا
تَلَقَّ الْأُلَى يُجَنِّهِمْ ثَمَرَ الْعَالَا قُضِبٌ يَلِدُّ بِهَا الْجَنَى مِمَّنْ جَنَى
لَا يَشْرَبُونَ سِوَى الدَّمَاءِ مُدَامَةً إِذْ^(١) يَنْشَقُونَ مِنَ الْأَسْنَةِ سَوْسَنَا
وَإِذَا الْحَسَامُ بِمَعْرِكٍ عَنَى لَهُمْ خَلَعُوا نَفُوسَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْفِنَا
مَتَوَرِّعِينَ فَإِنْ بَدَتْ شَمْسُ الضُّحَى جَعَلُوا الْعَجَاجَ لَهَا رِءَاءَ أَدْكَنَا
يَشْكُو النَّهَارُ خِيُولَهُمْ مِنْ نَقْعِهَا وَاللَّيْلُ يَشْكُو مِنْ وَجْهِهِمْ السَّنَا
وَيَكَادُ يُعْدِي الْقِرْنَ شِدَّةً بِأَسْهَمِ فَيَكَادُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْ لَا يَجْبُنَا
وَإِذَا رَأَى الْخَطِيئُ حِدَّةَ عَزْمِهِمْ نَكَرَ الْقِنَاةَ وَكَادَ أَنْ لَا يَطْعَنَا
إِنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتُ مِنْهُمْ إِنْهُمْ لِيُرُونَ لِي خُلُقًا أَرْقَ وَأَلِينَا
أَهْوَى الْغَزَالَةَ وَالْغَزَالَ وَرَبْمَا نَهَيْتُ نَفْسِي عَفَّةً وَتَدِينَا
وَأَهْمٌ ثُمَّ أَخَافُ عَقْبِي مَعْشِرِ أَخَى عَلَيْهِمْ سِوَهُ عَاقِبَةُ الْخِنَا
وَلَقَدْ كَفَفْتُ عِنَانَ عَيْنِي جَاهِدًا حَتَّى إِذَا أُعْيِتُ^(٢) أَطَلَقْتُ الْعِنَا^(٣)
فَجُرْتُ وَإِكْنَ فِي الْحَقِيقَةِ عِبْرَةً أَبَقْتُ عَلَى الْخَلْدِينَ وَسَمًّا بَيْنَا

(١) هكذا في ت و ج وفي الأصل : إن .

(٢) في ج : أعنتت .

(٣) يريد أطلقت العنان لحذف النون للفاوية واكتفى بدلالة البيت ويسمى هذا في البلاغة
اكتفاء ، وكات ابن سناء الملك كثيراً ما يصنعه . انظر خزانة الأدب للحموى (طبع بولان
سنة ١٢٩١ هـ) ص ١٥٨ .

[٤٢ ط]

/ يا جَوْرَ هذا الحبِّ في أحكامه
 وأظنُّه قصد الجناسَ لأنه
 يا قاتلَ الله الفـوانى مالنا
 ومليحةٍ بخلت فكانت حُجَّةً
 كالبلدر إلا أنها لا تُجْتَلَى
 ضنَّتُ بطرفٍ ظلَّ يُعدى سقمه
 قالتُ تُعَبِّرُ من يكون مُبَخَّلًا
 وإذا تشكَّى القلبُ إسرَاعَ النوى
 وإذا بكت عيني تقولُ تبسمتُ
 يا عاذلين جهنمُ فضلُ الهوى
 إني رأيتُ الشمسَ ثم رأيتها
 وسألتُ من أيِّ المعادنِ تُغرُّها
 أبصرتُ جوهرَ ثغرها وكلامه
 ذاك الكلامُ من الكمالِ بمنزلِ
 يدنو من الأفهامِ إلا أنها
 ويسير وهو لحفظها مستوطنٌ
 والجيدُ أحسنُ ما يكونُ لُسمِيعٌ^(٢)
 وإذا حواه الطرسُ فتَحَّ أعينا
 فالطرسُ ساحةٌ فضيةٌ وسطوره
 لله من عبـد الرحيمِ يراعةٌ

خدَّ يُخدُّ ولحظُ طرفٍ قد زنا
 طرفُ زنا لما رأى طرفًا رنا
 عنهم غنَى بل كم لنا عنهم غنى
 للباخلاتِ وقلن هذى عُذرنا
 والغصنِ إلا أنها لا تُجْتَتَى
 رأيتُم من ضنَّ حتى بالضنا
 فعلامَ أسـوه البخيلِ بودنا
 ظلَّتْ تشكَّى منه إفراطِ الونَى
 إنَّ الدموعَ لها ثغورٌ عندنا
 فعدلتُم فيه ولكنِّي أنا^(١)
 ماذا على إذا عشقتُ الأحسنا
 فوجَدتُ من عبد الرحيمِ المعدنا
 فعلتُ حقًا أن هذا من هنا
 لا يدركُ الساعى إليه سوى العنا
 تلقاه أبعدَ ما يكون إذا دنا
 فاعجبْ لذلك سائرًا مستوطننا
 أنحى بجوهره النفيسِ مزيَّننا
 من زهره تُضَيُّ إليه الأعينا
 مسكٌ تُفرِّعه البراعةُ أغصنا
 تذرُّ الحسامَ من الفلولِ مؤننا^(٣)

(٢) اللسمع : الغنى .

(١) مثال آخر للاكتفاء .

(٣) مؤننا : من الأئين وفي ج : مؤننا .

فلسانه قد صار لولا شكره
 وكتابه للملك منه كتيبة
 هو سورة حيث السطور بوجه
 ولقد علا بأبي علي جد من
 يدعوه حين يخيفه إقناره
 إن ياتيه يلق الزيل معزراً
 والوجه أبلج والفناء موسماً
 أغنى وأقنى قاصديه فكلهم
 تُثني القلوب على نداء وربما
 كم عاذل في الجود قال له اتشد
 يفديه من تلقاه قاصد رفده
 أصبحت في مدح الأجل موحداً
 وغدوت في حبي له متشيعاً
 ورأيت صحبته نعيمًا عاجلاً
 وأرادني فظننت غيري قصده
 ياليت قومي يعلمون بأنني
 أوليت حسادي بما أوليتني
 فلأت كفي منك جوداً فائضاً
 أنسيتني أهلي على كلني بهم
 وعلمت من سفرى بأني لم أزل

لجيـل نعمتها لساناً ألكنا
 تدع العدو محيراً ومجبناً
 فلذاك صار مُحصّناً ومحسّناً
 جعل الرجاء إليه أنفَسَ مُقتنى
 فإذا دعا كان النوال مؤمناً
 ويصادف الذهب النضار مهونا
 والعز أقص وألواء ممكنا
 يُثني ولا يثني عنانا للثنا
 ركب النفاق مع الثناء الألسنا
 لا تآحننا^(١) فيه لثلا تآحننا
 متلويًا في رفده متلويًا
 ولكم أتتى من أيديه^(٢) ثنى
 من ذا رأى متشيعاً متسننا^(٣)
 فرأيت بذل النفس فيه هينا
 فوجدت دهري مذعناني مذعننا
 أدركت من كفيك نادرة المنى
 علموا يقيناً أن أيسره الغنى
 وملأت سمعي منك قولاً لينا
 وذكرت أني قد نسيت الوطننا
 مجزباً لما لزمت المسكنا

(١) تلحننا : من لحاه أى عدله ولامه .

(٢) ثنى : هى ثناء وقصر للقافية ، وثناء أى اثنتين اثنتين .

(٣) متسننا : من السنة ، وأهل السنة يقابلون الشيعة .

كم واله يبيكي عليّ ويشتكى^(١) وإذا [رأى^(٢)] أثرى بكي فكانه
ويظنُّ دهرى قد أساء ولو درى
لا زال رأيك لى يزيدك ضنّة
وهناك عيدٌ أنت عيدٌ عنده
وبقيت ما بقى البقاء فإن دنا

ألمّا من البين المفرّق بيننا
طلّلتُ تقادم عهدى بالمنحنى^(٣)
حالى لأيقن أنه قد أحسنا
فى صحبتي ويزيد حسادى ضنّا
ولذلك أضحيّ فيك أوتى بالهنّا
منه الفناء بقيت أو يفنى الفنا

وقال يمدحه :

أبى^(٤) أن يسرّ العاشقين^(٥) إيابُ
وما العشقُ إلا موتٌ جسمٍ إذا دعا
ومن صحّ من داء الصبابة قلبه
رعى الله قومًا روعوا بفراقهم
تضاعفَ ضعفى حين شدت قبائهم
عبرنا فكم من عبرةٍ فى ديارهم

وأن يردع البين المثلث عتابُ
فإن نفوسَ العاشقين جواب
رأى أن رأى العاشقين^(٦) صواب
فؤاداً حماه من حجاب حجاب
وقد^(٧) زاد كربى حين سار ركابُ
تدألُ ونفسٍ بالحنين تدآب

ومنها :

وغانيةٍ لم تعدُ عشرين حجةً
[٤٣ و] / عليكِ زكاةٌ فاجعلها وصالنا
أقولُ لها قولاً لديه ثواب^(٨)
لأنك^(٩) فى المشرين وهى نصاب
وما أربى إلا قبولٌ وقبلةٌ

(١) هكذا فى ت وفى الأصل : تشكى .
(٢) المنحنى : منحرج الوادى .
(٣) فى ت وج : عسى .
(٤) فى ت وج : العاذلين .
(٥) فى ت وج : صواب .
(٦) هكذا فى ت وفى الأصل : تشكى .
(٧) فى ت وج : السائرين .
(٨) فى الأصل : ومن .
(٩) فى ج : فمرك .

ومنها:

تذكرت دهرًا ليس ينسيه لَذَّةٌ
 وحجى إلى حانوتِ راحٍ وحانةٍ
 وإفراطٍ حبي للعجوز التي غدتُ
 تُعيدُ شبابَ العقلِ ضعفًا وكبرةً
 • إذا قتلوها بالمزاج تبسمت
 ومن عجبٍ أنا نصيرُ بشرها

ولم يُسلِ قلبي عن هواه شرابُ
 وكعبهُ لهوى أَعْيَدُ وكعاب
 عروسًا تَهَادَى والعقودُ حَبَابُ
 ويرجع منها للكبير شَبَابُ
 كشاربها يرتاحُ وهو مُصَابُ
 شياطينَ تردى^(١) الناس وهي شهاب

ومنها في المدح:

فنى أشرفت منه خصالٌ شريفةٌ
 وقد صادقَ الإنجازَ منه مواعدُ
 على مالهٍ منه عذابٌ أَصَارَهُ
 أيادٍ له بيضٌ حسانٌ سَخَتْ بها
 مواهبُهُ عِتْقُ النفوسِ أَقْلَهَا
 وآراؤه تَثْنِي النصولَ بفيضها
 ١٠

كما أَغْرَبَتْ في الفضلِ منه رِغَابُ
 كما جَانَبَ الإخلافَ منه جَنَابُ
 مواردَ جُودٍ كُلُّهُنَّ عَذَابُ
 يدٌ لم يَشُبْهَا في العطاءِ حَسَابُ
 إذا صَافَحَتْ بيضَ الصَفاحِ رِقَابُ
 إذا لم يكن إلاّ الدماءُ خَضَابُ
 ١٥

ومنها في كتابته وكتبه:

تَجَدُّ معانيها الرقابَ فقد غدا
 وقال يمدحه^(٣):

يُخَيِّلُ لِي أَنَّ الكِتَابَ قِرَابُ^(٢)

لقد عَتَيْتُ أَيْدِي النوى بالنواهد^(٤) وقد عَبَّئْتُ كَفَّ البلي بالمعاهد

(١) في ت: تؤذى . (٢) القراب: الغمد .

(٣) هذه القصيدة ليست في نسختي الديوان لامي ولا مختارات منها .

(٤) النواهد: جمع ناهد وهي الكعاب الشابة .

- وقد صادرتني في البدور يدُ الشرى
وكم ليلةٍ قد سرني الدهرُ منهمُ
بكل فتاةٍ تركُ العقلَ شاردًا
ومحسودةِ العقدِ المعانقِ جيدهُ
تتبهُ بفرعٍ فوق خَدِّ مورِدٍ
ومن صونها عن كل راءٍ ولا مسٍ
وقد أشبهتها [الشمس^(٢)] حتى خيالها
سلي القلبَ هل مرَّ السلوُ بباله
يقرُّ بما قد قرَّ فيه من الأسي
فبعذك ما أبصرتُ دمعِي راقنًا
ولما هجرت الكحلَ قلتُ أَمِنْ غنِّي
ومنها :

- لأنَّ أحكيها نحولاً وصفرةً
بعينيك لا تستعجل البين والنوى
ولا بد لي أن أترك الهمَّ آخذًا
وتتركُ منها زاهيًا كلَّ زاهدٍ
ومنها في صفة الحجر :

- تري أبدأ منها الأباريقُ سجَّدا
يطوفُ بها حلوا المراشفِ أوْطف^(٤)
فشرابها أضحوا بها في مساجد
دمت مقلتاها كلَّ قلب بقاصد

(١) الوارد : الشعر الطويل المسترسل ، وكذلك الفرع .

(٢) ساقطة في الأصل . (٣) الفراقد : النجوم التي يهتدى بها .

(٤) الأوظف : كثير شعر الحاجبين والعينين .

ولم يُبقي وجهًا وجهه غير ساهمٍ ولم يُبقي طرفًا طرفه غير ساهد
يضمن بيزدٍ من وصالٍ وقد بدا عذاراه في خديه مثل اللبارد
له الحسنُ عبدٌ لا يخالف أمره وللفاضلِ المحمودِ حرُّ المحامد
غدا مُستقلًّا بالرياسةِ والعُلا ومستكثرًا من مُتعمباتِ الحواسد
ومستحمدًا من بذله كلَّ مادح ومستمدحًا من فضله كلَّ حامد

ومنها :

وقد فاق من توفيقه كلَّ سائس كما ساد من تسديده كلَّ سائد
أقلُّ الورى منَّا على بذلِ منَّةٍ وأكثُرُ ما تلقاه عند الشدائد
علا ابنُ عليٍّ فوق كلِّ مطاولٍ بطيبِ السجايا بعد طيبِ المحامد
وفضلِ حباه الله منه بمعجزٍ ترى أبدًا يرويه كلَّ معاند
وجدِّ بما يهواه خيرِ مساعفٍ وسعدٍ لما يبغيه خيرِ مساعد
فياحاسديه غيظكم غيرُ نافذٍ [وياحامديه جوده غيرُ نافذ] (١)
وياعاذليه في الندى إن عدلكم كبهرج (٢) نقد زاف في عين ناقد

ومنها :

إذا كذبت آراء قوم فرأيه على مشكلاتِ الغيبِ أصدقُ رائد
وإن كتبت أعلامه أقصد العدى سهامِ المنايا من سهامِ الأسود
فيحى سماء الملك منها نواقبُ بكلِ شهابٍ واردٍ نحو مارِد
فياشترى ودَّ القلوبِ وحبها رويدك قد أسقطتَ نجمَ عطارِد
كان العدى عينٌ وكتبتك عودَةٌ / وقد أخذت من صرْفهم بالمرادِ [٤٣ ظ]

(١) بيان في الأصل ووضعنا الشطر ملأنا للسياق .

(٢) بهرج : زائف .

ومنها في توديعه :

أياراحلاً والدمعُ بي غير واقفٍ وياسائراً والوجدُ بي غيرُ قاعد
يعزُّ على ظمآنٍ ملتهبِ الحشا فراقُ فِراتٍ منك عذبِ الموارد
تسيرُ فكمِ بكِ بأجفانِ والهـ عليكِ وكمِ بكِ بأجفانِ والد
أودعُ منك العيشَ عيشَ شببتي وأقطعُ مني العمرَ عمرَ قصائدي
وأهجرُ إن فارقتي كلَّ لذة وأعربُ من وجدى على كلِ واجد
فقصَّرَ ربي عُمرَ ما قد نوى النوى ومن لى بتقريبِ النوى المتباعد

وقال يمدحه من قصيدة^(١) مضى عنه أولها :

ليالٍ عيونُ الدهرِ عنها نواعسُ تنعمتُ فيها من حسانِ نواعمِ
وعانقتُ فيها بدرهاً في معاجرٍ^(٢) على إثرِ مَنْ عانقتُهُ في عمائمِ
وبردتُ فيها لوعتي من مراشفٍ فما زلتُ أستشفى بلبمِ المباسمِ

ومنها :

ولما بدا جيدٌ لها ومعاصمُ رأيتُ حبالَ الصبرِ غيرَ عواصمِ
وعاوتها عينايَ في سفكٍ مهجتي فمن ذا أسمى عادلاً غيرَ ظالمِ
وهدَّ هواها من نهائِ معاقلاً وعهدى بها لا ترتقى بالسلامِ
وبعتُ فؤاداً واشتريتُ مذلةً وأرُبحتُ على أنى غيرِ حازمِ

ومنها في المديح :

من الوارثينَ المجدَ لآعنِ كلاله إذا ما ادَّعاهُ أدعياءُ الأعاجمِ

(١) هذه القصيدة ليست موجودة في نسختي الديوان .

(٢) المعاجر : جمع معجر ثوب للمرأة .

ترى ما لهُ من بذله في مكارِهِ
إذا أوجعت قلبَ امرئٍ كفُّ حارمٍ
وتلقاهُ مسروراً بجمع المكارم
غرامٌ قديمٌ فيه بالجودِ والندى
ومنها في صفة كتابته :

ويطربُ حُسنًا من غدا فيه حفته
ومنها في تهنئته بالصوم :

تهنَّ بهذا الصومِ يا خيرَ صائرٍ
ومن صام عن كل الفواحشِ عمره
إلى كلِّ ما يهوى وياخيرَ صائمٍ
فأهونُ شيءٌ هجره للمطاعم
ومنها :

ولولا نذاكَ الغمرُ لم أكُ شاعراً
ولا عجباً أن صرتُ في خيرِ نائرٍ
وقد يشكر الأنهارَ صوتُ العَلاجِمِ^(١)
لدرِّ كلامٍ رائقٍ غيرِ ناظمٍ

وقال يمدح أباه ويودعه عند مسيره مع الأجلِّ الفاضل إلى الشام :

أناخُ بها البارِقُ المَطْرُ
وأحيا مسيح^(٢) الحيا نشرها
ومرَّ النسيمُ بها يخطرُ
وأضرمتِ النارُ من فوقها
فأصبحَ ميثها يُنشرُ
ونبتةً فيها سهيلُ الرعودِ
ففاح لها الندُّ والعنبر
لواظظ ما خلتها تسهر
وطاشَ النباتُ فهل راقه
ليركبهُ ذلك الأشقر
وما حملتُ منةً للسحابِ إلا
ومنتها أكبر

(١) العَلاجِم : جمع علجوم وهو الضفدع .

(٢) مسيح : يريد المسيح عيسى على التشبيه وفي ت : صبيح .

- متى جاء من دمعِهِ زائرٌ تلقَّاهُ من زهرها مَحْجِرُ
ولو حلَّ في رعدهِ خاطِبُ لوفاهُ^(١) من سرَّوِها منبر
فكم مقلَّةٌ ثمَّ مفضوضَةٌ وكم وجنةٌ بالحيا تقطر
وكم من غدِيرٍ غدا صفوهُ بأسرارٍ حصَّبانهُ يُخبر
وكم قد نهَّاه هبوبُ الرياح فظلَّ بتجميده يسر
وكم فيه للقطر من خوذةٍ تدلُّ على أنه مِفْفر
فياروضةَ الحسنِ إني شَغِلْتُ بروضةَ حسنٍ لمن^(٢) ينظر
ويا خَصِرَ اللونِ قد ضاع فيك - كما ضعت - شاربك الأخضر
أنا لا أئينُ لفرطِ السَّقامِ وذلك لكونك لا تظهر
تأطرَّ^(٣) والرمحُ في كفه فلم ندر أيهما الأسمر
ومرَّ الغزالُ على إثرهِ فلم ندر أيهما الجوذر
وألبس خاتمَهُ خصرَهُ فقد صحَّ من خصرِهِ الخنصر
ولما تعمَّمَ قام الدليلُ على نقصٍ من زِيَّها المِعْجَرُ
وحسبك أنَّ لها معجراً وأسعدُ منه لهُ منزز
وقد غار منه على أنبي وغيري من قبله أُغيرُ
فيا معـدناً دُرُّهُ سالمٌ ويا روضةً وردُّها أحر
ويا من بفيه لنا سُكَّرُ ولكنه سُكَّرُ يُسْكِرُ
تحمل جَهراً^(٤) عقود^(٥) الرجال فمن أجله حرَّم المُسْكِرُ
أصومٌ عن الوصلِ دهري وقد رأيتَ الهلالَ ولا أفطرُ
وأنت الهلالُ وأنت الهلاكُ بِقَتْلِي تُفْتِي ولا تفتُرُ

(١) هكذا في ت وج وفي الأصل : لوفاه .

(٢) هكذا في ت وج وفي الأصل : لم .

(٣) تأطر : تثنى .

(٤) هكذا في ت وفي الأصل : خراً .

(٥) في ت : العقول .

/ ومنها:

[٤٤ و]

وَأَعْجَبُ مِنْ كُلِّ مَا قَدِ جَرَى وَهَذَا ذِي الْقَضِيَّةِ مَعْكُوسَةٌ
 وَأَصْلُهَا فِي (٣) كُؤُوسٍ ظَنَنْتُ
 وَأَحْرَقْتُ مِنْهَا ظِلَامَ الدَّجَى وَبَاتَ نَدِيمِي لِأَيْلِهِ
 وَقَامَ الْمُؤَذَّنُ يَنْعَى الظَّلَامَ وَحُطَّ لَدِي (٤) قِنَاعُ الصَّبَاحِ
 فَلَا يَعْجَبُ الصَّبْحُ مِنْ نُورِهِ وَإِخْبَارُ سُودَدَةَ مِنْ سَنَاهِ
 هُوَ السَّيِّدُ الْمَشْتَرَى لِلنَّهْأِ وَمَانِحٌ مِنْ جَاءِ يَمْتَارُهُ
 وَيَفْتَرُ (٦) مُدَاخِعُهُ مِنْ لَهَا وَرَاحَتُهُ قَبْلَةَ الْآمِلِينَ
 فَلِلْجُودِ بَاطِنِهَا مَشْرَعٌ فَإِنْ شِئْتَ قَلَّ إِنَّهُ جَنَّةُ النَّعِيمِ
 وَرَاحَتُهُ الْكُؤُوسُ تَقْصُرُ إِنْ سَابَقَتْهُ الرِّيحُ
 وَيُنْسِي الرَّشِيدُ (٧) لِذِكْرِ الرَّشِيدِ
 وَيُحْقِرُ — مِنْ جَعْفَرٍ — جَعْفَرُ (٨)

- (١) العصر : الشابة راحقت العشرين .
 (٢) هكذا في ت وفي الأصل : أي .
 (٣) هكذا في ت وفي الأصل : من .
 (٤) هكذا في ت وفي الأصل : وجهه .
 (٥) هكذا في ت وفي الأصل : وجهه .
 (٦) يفتَر : ينتشى ، واللها : العطايا .
 (٧) يريد هرون الرشيد .
 (٨) يريد جعفر بن يحيى البرمكي .

وكيف يُسْمُونَهُ جَعْفَرًا^(١) ومن فيض راحته أبحر
 وكيف يلومون حسَّادَهُ وقد حسدت عصره الأَعْصُرُ
 من القوم لا رَفْدُهُمْ للعفا ةِ يُحْصَى ولا تَجْدُهُمْ يُحْصَرُ
 فَرَفْدُهُمْ مِنْهُمْ مُرْبِحٌ ووفهم بهم مُحْسِرٌ
 بدورٌ إذا انتسبوا للأنامِ فزهرُ النجومِ لها مَعَشِرٌ
 ولا مثلَ هذا الرئيسِ الذي له مَفْخَرَةٌ ماله مَفْخَرٌ^(٢)

ومنها:

وتوردُ في مَنَهْلِ المَكْرَمَاتِ وتصدرُ عن أملٍ يصدر
 فِدَاهُ من السوءِ حَسَّادَهُ جميعًا على أَنَّهُم أَحَقَّرُ
 فكَم قَدَّرُوا الوضَعَ من قدره وتأبى المقاديرُ ما قَدَّرُوا
 وكَم آتَرُوا تَمَّ عَلِيَّانَهُ فما ثلثوها ولا آثَرُوا
 يَحْلِقُ نحو سماءِ العَمَلِ وهم قبل تحليقه قَصَّرُوا
 فَلَله مِنْهُ فَتَى عَزْمِيَّةِ [تجىء الليالي بما يَقْدُرُ]^(٣)
 ونِظَامٌ مَجْدٍ يَرَى نَفِيَهُ لأَعْرَاضِهِ أَنَّهُ الجَوْهَرُ
 وَعَدْلٌ فَعَلٍ يَقُولُ الزَّمَانُ لإِجْبَارِهِ إِنَّهُ مُجْبَرٌ^(٤)
 وَبِحُرِّ عِلْمٍ يَرَى مَوْجَهُ يُعَبِّرُ عَنْهُ ولا يُعْبَرُ

(١) الجعفر : النهر . (٢) الشطر في ت هكذا : على كل نخر له مفخر .

(٣) في الأصل بياض ، والبيت غير موجود في نسختي الديوان ، ووضعنا الشطر ملأما للسياق .

(٤) يقول لأنه يأتي عمله عن حرية وإرادة ، فكأنه من يؤمنون بأن الإنسان يخلق أفعاله ، وهم المعتزلة الفائلون بفكرة العدل ، وفي الوقت نفسه يجبر الزمان على ما يريد ، فكأنه من أهل الجبر الذين يقولون بأن كل شيء يقع بقضاء وقدر ، وهي مشكلة أو طباق بين عدلٍ وجبر .

لك الله ماذا عسى أن يقولَ لسانى وماذا عسى يذكر
 فقد صرتُ أشعر إن رمتُ نظمَ مديحك أنى لأشعر
 وإنى عزمت على سفرةٍ أرى وجهه إقبالها يسفر
 وأحببتُ خدمةَ مَنْ دهرُنَا لأغراضه خادمٌ أصغر
 وآثرتُ صحبةَ مولى الأنامِ لأبلغ منه الذى أوتِرُ
 ستغبطنى فيه شمسُ الضحى ويحسدى القمر النويرُ
 وأصبحُ لا عيشتى عنده تدمُّ ولا ذمتى تخفَرُ
 وأبصرُ دهرى من ذنبه يتوبُ إلىَّ ويستغفر
 أودعُ منك الحيا والحياةَ وأودعُ قلبى لظىً يسعر
 وأرحلُ عنك ولى خاطرٍ بتذكار غيرك لا يخطر
 ومن كان مثلى سعى فى البلاد فيكسى من العز أو يكسر
 وما طلبى غير نيل العلاء ومثلى على مثلها يعذر
 فلا تنسى من مجاب الدعاء فأنى وليدك يا جعفر

وقال وقد اقترح عليه أن يذم الخال :

يا من غدت تحتال فى خالها وخالها يقضى بتهجينها
 كأنما خذك تفاعلةً وخالها نقطة تعيينها^(١)

وقال فيه :

لا تجرِ دمعًا على سعادٍ فإن هجرانها سعادة
 زهت على قومها بخالٍ أكسبها منهم زهاده
 وما درت أن كلَّ خالٍ بغضته للظريف عاده

(١) العينين : أن يكون فى الجلد ثقب أو دوائر رقيقة كالعين .

[٤٤ ط] إني لأختصه بمقتي / لما تخيلته قراده^(١)

وقال في قواد^(٢) :

لى صاحبٌ أفديه من صاحبٍ حلو التائي حسن الإحتيال
لو شاء من رقة ألفاظه ألت ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما قاد إلى المهجور طيف الخيال

وقال :

وغادةٍ عندها وغادة^(٣) صارت لها سُنَّةٌ وعاده
إن هام بها جنونا جعلتُ ساقاتها قِلَادَه

وقال يهجو :

١٠ وشاعرٍ كاتبٍ أديبٍ منظمٍ العقدي^(٤) والقياس
قلتُ له والفضول دالا وهو كما قيل كالمطاس
لم صرت تبغى وصرت تبغو^(٥) قال من العشق للجناس^(٦)

وقال :

١٥ لأصرفُ الوجّه عن إنسانٍ غانيةٍ ولستُ أصرف عنها وجه إنسانى
ولا أريدُ لقوادٍ مُساعداً إن الشيبية من أعيان أعوانى

(١) القرادة : حشرة صغيرة .

(٢) ذكر الحموى في خزانة الأدب هذه الأبيات في باب ذكر المهجو في معرض المدح .

(٣) وغادة : من وغد أى صار وغداً لثيماً .

(٤) فت : العقل . (٥) تبغو : من البغاء .

(٦) فت : فى القياس .

وقال موشحاً يمدح به أباه :

أَخْمَلَ ياقوتَ الشفقِ	دُرُّ الدراري	
وساح في أفقِ الفسقِ	نَهْرُ النهارِ	
وفتَّ كافورُ الصباحِ	مسكَ السماءِ	
وفاح من نشرِ الأفاحِ	نشرُ الكِباءِ ^(١)	•
وهبَّ [من] جسمِ الرياحِ	مثلُ الهباءِ	
ولاح من زهرِ البطاحِ	ندُّ الهواءِ	
وسار في بَدْرِ الأفقِ	سِرُّ السَّرارِ ^(٢)	
وقد وقى الشمسَ الفَرَقِ	منه سمارى ^(٣)	
فاتركَ لعيدانِ الطلوعِ	تَنَدُّبُ مَيَّا	١٠
واشربَ على رغمِ العذولِ	من الحَمِيَّا	
وانثرَ على أفقِ الشُّمُولِ	عِقْدَ الثريا	
وقل لساقيكِ العجولِ	باللهِ هَيَّا	
أما ترى نورَ الفَلَقِ	شيبَ بنارِ	
لعَلَّهُ قد استرقِ	شمسَ العُقارِ	١٥
لاشمسَ إلا من مدامِ	ذاتِ وقودِ	
تجلو بتمزيقِ الظلامِ	وجهَ الرشيدِ	

(١) الكباء : عود البخور .

(٢) السرار : آخر ليلة من الشهر .

(٣) السمارى : جمع سمارة وهي انظلمة .

نفسُ العلامِ معنى الأنامِ سرُّ الوجودِ
وهو إذا عُدَّ الأنامِ بيتُ القصيدِ

تخلفوا وقد سبقُ إلى الفخارِ
فليس فيهم من لَحِقُ غيرَ الغبارِ

أغنى وأقنى ^(١) باللهي وما تَعَسَّرُ
وقاده فضلُ النهي فما تَعَثَّرُ
ورام أعلى ما اشتهى فما تَعَذَّرُ
وحاز مقدارَ الشها فما تَكَبَّرُ

فَلَّ رَبُّ قَدْ خَلَقُ بالأقتدارِ
هذى المَعَالِي من عَلَقُ بلا تَمَارِ

عمرى ببقياهُ شبابُ والعيشُ صافِ
وليس لى فيه شرابُ غيرُ السُّلافِ
وكعبتي خودُ كعبُ لها طوافِ
قالت برغم الاجتنابُ والأنحرافِ

جِي يَا حَبِيبِي وَاسْتَبِقُ وَأَحْلُلُ إِزَارِي
فإِن زَوْجِي مَا غَلَقُ ذَا الْيَوْمِ دَارِي

وقال موشجاً يرثى أمه :

يَا مَا عَرَا قَلْبِي وَمَا دَهَاةُ مَضَى نَهَاةُ
لَمَا نَهَاةُ الْوَجْدِ مَعَ مَنْ نَهَاةُ

(١) أقنى : أغنى .

ما زال لي مذ دهاني الزمان
 أنس شجاعاً واصطباراً جباناً
 وعبرة خالعة للعنان
 لا تقبل الصون وترضى الهوان

• وناظري قد غاب عنه كراهه ترى سراه
 أو يفسح الدهر له في سراه

صبراً جميلاً أين صبرٌ جميل
 ذاك سبيل ما إليه سبيل
 وقتي قصيرٌ وحديثي طويل
 حسبك من راحتته في العويل

١٠

وجل ما يبغيه لقياً الوفاءه وهي شفاءه
 تبرى خطوباً خاطبته شفاءه

حزني على أمي حزن شديد
 تبلى الليالي وهو غض جديد
 قفل لئار القلب هل من مزيد
 وقل لصرف الدهر هل من محيد

١٥

غلطت دع دهرى وما قد نواه فهل عساه
 يأتي إلا دون ما قد أتاه

لهني على من شطَّ منها المزارُ
وأظلمتُ من بعدها كلُّ دار
وصار للعقدارِ فيها الخيازُ
وقد بكى الليلُ لها والنهارُ

هذا لفقْدِ العُرفِ ما قد شجاه وللصلاه
هذا أطالَ الوجدُ فيها بكاه

يا ليتني سابقها للمات
ولا أرى نفسي بشر الصفات
منتزع الصبرِ عديم الثبات
فكم ثكالي قانَ مستعجلات

هذا المسكينُ ما بقي له حياه هَدَّ قواه
واهاً عليه ثم واهاً وواه

وقال يذكر ليلة وصال :

ظني بجسماء^(١) حالي الجيدِ بالعطلِ لكنه قد جلاه الحسنُ في حُللي
موشحاتٌ ولكن من ذوائبه لما رآه مُحشَى الطرفِ بالكحلِ
أنى إلىَّ وأهدى^(٢) خدّه لعمى ففقتُ أقطفُ منه وردةَ الخجلِ
والليلُ قد مدَّ سِتْرًا من سحائبه لما تخيلَ أنَّ الزهرَ^(٣) كالقُللِ
قنا ولا خطرٌ إلا إلى خطرٍ دانٍ ولا خطوةٌ إلا إلى أجلِ

(١) حسماء : هي حسمى ، وسبق التعريف بها .

(٢) فت : وأهوى . (٣) فت : السحب .

- والعينُ تسحبُ ذيباً من مدامعها
أَكْفُفُ النَّفْسِ مَعْ عَلِيَّ بَعْرَتِهَا
لكنني بالمواضي غيرُ مكترثٍ
/ وكاد يهلك لولا الصبرُ من فرَقِ
حتى أتينا إلى ميعادِ مَأْمَنَةٍ
أواصلُ اللَّئِمَّ من فرَجِ إلى قدمِ
وجيِّبُ^(١) الشوقُ ثوباً من معانقةِ
وبات يُسْمَعِي من لفظِ منطقهِ
وددتُ أعضاءَ أسماءِ لتسمعهُ
ودمعةُ الدَّلِّ يُجرِيها على جسدي
ونلتُ ما نلتُ مما لا أهُمُّ به
ومرّاً والليلُ قد غارتُ كواكبهُ
لم أسعَبِ الذليلَ كي أحمو مواطنهُ
يا ليلَةً قد تولَّتْ وهي قائلةُ
وقال عند خروجه من مصر وتوجهه إلى الشام:

لما دعا في الركبِ داعي الفراقِ
يا دمعُ لم تدعُ سوى مهجتي
إن كنتَ قد حمتَ لظي زفرتي
وإن تكنُ أسرعَتَ من جِنَّةِ
لَبَّاهُ ماءُ الدمعِ من كلِّ ماقِ
فلمَ تطفَلَّتَ بهذا السباقِ؟
فأنتَ معذورُ بهذا الإباقِ
إن لها من أنتى ألفَ راقِ

(١) جيِّبُ: جبل للثوب جيباً وهو فتحته العليا، وفي ت: وأسبل.

(٢) الطفل: آخر الليل عند الشروق أو إلى الشروق.

(٣) في ت: لا تنظمي.

- مهلاً فما أنت كدمع جرى
فقتتُ والأجنانُ في عبْرَةٍ^(١)
أسقى بُمُزْنَ الحزنِ روضَ النَّوى^(٢)
وأسلفَ التوديعِ شكري لكى
وما عناقُ المرءِ محبوبه
لله ذاك اليومِ كم مقلّةٍ
ومعشرٍ لا قوا وجوه النَّوى
ووالدٍ بل سيدي واله
كانَ ذاك اليومَ كأسٌ له
يقول [لى^(٤)] [أتعبت^(٥) قلبى فلا
أيقنتُ أنْ ألبَسَ فى بلدة
هُمُ معشرٌ دق^(٦) ومن أجل ذا
لما سرتُ خيلى بهم عنهم
وبدرٍ تمّ قال لى عاتباً
خدعتنى حتى إذا حُزنتى
قلت بدورُ التّم أسرى الشرى^(٨)
وأبقى طليقاً ما نأت داره
- وراقَ بل أنت دماءُ تُراقُ
والدمعُ من مسألتي فى شقاق
يا قُرْبَ ما أثمرَ لى بالعناق
يخدعُ قلبى بتلاقى التّراق^(٣)
إلا بأن يلفتَ ساقٌ بساق
غزّقى وقلبٍ بالجوى ذى أحتراق
وهى صِنْفاقٌ بوجوه رِقاق
سقاها توديعى كأساً دهاق
الهمُّ شُرْبٌ ويدُ البعدِ ساق
لقيتَ من بعدى ما القلبُ راق
أخلاقَ قومٍ ما لهم من خَلاقٍ
أضحتُ معانى اللؤمِ فيهم دفاق
أسميتُ قلبى بعِتاقِ العِتاق^(٧)
فَلَّتْ صبرى يا كثيرَ النفاق
سلّطتَ بالبينِ على المِحاق
فارضَ بأنى لك يا بدرُ واق
ودعُ أسيراً سائراً فى وثاق

(١) هكذا فى ت ، والشطر فى الأصل : فقتت والأحزان فى عزة .

(٢) فى ت : اللوى . (٣) التراق : جمع ترقوة .

(٤) زيادة من ت . (٥) هكذا فى ت والأصل : أبيت .

(٦) دق : جمع دقيق وهو القليل الخير .

(٧) عناق العتاق : كرائم الخيل النجبية .

(٨) السرى : السير ليلاً ، وأسرى : جمع أسير .

وربما كانت لنا عودةٌ
 مذْصُقِ القلبُ لتوديعهم
 فإن تكنْ كان إليك المساق
 وإن كان وجدى غيرَ فانٍ به
 وخرَّ لم يتلُ ، فلما أفاق...^(١)
 والله ما يسوى وإن كبروا
 فإن جسمى بعده غيرُ باق
 يومَ النوى عندى غيرُ^(٢) التلاق
 ومما قال بحجاه^(٣) :

من للغريب هفتُ به الفِكرُ
 لا تلتقى أجنانُ مقلته
 لا العينُ تؤنسُهُ ولا الأثرُ
 فكأنا أهدابه^(٤) إبرُ
 يبكى البكاء ويسهر السهر
 من طولٍ ما يُرَمَى بفرَبته^(٥)
 سَحَرُوا الظلامَ فما له سَحَرُ
 ياطولُ ليلٍ لا صباحَ له
 ولقد تحلأ^(٦) عن منازلهِ
 طيفُ لطولِ سُرَاهِ مُنبَهَرُ
 يأتى إلى النقع غلته
 فيصدُّهُ مِنْ مَدْمَعِي نَهَرُ
 وعهدتُ قلبى جِسْرَ مَفْبَرَةٍ
 لكنَّ ذاكَ الجِسْرَ مُنْكَسِرُ
 مذ نمتُ لكن فى كَرَى وَلَهَى
 خيَّلتُ أن خيالَهُ القمَرُ
 يادهرُ يامن لا حُنُوَّ له
 أو ما علمتُ بأننى بشرُ
 لو كنتَ تنطقُ قلتُ لمْ بَطْرًا
 نَجْمِيعُ ما بك أَصْلُهُ البَطْرُ
 تأتى حماةً وتشتكى كدرًا
 أو ما علمتُ بأنها كدرُ
 وبقيتَ لا أهلٌ ولا ولدٌ
 فيها ولا وطنٌ ولا وطرُ
 صه يا زمانُ فإننى رجلُ
 لَيْسَتْ تُغَيِّرُ صَبْرَهُ الغَيْرُ

(١) هذا من نوع الاكتفاء الذى مر ذكره أى فلما أفاق تلا .

(٢) فى ت ، وج : يوم .

(٣) حماة : بلدة فى شمال الشام .

(٤) هكذا فى ت ، وفى الأصل إبعادها .

(٥) هكذا فى ت وفى الأصل : بصحبته .

(٦) تحلأ : طرد ومنع .

ماء البشاشة ملء صفحته والقلبُ فيه النارُ تَسْتَعِرُّ
 ولربما هطلت مدامعهُ ومُرادهُ أن يَفَرِّقَ الحورُ
 فانخذُ ميدانَ صواجلهُ هُدْبٌ لها من دمعهُ أَكْرُ
 والنبعُ^(١) قالوا ماله تَمَرُّ أنا نبعهُ والدمعُ لى ثمرُ
 ولأزكبن الصعبَ غُرَّتُهُ / غَرَبَتْ^(٢) وخَطَرَةٌ عِطْفُهُ خَطَرُ
 إِمَّا وإِها وهى واحدةٌ — فيها مُرادُ النفسِ — يَنْتَظِرُ
 ريحَ الجنوبِ أراكِ ناحلةً هل شَفَّ جسمَكِ مثليَ السفرُ
 وأراكِ طَيِّبَةً مُعَطَّرَةً هل أنتِ من أحبابنا خَبْرُ
 تلك الأجابة روضُ ودِّهِمْ خَضِلُ وماء صَفَّاهم خَصِرُ^(٣)

[٤٥ ط]

١٠

ومنها :

فارقتهم فتأيلوا أَسْفًا حتى ظننا أنهم سَكِرُوا
 فكأنهم لدموعهم شربوا وكأنهم بأنيبهم نَقَرُوا^(٤)
 كم فيهم من غَضَّ ناظرَهُ لما خلا من شخصى البصر
 ويظن ظننا أن مقلته لولاي لم يُخَلِّقْ لها نظر
 يا ويح طرفٍ بعد فرقتهم لم يَجْرِ دمعٌ بل جرى قَدَرُ^(٥)
 كم كنت أحذرُ من فراقهم فإذا دهى قَدَرٌ فلا حَذَرُ

(١) النبع : شجر تتخذ منه القسي والسهام .

(٢) الغرر : الهلاك والتعرض للخطر من غرر بنفسه .

(٣) خصر : بارد ، وخضل : مبال بالندى .

(٤) يريد بالنمير : صياح السكارى .

(٥) تدل ت وج على أن هذا البيت ملفق من بيتين لابن سناء فهما فهما على

هذا النحو .

يا ويح طرف بعد فرقتهم صرت به العبرات والعبر
 صدق الذى قالت بلاغته لم يجر دمع بل جرى قدر

لهفى على عيشٍ بنعمته كانت ذنوبُ الدهر تغفر
ومنازلٍ باللهو أهلة تزهى بها الآمالُ والفكر^(١)
ومنازه من حُسْنِ حيلتها يُنسى الجبورُ وتُنثرُ الخبرُ

ومنها:

• تلك الفصون شعورها ورقّ متكلّلاً وعقودها زهرُ
تحت النهود كأنها بدرٌ سرّرتُ تفرّغُ فيهم صرّ^(٢)
أهاً لثغرٍ لو ظفرتُ به وكذا الثغور بها يرى الظفر
من شادنٍ طرفي لفرقته زند^(٣) ومخرٌ مدامعى شرّ
متحيرٌ في طرفه الحورُ متبرّجٌ في وجهه الخـفر
لولم يكن في الجفن عسكره ما قيل إن الجفن ينكسر
حفتُ مواردَه قـالـئـدُه ويلاهُ ذا خصمٍ وذا خصير^(٤)
لم أخصم عانتُ قامتَه فتكسرت من ضمى الدرّ
أصبرت^(٥) حتى يوم فرقتَه يا قلبُ! والتحقيقُ يا حجـرُ

وورد إليه الخبر بوفاة الأسعد ولد الشيخ الأجل السديد علم الرؤساء، فقال

١٥ يرثيه ويمتذر إلى والده من تأخير الرثاء بحكم اشتغاله بأحوال السفر، ونفذ إليه

من حلب:

أصبحتُ بعدك في الحياة كفانٍ وقد اكتفيتُ ولا أقولُ كفاني

(١) رواية: تزهى بها الآصال والسكر.

(٢) البدر والصرّة: كيس النقود.

(٣) الزند: حجران تستخرج منهما النار بحكهما.

(٤) الخصر: البارد، والخصم: المجادل ويريد هنا بالخصام التمتع.

(٥) هكذا في ت، وفي الأصل: أبصرت.

- أبكي فتجري مهجتي في عبرتي
وتعجم^(١) أنفاسي ولما يُنجِها
نسخت وفاتك أدعى فلكم جرت
لا بل هي العقيانُ سالَ وإنما
قد سلنَ ألواناً ليعلمَ أني
واقاني الناعي لكي ينعمالك لي
وغزاً^(٣) وجيشُ الرزءِ من أعوانه
لا أدعى أن النعيَّ أصمَّني
يا ثالثَ القمرين حُسناً قد بكى
دينارُ وجهك حين أهبطَ في الثرى
وسيوفُ برقِ الجوّ لما أعمدت
ودَّت لو انعمدتُ ولكن تغتدي^(٧)
يا ترُّبُ ما أنصفتَ نضرة غصنه
غُضنُ فنونُ الطرفِ في أفنانه
تستوقفُ الرأيَ معاني حسنه
- فكانَ ما أجرَيْتُهُ أجراني
دمعٌ هو البحرانُ^(٢) بل بحراني
كالدرِّ وهي اليوم كالمرجان
أبكي العزيزَ علىَّ بالعقيان
في حمل فرض الحزن غيرُ الواي
ومضى على أدراجه ينعماني
وبرزتُ والإغوالُ^(٤) من أعواني
فيهنُ أصمَّ وإنما أصمَّاني^(٥)
حُزناً لأجلِ مصابك القمران
كادت تفرُّ الشمس للميزان^(٦)
صفحاتُ ذاك الوجه في الألفان
هامُ العدا بدلاً من الألفان
أكذا صنيعُ الترب بالأغصان
تعلو على الجاني وهنَّ دواني
عجِّبا بها فكأنهنَّ مغاني^(٨)

(١) تعجم : تسخن .

(٢) البحران : من قولهم دم باحر وبحراني : أي خالص الحمرة .

(٣) هكذا في الأصل ، وفي ت : غدا .

(٤) هكذا في ت ، وفي الأصل : والأعوان .

(٥) أصمى : رمى فقتل .

(٦) الميزان : أحد البروج الإثني عشر التي تنتقل فيها الشمس .

(٧) يريد أن هام العدا تصح أجفاناً بدلاً من أجفان السيوف .

(٨) هكذا في ت و ج ، وفي الأصل : معاني ، والمغاني : جمع مغني ، وهو المنزل غني بأهله

ثم فارقه .

كم ماد من سكر الشباب فهل درى
قد كان يرفل في ثياب شببية
جمعت خلائفه له وصفاته
ومنها:

أصبحتُ مملِكٌ مُفَرِّدًا متغربًا
والفرقُ أنك في الجنانِ وأنى
قد كنت أحمِلُ همَّ بينِ واحدٍ
كيف اصطباري من فراقِ واحدٍ
وتسوء فرقة من تحبُّ ولا يرى
صبرى وموتك في حشاي كلاها
أرستُ فيك الدهر عتبا مؤلما
قلبي يحاسبُه على إجرامه
غيرى هو السالى وإنى قائلٌ
فلئن سلوتك ناسيا لا قاصدا
ومنها: ١٥

يأبىها المولى السديدُ ومن غدا
صبرا جميلا يفتدى قلبي به
والله يعلم ما حوته جوانحي
ولئن غدا منى الرناء مؤخرًا
أولى الورى بالصبرِ والإيمان
فهو المعنى بالهموم العانى
مما دهاك وما أجنَّ جنائى
من أجل شغل القلب والأحزان^(٣)

(١) هكذا رواية الشطر في ت ، وروايته في الأصل هكذا : أردانها بزت من الأردن .

(٢) اللران : جمع صرانة ومى الرماح اللدنة الصلبة .

(٣) الشطر في ت هكذا : من أجل شغل الدهن بالأحزان .

فلقد رثتُ عيني بنظمٍ مدامعي وأرى الدموعَ (١) مرأىَ الأجفان
لم يرثه مني لسانٌ واحدٌ لكن رثتُ بدمامعي عينان
خدى كطرسى والمدامعُ فوقه شِعْرى وإنسانى كمثل لسانى
ولقد علمتُ قصورَ ما قد قُلْتُهُ (٢)

ولا نذكر البيت الأخير (٣) لأن فيه نقصَ دين وضعفَ إيمان وقلةَ توفيق ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال مستوحشاً من صديق جرت عاداته بالاجتماع معه في مُتَزَهٍ له :

جلستُ ببستانِ الجليسِ ودارِهِ فهِيجَ لى ممن تناسيتهُ ذِكْراً
وسُقِّيتُ شمسَ الكاسِ ساعةَ ذكرِهِ فلم تستطع في ليل همى من مَسْرَى
فيا ساقى الكاسِ التى قد شربتها رويدك إنَّ القلبَ من أُمَّةٍ أُخرى ١٠
ولو وُصِلتْ سودُ الليالى بشِعْره لما خَشِيتُ من غير غُرَّتِهِ فجرا
تذكرتُ وَرْدًا للمليحِ مُحَجَّبًا يمدُّ عليه ظلُّ أهدابه سِتْراً
فصرتُ أجازى القلبَ من أجلِ ذكرِهِ فيقتلنى ذكري وأقتلهُ صبراً
أقبلُ ذاك الظلَّ أحسبه اللّامى وألثم ذاك الزهرَ أحسبه الثغرا
وكم لأئمِّ لى فى الذى قد فعلتهُ وكم فائلٍ دَعَّه لعلَّ له عذرا ١٥
لأجلك يا من أوحش العينَ شخصه أنستُ لسُهدٍ يمنع العينَ أن تَكَرَى
وقاسيتُ منك الغدرَ والهجرَ والقيلَ وأنفقتُ فيك الشعرَ والعمرَ والدهرا
وأفلسَ طرفى حينَ أنفقَ دَمَعَهُ فأجرى فى دمعا يسْمُونَهُ شِعْرا

(١) هكذا فى ت وفى الأصل : الربوع وهو تحريف .

(٢) هكذا فى ت وفى الأصل : ولقد علمت قصوره ما قلته .

(٣) جاء البيت فى ت ولكنه محرف ومضطرب فى الشطر الثانى ، وتبدو فيه مقارنة بين

الرتاء بشعره والقرآن الكريم ، ولعل ذلك ما جعل الهاد يصفه بما وصف .

وفارقتُ عِزًّا بالشَّامِ لِأَلْتَقَى
لئن طَبْتُ فِي مُسْتَنْزِهِ لَمْ تَكُنْ بِهِ
وَلَوْ كُنْتُ فِي عَدَنَ^(١) وَكُنْتُ بِغَيْرِهَا
وَلَوْ كُنْتُ فِي بُصْرَى^(٢) وَحُبِّكَ لَمْ أَقُلْ
وهذا المصراع الأخير هو مبتدأ أبيات كان عملها عند عبوره على بُصْرَى :

أَيَا بَصْرَى لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى بُصْرَى
وَمَا بِلَدَةٍ لَمْ يَسْكُنُوهَا بِبِلَدَةٍ
وَمَا الْقَفْرُ بِالْبَيْدَاءِ قَفْرٌ وَإِنَّمَا
تَذَكَّرْتُ أَحِبَابِي وَإِنِّي لَمُؤْمِنٌ
لَقَدْ ضَرَّعَنِي الْبَيْنَ الْمُنْتَهَى وَمَزَّنِي^(٣) ١٠
أَهْبَطُ مِنْ مِصْرٍ وَقَدَمَا قَدْ اشْتَهَى
وَكَمْ لِي بِهَا دِينَارٌ وَجِهٌ تَرَكْتُهُ
فَوَاللَّهِ مَا أَشْرَى الشَّامَ وَمُلْكُهُ
فَإِنْ عَدْتُ وَالْأَيَّامُ غُوجٌ رَوَّاجٌ
وقال : ١٥

يَا عَاطِلَ الْجَيْدِ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِهِ
فِي سَلَكِ جَسْمِي دُرُّ الدَّمْعِ مَنْتَظِمٌ
لَا تَحْشَى مِنِّي فَإِنِّي كَالنَّسِيمِ ضَنَّأُ
عَطَّاتُ فَيْكَ الْحِشَا إِلَّا مِنَ الْحَزَنِ
فَهَلْ لَجِيدِكَ فِي عِقْدِ بِلَا ثَمَنِ
وَمَا النَّسِيمُ بِمَخْشَى عَلَى غُصْنِ

(١) عدن : جنة عدن .

(٢) بصرى : من أعمال دمشق وهي في كورة حوران .

(٣) مز : من شرب المز ، وهو الحامض .

(٤) زيادة من ت ، وقد سقطت في الأصل .

وقال :

ظبيٌ بمصر^(١) نسيْتُ مِنْهُ عناقَ غزْلابِ العراقِ
ورسفتُ راحَ رُضايهِ لَكِنَّهُ حلوُ المذاقِ
فإذا أتانيَ عاطلاً حَلَّتْهُ لى دَرَرُ المآقِ
وإذا تَأَطَّرَ قَدَّهُ فأنا المَقْفُ بالمناقِ
يا حَسَنَ أيا مِى بِهِ لو أن أيا مِى بَواقِ
باللهِ يا قَرَّ الورى مَنْ خَصَّ خَصْرَكَ بالمحاقِ
وعلامَ يَغْلُظُ سِلْكَ خُلُقِكَ مَعِ حواشيكِ الرقاقِ
كم يعذلون على أنْخِلا عى فى وصالك^(٢) وأنهرأقِ^(٣)
ودواء ما تصبو إليه النفسُ تعجيلُ الطلاقِ^(٤)

وقال :

كم لنا من خُلْسٍ فى الفَلْسِ خُلْسٌ تَمَّتْ برغمِ الحارسِ
نلتُ فيها عَسلاً من لَعَسِ^(٥) آه واشوقى لذاك اللعسِ
قد تنفستُ فهل عنْدكم أنْ نَفْسى خَرَجَتْ من نَفْسى

وقال فى بستانه :

يا أيها البستانُ إنْ حَصَلْتَ لى من صرتُ نَجوراً بكاسِ مِكاسه^(٦)

(١) هكذا فى ت وفى الأصل : من الترك ولا يستقيم معها الشعر .

(٢) هكذا فى ت وفى الأصل : وصال .

(٣) الانهراق : من هرق الماء إذا صبَّه .

(٤) فى ت : الفراق .

(٥) اللعس : السواد فى الشفة .

(٦) المكاس : الذساح فى البع .

/ لأَحَدَيْكَ من بهاء جبينه ولأَخْلَعَنَّ عَلَيْكَ من أَنْفَاسِهِ [٤٦ ظ]

وقال في الحمر :

عروسكمُ يا أيها الشَّربُ طالقٌ وإن فَتَنَتْ من حسنِها كلَّ مجتلي
دفعْتُ لها عقلي وديني مقدِّمًا فقالت وجنَّاتُ النعيمِ مُوجَّلي

• وقال في جارية في خدها ماسور^(١) :

بنفسى فتاةٌ يكتبُ الغصنُ إنْ مَشَتْ إلى قَدِّها الميَّاس : من عبد عبدِها
ولى جَسَدٌ ما زال مأسورَ صدها إلى أن حكى فى السقمِ ماسورَ حدِّها
أشْبَهُ ذاكِ الخلدَ منها بحمرةٍ وشابورةِ الماسورِ طابَعُ نَدِّها

وقال يمدح الأجل الفاضل ويشكره على عيادته له فى مرضه :

رأيتُ طَرْفَكَ يومَ البينِ حينَ هَمَى^(٢) والدمعُ ثَمَرًا وتكحيلَ الجفونِ لَمَى
فاكفَفُ ملامكِ عني حينَ أَلْتَمَهُ فما تشككتُ أنى قد رأيتُ^(٣) فما
لو كان يعلمُ معَ علمى بقسوته تألَّمُ القلبِ من وخزِ الملامِ لَمَا
رنا إلىَّ فقال الحاسدونُ رنا وما أقولُ رنا لكنْ أقولُ رمى
رمى فأصمى ولولم يرمِ متُّ هوى أما ترونَ نحولى فى هواه أما
وبات يحمى جفونى من طروقِ كَرَى^(٤) ولم أرَ الظبيَ منسوبًا إليه حمى
وصاد طائرَ قلبى يومَ ودَّعنى يا كعبهَ الحسنِ مُذْ أَحَلَّتْهُ حَرْمًا
يا كعبهَ ظلَّ فيها خالها حجرا كم دا أطوفُ ولا ألقاه مُسْتَمًا
مذشفٌ جسمى من نارِ الغرامِ ضنًا لاح الشعاعُ على خديهِ مُضْطَرَمًا

(١) الماسور : يظهر أنه ندية .

(٢) هكذا فى ت وج وفى الأصل : حمى .

(٣) هكذا فى الأصل وفى ت وج : لثمت

- وشفَّ كأسٌ فَمِ منه لرقتهِ
يا كسرةَ الجفنِ لِمِ أَسْمُوكِ كسرته
وكم^(١) أَعَزَّتِ على الأرواحِ ناهبةً
مولاكِ فاق ملاحَ الخلقِ قاطبةً
أقولُ والريحُ قد شالت ذوابتهُ
شكرتُ طيفكِ في إغبابِ زورته
ولستُ أطلبُ منه رِفْدَهُ أبداً
لكنَّ عهداً قديماً منك أطلبه
وازداد حبك أضعافاً مضاعفةً
ولستُ أنكرُ لاربيِّنا ولا تهماً
ولستُ أتبعُ حبي بالملام كما
ذاك الأجلُ الذي تلقى منازله
أغنى وأقنى وأعطى سُؤلاً سائله
وقصَّرَ البحرُ عنه فهو مكتئبُ
وولَّتِ السحبُ إذ جارتُهُ باكيةً
ولو رأى ابنُ^(٤) أبي سُلمي مواهبهُ
ولو أعارَ شماماً^(٥) من خلائقه
- فلاح فيه حبابُ الثغر منتظماً
وجيشُهُ بك للأرواحِ قد غنماً
إن كان ذلك عن جُرمٍ فلا جرماً
فهو الأميرُ وقد أُخِّحُوا له حشماً
أصبحتَ فيهم أميراً أم^(٢) لهم علماً
لأنَّ مثلي لا يستسمنُ الورماً
لأنَّ ذا الحِلْمِ لا يسترفدُ الحِلْمَا
وربما نسيَ العهدُ الذي قدماً
وربما صغُرَ الشيءُ الذي عظماً
من يعرفِ الحب لا يستنكرُ التهماً
لا يُتبعُ ابنُ عليٍّ برَّه ندماً
فوق السماء وتلقى داره أئماً^(٣)
وأوجدَ الجود لما أعدم القَدَمَا
أما تراه بكفى موجِه التظماً
أما ترى الدمعَ من أجفانها انسجماً
رأى جدًا هَرِمٍ مثلَ أسمه هَرِمَا
حِلْمًا^(٦) لأبصرت في عمرينه شما

(٢) في ت : بل .

(١) في ت : ولم .

(٣) الأمم : القريب الذي يؤم ويقصد .

(٤) ابن أبي سلمى : زهير الشاعر الجاهلي المشهور ، وهو هو هرم بن سنان الديلمي

المرى الذي خصه بمدائحهم .

(٥) شمام : جبل في الجزيرة العربية يكثر الشعراء من ذكره في أشعارهم .

(٦) في الأصل : علماً .

ومذ رأيتُ نفاذًا في يراعته
إذا امطى القلمُ العالى أنامله
قضى له الله مذ أجرى له قلمًا
ذات العباد يمينٌ قد حوت قلمًا
يُرِيكَ في الطرس زُهرٌ^(٣) الأفقِ زاهرةً
ويرقمُ الوشى فيه من كتابته
سطوره ومعانيه وما استبرت
تبرجت وهي أبقارٌ ومن عجب
فخرًا لدهرٍ غدا عبدُ الرحيم به
أسمى الورى وهو أسنهم يداً وندى
وأعرقُ الخلقِ في استيجاب رتبته^(٨)
كساه ربك نورًا من جلالته
يلوح في الصدر منه البدر حين سما
يغضى حياءً ويُغضى من مهابته

(١) رأيتُ بالرمح من أخبارها صمًا^(١)
حلى الطروس وجلى الظلم والظلمًا
بالسعد منه وقد أجرى به القلما
هو العباد لملكٍ قد حوى إرمًا^(٢)
وقد ترى فيه زهرُ الروض مبتسما
وما سمعنا سواه أرقًا^(٤) رقا
هنَّ الستورُ وهذى خلفهن دمي^(٥)
أن التخفُّرَ من أمثالها دُمًا
بالأمر والنهى يبدى الحكم والحكما^(٦)
وأوسع الناس صدرًا كلما سما
وأقدمُ الناس في استحقاقها قدما
يلقى العدو فيكسو ناظره عمي
والغيثُ حين همى والبحرُ حين طما
فما يُكلمُ إجلالًا إذا ابتسما

(١) هو من وصفهم الرمح بأنه أصم ، وهو الصلب .

(٢) يشير إلى قصة عاد والبلدة التي كانت تنزل فيها أو الجبال على نحو ما جاء في القرآن الكريم إذ يقول جل وعز : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد » .

(٣) زهر الأفق : النجوم . (٤) الأرقم : الثعبان والحية .

(٥) هكذا الشطر في ت وج وفي الأصل هكذا : بين السطور وهذى خلفهن دمي .

(٦) هكذا في ت وفي الأصل : الحلم .

(٧) هكذا في ت وفي الأصل : وأعرف .

(٨) الشطر في ت : وأعرق الناس حقا في رياسته .

هذا البيت تضمين (١) :

لما عَلِقْتُ بِجَبَلٍ مِنْ عَنَائِتِهِ
 وَحِينَ طَالَعَ طَرْفِي سَعْدَ طَلْعَتِهِ
 وَكَانَ قَدَمًا ذَوُو الْأَقْدَارِ لِي خَدَمًا
 يَا أَيُّهَا الْفَاضِلُ الصَّدِيقُ مَنْطِقُهُ
 أَعَدَّتْ لِلْعَبْدِ لِمَا جِئْتَ عَائِدُهُ
 [٤٧ و] تَرَكْتَهُمْ لِي حُسَادًا عَلَى سَقَمِي
 نَقَلْتَ شَانِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَلْتَ لَهُمْ
 تَفَضَّلْ مِنْكَ أَعْلَى بَيْنَهُمْ قِيَمِي
 هَبْ لِي مِنْ الْقَوْلِ مَا أَثْنَى عَلَيْكَ بِهِ
 وَمِنْهَا :

شكرى لنعمائك دينٌ لى أدينُ به

والكفرُ عندي أن لأشكر النعماء

وقال :

إِنَّهُ مَالٌ وَمَلَأٌ
 عَاطِلًا حَتَّى لَقَدْ عَا
 كُنْتُ فِي تَقْبِيلِ الطَّيِّبِ
 فَأَنَّى الطَّيِّفُ وَسَلَّى
 دَ مِنْ اللَّثْمِ مُحَلَّى
 يَفَ كَمَنْ قَبْلَ ظِلَّا

وله من قصيدة :

عَثَرْتُ وَلَكِنْ فِي ذِيُولِ دَمَوْعِي
 وَنَمْتُ وَلَكِنْ عَنْ لَذِيذِ هَجْوَعِي
 وَكَادَ فَوَادِي أَنْ يَطِيرَ صَبَابَةً
 لِقَانِصِهِ لَوْلَا فِخَاخُ ضَلْوَعِي

(١) يشير إلى أن البيت مقتبس من بيت الفرزدق المعروف :

يفضى حياءً ويفضى من مهابته
 فما يكلم إلا حين يتسم

وقال يهجو :

عبدٌ لعبد الله أعرفه ما زال مسكُ صنانهِ صائِكُ
يخلو به فيوُدٌ من كلفٍ لو أنهُ ... أسته لائِكُ
ولقد يكونُ . . . بينهما والله يعلمُ من هو . . .

وقال :

أما وهواك لولا خوف سخطكُ لهان على محبك أمر رهطكُ
ملكك الخماقين فتهت عجباً وليس ها سوى قلبى وقطك

٥ - الأسعد أبو المطرم

*أسعد بن الخطير بن مهزب بن زكريا بن ممان

أحد الكتاب في الديوان الفاضلى ، ذو الفضل الجلى ، والشعر العلى ، والنظم
السوى ، والخطير القوى ، والسحر المانوى^(١) ، والروى الروى ، والقافية القافية
أترالحسن ، والقريحة المقترحة صورة اليمن ، والفكرة المستقيمة على جدد البراعة ،
والفطنة المستمدة من مدد الصناعة . شاب للأدب راب^(٢) ، وعن الفضل ذاب ؛

(١) كان ناظراً للدواوين المصرية ، وأصله من نصارى أسيوط ، وكان آباؤه مكرمين
في الدولة الفاطمية ، وكانوا يعملون في دواوينها ، ولما ولي أسعد الدين شيركوه الوزارة
كان الخطير والده على ديوان الإقطاعات ، وكان لا يزال على دين المسيحية ، فصرفه
أسعد الدين عن الديوان فبادر هو وأولاده ، فأسلموا على يده ، فأقره أسعد الدين ، ولما مات
خلفه ابنه الأسعد على ديوان الجيش ، ثم أضيف إليه ديوان المال ، وحظى عند القاضي الفاضل ،
ولم يزل على ذلك حتى ولي العادل بن أيوب الديار المصرية ، واستوزر الصفي بن شكر ، وكان
بينه وبين أسعد حقد أثناء رياسته عليه في الديوان ، فأكثر عليه من المؤامرات والدسائس ،
وطالبه بكثير من الأموال فاستتر ابن ممان مدة ثم هرب إلى الشام ، ونزل حلب على ملكها
الظاهر بن صلاح الدين فأكرمه ، وما زال في رعايته حتى توفي سنة ٦٠٦ هـ ، وعمره اثنتان
وستون سنة . انظر ترجمته في معجم الأدباء ١٠٠/٦ وابن خلكان ٩٥/١ وتاريخ ابن كثير
٥٣/١٣ وحسن المحاضرة ٢٤٢/١ وشذرات الذهب ٢٠/٥ ومسالك الأبصار الجزء الثاني
عشر الورقة ٥٨ والمغرب نسخة الجامعة العربية الورقة ١١٩ وخطط المقرئ طبع بولاق
١٦٠/٢ . (١) المانوى : نسبة إلى ماني . (٢) راب : مالك

وهو من شملته العناية الفاضلية، [و] حَسُنَتْ منه البديهة والروية .

اجتمعت به في القاهرة وسائرني في العسكر الناصري وأنشدني من نظمه المعنوي، ما نثيت به خنصر الاستحسان، وأذنت لجواده في الإجراء في هذا الميدان . وأثبتُّ منه كلَّ ما جلا وحلا، وأشرق في منار الإحسان وعلا، وراج في سوق التَّبُولِ وَعَلَا . فنن قوله يصف الخليج يوم فتحه ^(١) بالقاهرة :

خليجٌ كالحسام له صِقَالٌ ولكن فيه للرأى مَسْرَةٌ
رأيت به المِلاحَ ^(٢) تجيدُ عوماً كأنهمُ نجومٌ في المجرَّة

وقوله في غلام نحوى :

وأهيفٌ أحدثَ لي نحوهُ تعجباً يُعْرِبُ عن طَرْفه
علامةُ التأنيثِ في لفظه وأحرفُ العلة في طَرْفه

وقوله في غلام خياط :

وخيَّاطٌ نظرتُ إليه ه مفتوناً بنظرته
أسيل الخدِّ أحمره بقلبي ما بوجنته
وقد أمسيتُ ذا سقمٍ كأنى خييط إبرته
وأحسدُ منه ذاك الخيِّ طَ فازَ برى ريقته

قال : هذا البيت الأخير للسيد أبي القاسم ^(٣) الكاتب . ولابن ممتى هذا

في قصيدة عملها هذا السيد لامية مفيدة أوردتها في شعره :

تبكى قوافى الشعر لاميةً بيَّضتها من حيث سودَّتْها
لما علا وسواسُ ألفاظها ظننتها جُنَّتْ فقيدتها

(١) هذا ما يسمى في كتب التاريخ باسم كسر الخليج .

(٢) في نسخة المغرب : الصغار .

(٣) هو عبد الرحمن بن هبة الله بن رفاعة الذي تقدمت ترجمته .

وقال :

أراكُم كحبابِ الكأسِ منتظماً فما أرى جمعكم إلا على قدح

وقال :

لقد مرّ لي في مصرَ يومٌ وليلةٌ ها في مُحَيّا الدهرِ كالسحرِ في الطرفِ
وما فيهما والله عيبٌ وإنما تولاهما مُجِبُّ فذاًبا من الظّرفِ

وقال :

ماصرت أجسراً أن أبكى لفرقتهم لأنهم زعموا أن البكا فرجٌ

وقال :

أحبّابنا والذي يقضى بألفتنا بعد الفراقِ ويُخلِّينا من الفرقِ
مازلتُ أخبطُ في عشواءِ مظلمةٍ من بعدكم وأبيعُ النومَ بالأرقِ
حتى ثويتُ بنارِ الشوقِ في حرِّقٍ وصرتُ أشرفُ من دمي على الفرقِ
فتعنوني ولو ليلاً بطيفكم مادمتُ أقدرُ من روحى على رمقِ

وقال في ذم العذار :

إذا طلع العذارُ فقد فقدنا لذاذةَ عيشنا الأريجِ البهيجِ
لأنَّ العصنَ لا يخضرُ حتى يصيرَ بأصله مثلُ الوشيحِ^(١)

وقال يصف البق :

تكاد بقرصِ البقِّ تلتفُّ مهجتي إذا لم أُجدُ من ثوبِ جلدى التخلُّصاً
/ ومن أعجب الأشياءِ في البقِّ أنها على الجسمِ سُمّاقٌ^(٢) وتُنبتُ حصّاً [٤٧ ظ]

(١) الوشيح : جمع وشيجة وهي عرق الشجرة والليف على جرثومتها .

(٢) السُمّاق : ثمر .

ونظمتنى وإياه سفرة فى خدمة الملك الناصر إلى ثغرى دمياط والإسكندرية
فوصلنا إلى ترَجِّع وخلصان ومخاضاتٍ وغُدْرانٍ فقال بديهاً :

لو أطلق الدمع مشتاقاً ومدَّ كِرُّهُ لمن يحب لأشْفَيْنَا على الغرقِ
لكنما هذه الخلجانُ مُتَأَفِّقَةٌ (١) لأنها رَشَّحُ ما يَفِصُّ من الخُدْقِ

وأنشدنى لنفسه أيضاً قوله وقد ألم بدم العذار :

يا عاذلى ، جلُّ نارى من خدِّه الجلتارى (٢)

وريقه كشرابٍ معتَّقِ ذى شرار

ولحظه فى أمضى من الحرابِ الحِرَّارِ (٣)

كلريم ريمٍ لصيدٍ فصارَ حِلْفَ حِذَارِ

يهوى الدنانير لما تشابهتُ بالبهارِ (٤)

وإن رأى قلبَ صبِّ رعاه رعى العَرَّارِ (٥)

وليس ربَّ عذارٍ يطولُ فيه اعتذارى

إن (٦) الغرام صَغَارُ ما لم يكن بالصَّعَّارِ

ومنها فى المدح :

له يسارٌ (٧) يمين إزاء يُعْنُ يسارِ

وقال فى وصف مخدَّة فى بيت ابن سناء الملك :

وسادةٍ لَمَحَّتْ عيني بدارهمُ وسادةٍ رُقِمَتْ أماناً من الأرقِ

(١) متأفة : مبتلاة .

(٢) الجلتار : زهر الرمان .

(٣) الحرار : الصلبة ، والمختارة .

(٤) البهار : نبت طيب الرائحة

(٥) العرار : نبت صحراوى رائحته حسنة .

(٦) فى الأصل : لاذ .

(٧) اليسار : العفى .

حَكْمُ السَّرورِ بِهَا يَقْضَى السَّكُونُ لَهَا كَأَنَّهَا عُوذَةٌ مِنْ جِنَّةِ الْفَلَقِ^(١)
 أَحْسَنُ بِهَا رَوْضَةٌ لَيْسَ النَّسِيمُ بِهَا وَلَا الْمِيَاهُ سِوَى الْأَنْفَاسِ وَالْعَرَقِ
 يَحْيَا بِنَاطِرِهَا^(٢) إِنْسَانٌ نَاطِرُهَا فِي حَدِيقَتِهَا مَنْ عَلَى الْحَدَقِ
 لَوْ لَمْ تَكُنْ سَرَقَتْ مِنْ وَجْهِ مَالِكِهَا مَحَاسِنًا ظَهَرَتْ، لَمْ تُدْعَ بِالسَّرَقِ^(٣)

وقال مما كتبه إلى السيد علم الرؤساء أبي القاسم ، وكان قد اقتضى منه ديوان رسائله ، فاعتذر إليه بالخوف من نقده :

إِنْ قَلْبِي مِنْ شِقَّةِ الْبَيْنِ يَخْشَى وَفُوَادِي مِنْ شِقْوَةِ الْبَيْنِ يَخْشَعُ
 وَمَقَامِي يَقْضَى بِطَوْلِ سِقَامِي إِذْ لِحَاطِي مِنْ قَبْلِ تَطْمَعُ تَطْمَعُ
 وَغُدُوِّي فِيمَا يَسْرُ عِدُوِّي وَيُرِيهِ مِنْ الْقَلْبِ مَا تَوَقَّعُ
 ١٠ وَلَقَدْ عَيْلَ فِي الصَّبَابَةِ صَبْرِي فَإِلَى كَمِ أُسَيْرُ فِي غَيْرِ مَهْيَعِ^(٤)
 أَنَا صَبٌّ بَغَادَةٌ تَشْبَهُ الطَّا وَوَسْ إِذْ كَانَ حَسْنَهَا يَتَنَوَّعُ
 ذَاتُ لَفْظٍ كَأَنَّهُ^(٥) تُغْرِهَا الْأَشْنَبُ لَوْ أَنَّ دَرَهُ يَتَجَمَّعُ
 لِي مِنْ عَجْبِهَا رَقِيبٌ قَرِيبٌ فَهِيَ [فِي^(٦)] كُلِّ حَالَةٍ تَتَمَنَّعُ
 مَنَعَتْ طَيْفَهَا الزِّيَارَةَ حَتَّى صَرْتُ مِنْ مَنَعِهَا [لَهُ^(٧)] لَسْتُ أَجْمَعُ
 ١٥ وَاسْتَيْقَلَّتْ دَمْعِي غَدَاةً اسْتَيْقَلَّتْ بِجَمَالٍ فَقَلْتُ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ
 هُوَ مَنِي دَمٌ جَرَتْ مَعَهُ الْعَيْنُ فَقَالُوا دَمْعُ لَأَنِّي أَجْزَعُ
 ثُمَّ وَلَّتْ^(٨) سَقَمًا عَلَيَّ وَوَلَّتْ وَفُوَادِي مِمَّا تَصَدَّى تَصَدَّعُ

(١) الفلق : الصباح . (٢) الناظر هنا : الأكمة .

(٣) السرقة : شقق الحرير الأبيض أو الحرير عامة .

(٤) المهيع : الطريق الواضح .

(٥) في الأصل : كأنها ، والأشنب : الثغر فيه رقة وبرد وعذوبة .

(٦) ساقطة من الأصل .

(٨) ولت : سلطت .

(٧) ساقطة من الأصل .

- قلت إلا وقتت يا شمسُ للصبِّ فقالت هيهات ما أنت يوشع^(١)
وغرامى [بها]^(٢) كفضل أبي القا سم في كلِّ ساعة يتفرَّع
كم أَرانا الرياضَ في لفظه النثر فحلنا دروجه^(٣) تتوشع^(٤)
وسقانا مُدامَ معنَى بديعٍ في قريضٍ مُصرَّعٍ بل مرصَّعٍ
فشكرنا لما سكرنا فلم يلو علينا لأنه قد ترَفَّعَ
ولمنا التراب بين يديه وسألناه حاجةً فتمنَّعَ
فلحى الله واشيًّا وعدولاً وبغيضاً وكاذباً يتصنَّعُ
وإذا صار بالجفاء مُضِيماً من عقودِ الولاء ما صانَ أجمع
فخطابُ العتابِ بالكافِ^(٥) كافٍ لو تدانى أو كان يسمحُ يسمع
أنت يا أيها السيد أبا القا سم في بَدَلِكَ الندى لست تقنع
فلأىِّ الأمور تبخلُ باللفظِ على خادمٍ يناديك يخضع
وهو نورٌ يسمى أمامك كالصبحِ ونارٌ في وجهِ ضِدِّكَ تَسْفَعُ
وحسامٌ مُهْتَدٌ مُطَلَقُ الحَدِّ جُرازٌ^(٦) متى تُجرِّدُهُ يقطع
لم يزل ثابتاً على الود جَلداً وخطيباً بشكر فضلك مضنَّعٍ
وهو ممن إذا عمراه مُلِمٌ ماله غيرِ حسنِ رأيك مَفزَعٍ
أتوهَّمَتُهُ يُغَيِّرُ على له ظك مع أنَّ غيرهُ منه أوسع
وعلى أنه وحقِّكَ لم ير ض بما لم يكن له يتشَّيعُ
وعصيتَ الودادَ في طاعةِ العذ ل ولم تُلفِ عنده قط مطمع

(١) يوشع : صاحب موسى عليهما السلام ، وفي الأثر أن الشمس تأخرت عن مغيبها له .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) في الأصل : درجة ، والدروج : جمع درج وهو الذى يكتب فيه .

(٤) تتوشع : من توشعت الأشجار أى أزهرت .

(٥) الكاف : يريد خطابه بالإنفراد لا بالجمع .

(٦) جراز : قاطع .

فإذا كنتَ قد وصلتَ لهذا وهو مما يصيرُ القلبَ بَلَقَع
 لا تكنُ للعدا نصالَ سهامٍ مصمياتٍ فليس في القوسِ منزع
 وتفَضَّلْ بَسْتَرُ ما ساقه الوزُّ نُ بهذى القصيدِ ياخيرَ أروع
 فهى قد قيِّدَت لتثبت في الطرِّ سِ لثلا تسيِرَ من قبلِ تسمع
 ولو أن العتابَ أَطْلِقَ فيها لغدَّتْ أَجْبُلُ القوى تتصدع
 / وعلى كلِّ حالٍ فأنا العبدُ الذى مَلِكُ حسنه فيه يشفع [٤٨ و]

ونزلنا ببركة الجب لقصد فرض الجهاد، وعرض الأجناد، فكتب الأسعد
 ابن ممتى إلى أبياتاً في الملك الناصر، وتعرض للشطرنج فإنه كان يشتغل به في
 ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين :

يا كريمَ الخيم ^(١) في الخيمِ	أهيفُ كالرُم ^(٢) ذو شمم	١٠
عَجَبِي للشمس إذ طلعتُ	منه في داجٍ من الظلمِ	
كيف لا تُضْمى لواحظه	ورماتُ الطرفِ في العجمِ ^(٣)	
لا تصدُّ قلبَ الحبِّ لكم	ما يحلُّ الصيدُ في الحرَمِ	
يا صلاحَ الدينِ يا ملكاً	مذ براهُ اللهُ للأمِّ	
أخحتِ الكفارُ في نِقَمِ	وغدا الإسلامُ في نِعَمِ	١٥
إن يكُ الشُّطرنجُ مشغلةً	للعلیِّ القدرِ والمهمِ	
فهى في ناديك تذكرةٌ	لأمورِ الحربِ والكرمِ	
فلکم ضاعفتَ عِدَّتَها	بالعطاءِ الجُمِّ لا القلمِ	
ونصبت الحربَ نصبَها	فأثنتُ كَفِّاكِ بالقمِ	
فابقِ للإسلامِ ترفعةً	وأمرِ الأقدارِ كالخدمِ	٢٠

(١) الخيم : الخلق والشيمة .

(٢) الرُم : الطيبة الخالصة البيضاء .

(٣) يشير إلى مهارة العجم في رمى السهام .

وقال فى الملك الناصر :

إن كنتَ تنكر ما أقولُ فالسهدُ يشهدُ والنحولُ
 وهما لديك من العذو ل فكيف يمكنك العذول
 يا صعدة^(١) أنفاسى الصُّ عداه منها والذبولُ
 ومنهداً فى القلب من ه على محبته فلولُ
 إن كثّر الواشون فى ك فقد تجنّبك العذول
 ولئن بخلتَ بريقِ فى ك فى شمائله الشمولُ^(٢)
 أو صرت معترزاً فإنّ الفكرَ يُعجبه الحلولُ^(٣)
 إن^(٤) الغزاة كالغزا ل وكالنفور هو الأفول
 فإلام لا يشفى الغلابة ل بزورة منك العليل
 والصبرُ أقصر ما يكون إذا الصدودُ بدأ يطول
 كم حيل بين تجلدى والقلب إذ حضر الرحيل
 وهمت جفونى بالنجى مع كأنما طرفى قتيل
 فأعجب لدمع كيف يظ هر والنفوس به تسيل
 يا قاضياً بهواه فى ذلك الدلّ الدليل
 فىك الجمال كما ملية ك زماناً فيه الجميل
 الناصرُ الملك الرءو ف الأروعُ الورعُ المنيلُ
 ملكٌ إذا عصتِ الحصو ن سواه كان له الحصول

(١) الصعدة : النبتة المستوية لا تحتاج إلى تثقيف .

(٢) الشمول : الخمر .

(٣) مذهب بعض غلاة الشيعة وبعض الصوفية إذ يعتقدون أن الله يحل فى الأشياء أم الأشخاص

(٤) الشطر فى الأصل هكذا : أم الغزاة لا الغزال .

حَسْبُ الْعَسَاكِرِ وَالْعِدَا أَنْ النَّصُولَ بِهِ تَصُولُ
 وَيَمِينُهُ سِلْمًا تَجْوُ دُكَا غَدَتِ حَزْمًا تَجْوَلُ
 طَالَتْ فُرُوعُ الْحَمْدِ فِيهِ كَمَا زَكَّتْ مِنْهُ الْأَصُولُ
 رَايَاتِهِ تَحْكِي الْأَصِيلَ^(١) فَرَأَيْهِ الرَّأْيُ الْأَصِيلُ
 حَيْثُ الْخِيُولُ عَلَى الْوَعْوِ^(٢) رِ كَاتِبُهَا^(٣) فِيهَا الْوَعُولُ^(٤)
 أَمَّا وَقَدْ قَصَدَ الْغَزَاةَ وَهَنَّتِ الْقَرْبُ^(٥) النَّصُولُ
 وَبَكَتْ بِهِ أُمُّ الصَّالِبِ وَشَدُوْ صَارَمِهِ الصَّلِيلُ
 وَبَدَتْ لَهُ أَرْضُ الشَّامِ تَهَوَّنُ إِذْ كَانَتْ تَهْوَلُ
 فَلَسَوْفَ^(٦) يَنْفَتَحُ قَفْلُهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقَعَ الْقُقُولُ
 وَيُعِيدُ مَا [فَضَّ^(٧) الْعِدَا] بَكَرًا تَرْفُ لَهَا الْفَحُولُ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيُّ الْأَمْرُ وَالْمَلِكُ الْجَلِيلُ
 كَمْ مِنَّةً لَكَ تَسْتَطِيرُ^(٨) وَمِنَّةً بِكَ تَسْتَطِيلُ
 وَلَكُمْ صَفْحَتَ عَنِ الْغُرُو^(٩) رِ وَقَدْ تَبَطَّغَهُ الْغَالُولُ
 وَسَرَتْ عَطَايَاكَ الْجَسَا مُ فَلَ تَجْوَرُ وَلَا تَحْوَلُ
 وَمَلَكَتِ أَلْبَابَ الْأَنَا مِ كَأَنَّكَ السَّيْفُ الصَّقِيلُ
 أَوْ لَا فَإِنَّكَ جَوْهَرٌ فِي الْخَلْقِ وَالْعَرَضُ الْعَقُولُ
 أَنْتَ الْمُقِيلُ مِنَ الْخَطْوِ بَ وَظَلُّ دَوْلَتِكَ الْمَتْمِيلُ^(١٠)

(١) الأصيل : يشبه راياته بلون الأصيل .

(٢) في الأصل : الوعود ، والوعور : جمع وعر وهو ضد السهل .

(٣) في الأصل : فيه . (٤) الوعول : جمع وعل وهو تيس الجبل ، والسكامة الشجمان .

(٥) أعماد السيوف .

(٦) في الأصل : ولسوف ، وواضح أن البيت جواب أما .

(٧) ساقطة في الأصل ووضعناها ملائمة لسياق البيت .

(٨) تستطير : تنتشر . (٩) يريد بالغرور : العدو شبهه بالشیطان .

(١٠) القيل : من القائلة أو القيلولة وهي نصف النهار ، والمقيل بضم الميم : المعنى .

وأنا الفقيرُ إلى ندا ك ومن بوارقه السيول
ولقد أضرتني الخمول د كما أضرت بي الخمول
وقال على لسان إنسان في حاسد ، أعان عليه ، ثم توجع له :

لا تُصخِّحْ للحسود في ندبه النع مة مع كونه العجول^(١) إليها

- فهو مثلُ السحابِ إذ يسترُ الشم سَ عن العينِ ثم يبكي عليها
ومن نورِ نثره البديع ، ونورِ فجره الصديق ، وغررِ درره النصيحة^(٢) ، ودرارى
غمره الصنعة ، ما تُحذَى له بهائم التائم ، وتحدى به كرائم المكارم ، ويربع
الحسن في روضه ، وتكرع الحسناء في حوضه ، وتغضب الآداب بدابه ، وترتبط
الألباب ببابه ، من مكاتبة :

- ١٠ فصلت عنه في أخريات النهار ، وقد ظهر في أطراف الجدران لفرق فراق
الشمس اصفرار ، فلما ذهب ذهب الأصيل بنار الشفق ، ولبست المشرق السواد
لما تمَّ في المغارب على الشمس من الغرق ، وأقبلت مواكب الكواكب في
طلب النار ، كدراهم النار^(٣) ، وتشابهت زواهرها وإن اختلفت في الأشجان
بالأزهار في الأشجار ، وتكلف القمر الموافقة فظهر على وجهه الكلف ، ومررت
به طوالع النجوم فلم يستخبرها حسداً فأعرب عن غدر الخلف بالسلف ، وظهر

- ١٥ [٤٨ ظ] الوجوم في وجوه / النجوم ، وعيل صبر النسر^(٤) فواحد طائرٌ يحوم ، وآخر
واقع لا يقوم ، ولم تزل متلاحقةً متسابقةً لتقفوا الأثر وتسمع الخبر ، إلى أن بدا
سوسن الفجر ولاح ، وابتسم ثغر الصباح عن الأقاح ، وكاد ثعابه يأكل عنقود
الثريا ، وبرزت الغزاة من أس الكناس طلقة الحيا ، وتراءت الوجوه ،

(١) في المغرب : المشوق (٢) النصيحة : الناصحة .

(٣) درايم النار : الدرايم التي ينثرها الأمراء على من يقصدون أبوابهم فيكبون
عليها يلتقطونها .

(٤) النسران : نجان أحدهما يسمى النسر الطائر والثاني يسمى النسر الواقع .

وزال ما زال بغيتها من المكروه ، وأخذت النجوم بالحظ من الطرب ، بمقدار ما قدمته من الحظ فى الطلب ، وانخرطت فى سلوك شعاعها نظاماً ، وزاد خوفها [منها^(١)] على رجائها فيها فذابت إكباراً [لها^(٢)] وإعظاماً .

ومن صدر مكاتبة :

لم يزل العبد لِمَا عَرَضَ من إعراض المجلس — لا زالت أوامره نافذه ، والآمال بكعبة كرمه لائذة ، ويده العالية بزمام الزمان آخذة ، وكتبه الكرائم لعزائم كينائب الإسلام شاحذة — وَحَدَّثَ من هجره له ، وظهر من قلة احتفاله به ، وخاض فيه المعارف من تغيره عليه ، وتناقله الوشاة من أمر صده عنه ، وتعارضه الشامت من سوء رأيه فيه ، ذا زفراتٍ سوام تتصرّم ، وعبرات [هوام] تتصرّم ، وعبارات عن بسط عذره تعثر بالكلام عيًّا فيتذمّم^(٣) بالصمت عن أن يتحرر ويتحرّم^(٤) ، وأفكارٍ تنزه عن إساءة الظن بمودته فما يتكدر^(٥) حتى يتسكرم ، فكم تناول القلب جلده فجَلَدَهُ^(٦) بالقلق لما تجاوز حدّه^(٧) وحدّه ، وأجرى من سوابق دموعه عسكرياً فجرى فشقَّ خَدَّهُ وخَدَّهُ^(٨) ، وأوجده السبيل إلى أن أبدى صحيفة وجه صبره مسوده ، وتمنى لو كان الموت قبل إخلافه وعَدَهُ وإخلاقه^(٩) وودّه^(١٠) .

ناظره بقدمه عليه على كافة أمثاله وأنظاره ، فعلم أن علمَ المودة قد رُفِعَ ، وموصول حبل الجفوة قد قُطِعَ ، وكاد القلب يُخرج لمصاحفته لو استطاع ، فماذا ، واجتمعت فيه أمانى النفس فأخذته دون جمع الملاذِّ ملاذاً ، وتناوله بيد الإجلال ، وقصّه

(١) زيادة من المغرب . (٢) زيادة من المغرب .
 (٣) يتذمّم : يستنكف . (٤) يتجرّم : يتذمّم من الحرمة ، أو يجده حراماً .
 (٥) فى الأصل : يتكرر . (٦) فى الأصل : مجلدة .
 (٧) فى الأصل : جده ، وهى بمعنى غايته والتالية من الحد وهو إيقاع الجزاء على الجانى
 (٨) خده : شقه . (٩) إخلاقه : من الخلق أى البالى أى جعله لوده باليا .
 (١٠) وده : من الود معطوف على تمنى .

- بيد الإدلال ، الذى أباَح له الإِخْلادَ إلى الإِحلال ، فوجده منظومًا على خطِّ كالِكُوروسِ المرصعة ، لما لاحِ مِدَادُهُ مُدَامًا ونَقَطُهُ حَبَبًا ، وألفاظٍ تبيح للمناظر طلبًا ، وتبيح للخواطرِ طربًا ، ومعانٍ ما حَلَّتْ في ميدانِ البيانِ حتى جَلَّتْ فَحَسَبُ الأَفكارِ بها حَسَبًا ، وتعريضاتٍ لو كان التصريحُ فِضَةً لكانت ذهبًا ، أو كان شررًا لكانت لهبًا ، ومننٍ ما لاحت سحائبها حتى وكَفَّتْ ، وأيادٍ ما استكفت فواضلها حتى عمت وكفت^(١) ، فرفع إلى السماء يديه وهى قِبلةُ الدعاء ، وعَفَّرَ في الأرض خديه وهو جهدُ الضعفاء .

وله من فصول جواب مكاتبة إلى صديق له سافر إلى الشام :

- إِلَامَ يَصِيرُ القَلبُ لِلخُطْبِ مَنبَرًا وَيَصْبِرُ لِلجُلْبِ وَإِنْ كانِ مُنْبَرًا؟^(٢)
 وكيف يُلامُ الصبُّ في صبِّ دمه عقيقًا على مصفرِّ خديه أحمرًا؟
 وَقَدَّ وَقَدَّ البَرِّحُ المَبْرِّحُ في الحشا فراع دخانُ الوجد في الوجه منظرا
 وزادت دواعى الشوقِ إذ زالت القوى فأصبح معروفُ التجلُّدِ منكرا
 فلو شامَ طَرْفُ الشامِ برقَ تنفسى لتذكارِ مَنْ فيه إِذْنٌ لَتَفَطَّرًا
 على أَنَّ من أَمسى رفيقًا تفرق ومن قَصَدَ^(٣) الأشعارِ في الشوقِ قَصْرًا
 وبعد فما ضاق الصدرُ ، وضاع الصبرُ ، وضَعِفَ الجِلْدُ ، وتضاعفَ الكدُ ،
 وادلهمَّ ليلُ الهَمِّ بفراقِ الحضرةِ الساميةِ حتى طلع بدرُ كتابها فاهتدتْ ضوالمُ
 الأَفكارِ الشاردةِ ، ولمع شهابِ خطابها فاحترقت شياطينُ الظنونِ الماردةِ ، والله
 الحمد على ما أعرب عنه من سلامة ركابها ، والرغبة في تقوية أسباب استتباب
 نعمتها وتمجيل إيجابها ، وأن يكون ذلك بحسب ما تورثه وتقرره ، بتلك الأعمال
 من الأعمالِ الصالحةِ وتؤثره .

(١) كفت : من الكفاية ، ووكفت الأولى أى أمطرت .

(٢) منبرى : من البرى وهو النحت والهزال .

(٣) فى الأصل : قصر .

ومنها :

وإن الكتبَ الكريمةَ الواردةَ إلى القاضي الرشيد ما فاحتُ أزهيرُها
حتى لاحت زواهرها ، ولا تَأرَّجَ نورها حتى تَبَّجَ نورها ، ولا فُتِنَتْ بها الخاصة ،
حتى جُنَّتْ^(١) العامة ، فكم نثرت من عقود عقولٍ كانت / متسقة النظام ، وحقرت [٤٩ و]
من منقول مقول كان ملحوظا بالأعظام ، وعلى الجملة فلم يبق أحدٌ من الفقهاء
والحكام ، وأرباب السيوف والأقلام ، حتى استشرف لرؤيتها وتشرف لروايتها .
وأُشدنى لنفسه من قصيدة :

كيف واصلتَ قطعَ رشفِ رُضابهُ وبدا السخَطُ منك بعد الرِّضَى به
وهجرتَ المنامَ كى يرجعَ الطيفُ لثلاثِ ترقٍ عند عتابه
لتَوَخَّيْتِ أَنْ ترى صورةَ الصبرِ عليه من قبلِ حينِ ذهابه
ولعمري لقد أسأتَ به الظنَّ فعدَّبتَ باجتناِبِ عذابه
وقال في رافضىِّ متهم الخلوة :

اختصرُ واقنصرُ على هُزئك الناسِ ولا تدعى الحِجَى والكتابهُ
واحتسبُ وانتصبُ لضربِ نعالِ دامغاتٍ من أجلِ سبِّ الصحابه
واقصدُ فى البغامِ يا بنِ فعالِ وتوقَّ انتصابه والتمهابه
فهو دالٌّ - كما تقولُ - ولكن أنت صبُّ برشف تلك الصُّبابه

وقال فى مدح الأجلِ الفاضلِ من قصيدة :

لا تلم فى اضطرابنا^(٢) لاحمراره جُلُّ نارِ القلوبِ من جَلتاره
وهو حدٌّ^(٣) يكاد يُقبَضُ منه كلُّ طرفٍ لولا اعتذارُ عذاره

(١) فى الأصل : حبت .

(٢) فى الأصل : اضطرابنا .

(٣) الحد : الجلد وما يوجب الجلد ، ومنه حدود التمرع .

- ما رأى منكراً رُضابَ مدامٍ مذ روى طرفه حديثَ خُمارة^(١)
 ليس فيه من راحةٍ لمريدٍ قبلة تَطْفِيْ أظطرام أظطاراه
 غير أن الحياء فيه مُضَاهٍ للحَيَا في انهماله وانهماره
 أَوْجَدًا^(٢) الفاضل الذى أوجد الجو د فم كَفَّه انفجارُ بحاره
 ذلك السيدُ المشيّدُ للعجدِ إلى أن أنى على إشاره
 من غدا الدهرُ بأسمه باسمِ الزهرِ ضحوكا به بهارُ نهاره
 لم يطفنا من برِّه وردَ وعدٍ لم يَشْنُه انتظامُ شكِّ انتظاره

٦ - والده

الخطير^(*) بن ممانى

- ١٠ لقيته بالقاهرة مستولى ديوان الملك الناصر - ديوان الجيش - فيه أدب .
 كان هو وجماعته نصارى ، فأسلموا في ابتداء الملك الصلاحى ، وحصلوا على الجاه^(٣)
 والحرمة الوافرة والعيش الرخى .
 سائرته في الطريق مرة فأنشدنى لنفسه هذا البيت في وصف الخمر إذا صُذِّبَتْ
 من الإبريق :
 إذا أنبرت من فم الإبريق تحسبها شهابَ ليلٍ رمى فى الكاس شيطانا

(١) الخمار : بقية السكر .

(٢) الجدا : السكرم والطاء وهو معطوف على الحيا أى المطر .

(*) تقدم التعريف به أثناء الحديث عن ابنه أسعد وقد عرض ياقوت وابن خلكان
 فى ترجمة ابنه لىء من أخباره وخاصة ياقوت فإنه عرض للأسرة وللجد الأعلى ممانى الذى ينسب
 إليه أسعد ، وقال ابن خلكان إنه ممانى بفتح الأولى وتشديد الثانية ، وقال أيضا إن الخطير
 توفى عام ٥٧٧ هـ . وترجم له ابن سعيد فى المغرب قطعة الجامعة العربية الورقة ١١٨ وقال
 إن بنى ممانى كانوا متعلقين بالعمل فى كتابة الخراج وانظر خطط القرزى ١٦٠/٢ .

(٣) هكذا فى المغرب نقلا عن الخريدة وفى الأصل : بالجاه .

قال : ولأبي طاهر^(١) بن مكنسة في المعنى :

إبريقنا عاكفٌ على قدحٍ كأنه الأُمُّ ترضعُ الولدا
أو عابدٌ من بني الجوس إذا توهمَ الكاسَ شعلَةً سجّداً
وأبو المليلح^(٢) ممدوح ابن مكنسة الذي يرثيه بقوله (طويت سماء
المكرمات) جدُّ ابن ممتى .

وأشدنى الخطير لنفسه في كتمان السر :

وأكتمُ السرَّ حتى عن إعادته^(٣) إلى المسرِّ به عن غير نسيانٍ
وذاك أن لسانى ليس يُعلمُهُ سمعى بسرِّ الذى قد كان ناجانى
وأشدنى لنفسه من قصيدة ، وكتبه بخطه :

لم يَبْقَ من جسدِي لفرطِ صبايَتي ١٠
وَأَغْنُ^(٤) معسولِ الثنايا أشنبِ
إِلَّا الأسى وتردُّدُ الأنفاسِ
ألمى المراشفِ كالتضيبِ الآسِ^(٥)
يَنَادُ^(٦) من هَيْفِ القوامِ كأنه
غصنٌ يجاذبه كئيبُ دهاسِ^(٧)
لولا توقدُ جهرِ نارِ خُدودهِ
في نارِ وجنته حَسَاهُ حاسي
من خده وعذاره ورُضابهِ
وردي ورِيحاني الجنيُّ وكاسي
وله : ١٥

يظلمنى العاذلون في رشاءٍ إن قيلَ كالشمسِ كان مظلوماً

(١) في الأصل : المكنسة وهو من شعراء مصر أوائل القرن الخامس للهجرة
وسيرتجم له العماد .

(٢) هو ممتى وكان ابن مكنسة منقطعا إليه ، فلما مات رثاه بقصيدة طويلة يقول فيها :

طويت سماء المكرمات وكورت شمس المديح
انظر في ذلك ترجمة حفيده أسعد في ابن خالكان وياقوت .

(٣) في المغرب : إذاعته . (٤) أغن : في صوته غنة .

(٥) الآس : شجر . (٦) ينَاد : يبتنى .

(٧) دهاس : الأرض المسهلة ليست برمل ولا تراب .

مذ حلَّ رسمُ الصليبِ في يده حلَّه بقلبي هواهُ مرسوما
وله :

أعاذلتى إن الحديثَ شجونُ مكانُ سُلَيْمَى في الفؤادِ مكينُ
أسمعَ عَذْلًا في التي تملك الحشا وَأَتَبَعُهُ إِنِّي إِذْ نُخْوَونُ
ومنها :

هل العيشُ إلا قربُ دارِ أحيه هل الموتُ إلا أن يخفَ^(١) قَطِينُ
وهل لفؤادى منذ شطَّ مزارها من الوجدِ إلا زفرةٌ وأنين
أبيت رقيبَ النجمِ منها كأنما عيونى لم يُخْلَقْ لهنَّ جنون
ومنها :

كأنَّ ظلامَ الليلِ إذ لاحَ بدرُهُ دَجُوجِي^(٢) شَعْرٍ لاح منه جبينُ
كأنَّ الثريا ترقبُ البدرَ غَيْرَةً فقد هجرتُ منها المنامَ عيون
كأنَّ سهيلًا^(٣) في مطالعِ أفاقه فؤادُ مَرُوعِ خامرتُهُ ظنون
كأنَّ السها^(٤) تبدو أوانًا وتجتلى لدى الليلِ سرًّا في حشاه مصون
وقد مالت الجوزاء^(٥) حتى كأنها كهيَّ بَحْطَى السماكِ^(٦) طعين
ومنها في المختص :

كأنَّ صلاحَ الدينِ للشمسِ نورها ولولاه ما كان الصباحُ يبين

(١) يخف : يتحمل ويسير ، والقطين : المقيم .

(٢) الدجوجى : شديد السواد والظلام .

(٣) سهيل : كوكب يرتعش وميضه في رأى العين .

(٤) السها : نجم خفى . (٥) الجوزاء : برج في السماء .

(٦) السماك : كوكب نير .

وقال :

لو كانت الأمراض محمولةً / يحملها العبدُ عن المولى
حلتُ عن جسمك كل الأذى / وكان جسمي بالضنا أولى

[٤٩ ط:]

وقال :

إلى الله أشكونارَ شوقٍ كما شكا / إلى الله فقدَ الوالدينِ يتيمُ
رحلتمْ فسار القلبُ أنى رحلتمْ / ولكنَّ وجدى ثابتٌ ومقيم
ولما بكتْ عيني دماءً لفقدكمْ / تيقنتُ أن القلبَ فيه كلوم

وقال في العذار :

وشادن^(١) لما بدا مقبلاً / سبَّحتُ ربَّ العرشِ باريه
ومذ رأيتُ النملَ في خده / أيقنتُ أنَّ الشَّهدَ في فيه

وقال :

ياربَّ خَوْدِ زرتها / في الليل بعد هجودها^(٢)
فاجأتها فقبالتها / فلزمت ضمَّ نهودها
ورشفتُ خمرَ رضاها / وجنيتُ وردَ خدودها
وأمنتُ في قصرِ الوصا / ل حياة طولِ صدودها
حتى إذا ولَّى الدجى / في عدها وعديدها
وبدت جيوشُ الصبحِ في / أعلامها وبنودها
فارتها ومدامى / تحكى جمانَ عقودها

(١) الشادن : الغزال حين يشب ويستغنى عن أم والاستعارة واضحة .

(٢) الهجود : النوم .

وقال من قصيدة في المدح :

مُرْدِي الكِتَابِ بَدَالُ الرِّغَابِ فَضَّاحُ السَّحَابِ بَرُّ القَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَالغَافِرُ الذَّنْبِ عَفْوًا عِنْدَ قَدْرَتِهِ وَالرَّائِعُ الخُطْبِ قَسْرًا غَيْرَ مَحْتَمِلِ
إِذَا طَوَّتْ خَيْلُهُ فِي السَّيْرِ مَرِحَلَةً طَوَى الرَّدَى مِنْ عَدَاهُ مُدَّةَ الأَجْلِ
بِكُلِّ قَرْمٍ يَلَاقِي المَوْتَ مَبْتَهَجًا كَأَنَّمَا المَوْتُ مَا يَرْجُو مِنَ الأَمَلِ
يَلْذُّ فِي السَّلْمِ تَقْبِيلَ اللّهِ شَغْفًا لِحَبِّهِ فِي القَنَا سُمْرَ القَنَا الذُّبُلِ

٧ - الشريف النقيب النسابة بمصر

شرف الدين أبو علي محمد* بن أسعد بن علي بن معمر أبي الفنايم بن عمر
ابن علي ابن أبي هاشم الحسين النسابة بن أسعد النسابة بن علي النسابة
ابن إبراهيم بن محمد بن الحسن الجواني الحسيني

كان نقيب مصر في الأيام المصرية . والآن فهو ملازم مشتغل بالتصنيف
في علم النسب ، وهو فيه أُوحد ، وله فيه تصانيف كثيرة .
قرأت بخطه كتابا إلى بعض الأشراف بدمشق في سنة إحدى وسبعين ، قد
صدره بهذه الأبيات :

أَحْنُ إِلَى ذِكْرِكَ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ وَأَرْجُو مِنَ اللّهِ اللِّقَاءَ عَلَى قُرْبِ
لِمَا لَكَ فِي قَلْبِي مِنَ المَوْضِعِ الَّذِي يَرَى فِيهِ كَلَّ الحُبِّ مُبْرًا مِنَ الحُبِّ^(١)

(*) ترجم له الصفدي فقال : ولي نقابة الأشراف مدة بمصر وله (كتاب طبقات
الطالبين) و (تاج الأنساب ومنهاج الصواب) وكان شيعيا . توفي سنة ثمان وثمانين وخمسة .
والجواني بالجم والواو المشددة ويعرف بالمازندراني . انظر فوات الوفيات طبع استانبول ٢٠٢/٢
وانظر ترجمته في لسان الميزان ٧٤/٥ .

(١) مبرا وخفت ، وفي الأصل : خيرا .

وللفخر السامى الذى قد حويتَهُ وسار مسير الشمسِ فى الشرق والغربِ
فأصبحتَ تاجاً للفخارِ ومَنفِراً وقطبَ المعالى بل أجلّ من القطبِ
فلا عَدِمْتَ روحى الحياةَ فإنها قرينةُ ما [يا^(١)] تى إلى من الكتبِ
وقرأت أيضاً بخطه من كتاب كتبه إلى الأمير عز الدين حارن^(٢) لما قصده
بالشام ، فى أوله هذه القصيدة :

تُرَى هاجم ما هاجنى من جوى البعدِ وهل كَرُبُكُمْ كرى وهل وجدكم وجدى
لئن جَلَّ ما أبدية شوقاً إليكم فإن الذى أخفيه أضغافُ ما أبدى
جوى فى فؤادى كما منُّ ليس ينطفى عايكم كمنّ النار فى الحَجَرِ الصلْدِ
وما الدمعُ ما يجرى عليكم وإنما نفوسٌ أسلناها مع الدمع فى الخدِ
إذا لفَّ بُرْدُ النومِ أجفانَ راقِدِ لفتتُ جفونى فى رداء من السهدِ
نهارى ليلٌ مدلهمٌ لفقديكم وليلى نهارٌ من خيالكم عندى

ومنها :

ألا يارياحِ الشوقِ سـيرى فبلىنى سلامَ محبِّ صادقِ الحبِّ فى الودِ
إلى الملكِ عزِّ الدين ذى الفخرِ الذى مناقبُهُ تعلو الكواكبِ فى العَدِّ

ومنها : ١٥

ملكٌ إذا أطببتُ فى وصفِ فضله علمتُ بأنى لم أنلْ غايةَ الجهدِ
فما العنبرُ الشَّحْرِىُّ^(٣) فى أنفِ ناشقٍ بأطيبَ من ذكراه فى سَمْعِ مُسْتَجِدِّى

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) هكذا بالأصل ولعلها الحارمى نسبة إلى حارم إحدى بلاد الشام ، أو لعلها خازن .

(٣) الشحر : ساحل البحر بين عمان وعدن .

ومنها :

أَيَّامَنْ إِذَا سَارَتْ وَفُودٌ لِبَابِهِ تَرَى عِنْدَهُمْ وَفَدًا إِلَى ذَلِكَ الْوَفْدِ
وَقَدْ عَلِمَ الْقَصَادُ قَصْدَ جَنَابِهِ فَنَوَّالَهُمْ قَبْلَ التَّفْوُّهِ بِالْقَصْدِ

٨ - والده

الشريف الفاضل سناء الملك أبا البركات

أسعد (*) بن علي الحسيني النهوي

موصلي الأصل مصريُّ الدارِ هاجرَ إليها واتخذها مسكنًا، ورضى بها وطرفًا
ووطنًا؛ وكان كبيرَ القدر، نابه الذِّكر. وجدتُ له شعرًا في الصالح^(١) بن رزِّيك
في نوبةِ قتلِ عباس^(٢) : (أما والهوى النجدى ما سَمَّيتُ إلفًا).

ومنها :

لئن كنتَ قد نَحَّبتَ^(٣) عباسَ من طُبَا فَرَنَجَةٌ لِمَا لَمْ يَجِدْ عِنكَ مُسْتَعْفَى
وَأَنْقَذْتَهُ مِنْ أَسْرِهِ وَهُوَ ذَاهِلٌ يَرُدُّ—عَنِ الْأَهْوَالِ فِي الْمَازِقِ—الطَّرْفَا
فَقَدْ سُمِّتَهُ إِذْ فَرَّ مِنْكَ إِلَى مَدْيَ تَمِدُّ مُدَاهُ نَحْوِ مُقَلَّتِهِ الْحَتْفَا
وَمَا فَرَّ مِنْ وَقْعِ الْأَسِنَّةِ صَاغِرًا وَجَدَّكَ إِلَّا حِينَ لَمْ يَرَ مُسْتَخْفَى

(*) ترجم له القسطنطيني ولم يزد في ترجمته عما ذكره العماد . انظر لابن الرواة بأبناء النحاة
طبع دار الكتب المصرية ١/٢٣٠ .

(١) هو أبو الفوارس طلحة بن رزِّيك وستأتي ترجمته بعد قليل .

(٢) هو عباس الصنهاجي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، وزير للخليفة الظاهر
(٥٤٤ — ٥٤٩ هـ) ودبر له مؤامرة وقلته ، فاستنفت بيت الفاطميين بطلائع ، فجاء من
الصعيد ، وفر عباس إلى الشام وقتله الفرنج في الطريق .

(٣) في الأصل : نَحيت ، ونحِب : سار به حتى قرب من الماء . والإشارة واضحة

إلى فراره .

/ومل^(١) الطعان المرّ للملك الذي يراه حياً عند ما يهب الألفا [٥٠ و] وقال في مدحه :

صاح إن أهجر سليبي والربابا فلقد بدت من غي صوابا
ولقد واصلت من بعدها مدح من أغرى بجدواه انتسابا
إن في كف ابن رزيك لمن يبتغي الرصد لآمالاً خصابا
ويمنى فارس الإسلام قد أجزى البحر الذي عب عبابا
كم له في الشام من معجزة ومقام لم يكن إلا احتسابا
جرب الإفنج من أفعاله في صنائدهم أمراً مجابا

وله من أخرى :

ومن يهو إدراك المعالي فإنه يعد المنايا من ملابسه طمرا^(٢)
قريع الرزايا والقنا يقرع القنا خطير العطايا يستقل^(٣) الجدا خطرا^(٤)
يخطط^(٥) بالخطى في النقع موطناً يحوز العلا والموت يلحظه شزرا

ومنها :

إذا اهتز بالنفاس غمباه لم يدع فؤاداً بأقصى روضة لم يمت دُعراً
١٥ وحيث ذكرت الشرفاء فقد تعين ذكر الشريف أبي جعفر ، وهو :

(١) في الأصل : وظل

(٢) الطمر : الثوب الخلق .

(٣) هكذا في إنباه الرواة ، وفي الأصل : والبا .

(٤) الخطر : الشرف والهلاك . (٥) في الأصل : ويخط .

٩ - الشريف أبو جعفر

محمد* بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني

من طرابلس^(١) ومن الواجب إيراده في شعراء الشام . كان في مصر في عهد أفضلها ، وحظي من مننه بأجزئها . أهدى إلى ديوان شعره بمصر القاضي الفاضل ، في جملة ما أسداه إلى من الفواضل ، فأثبت منه ما استجدته مما وجدته ، واستطبتته مما استعذبتته . فن ذلك من قصيدة أعدها لمدح الأفضل للتهنئة بعيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسة ، فقتل الأفضل عشية سلخ شهر رمضان من السنة ، وعاش الشريف ، ومدح الوزير بعده ، وأولها :

قد تجاوزت في العلا الجوزاء واستمدت منك البها والبهاء

ومنها :

لم تزل للعيون منذ تراءت لك جلاء وللقلوب رجاء

ومنها :

وجبوشاً كأنما قد كساها البرق فوق الدروع منها رداء
في مجالٍ سالت ظباه على الأيدي كأن الغمود^(٢) فجَزَن ماءً

ومنها في وصف سفن أنفذها إلى مكة ، وفيها غلة :

بجوارٍ تنساب^(٣) في البحر كالأعلام تجرى بها الرياح رُخَاء^(٤)

(*) ترجم له ابن عساكر فقال : محمد بن هبة الله أبو جعفر الحسيني الأديسي الأطرابلسي ، كان من أهل الأدب ، وله معرفة تامة بآنسب قريش ، وله أشعار مدح بها بني عمار (أصحاب طرابلس الشام) وتوجه إلى مصر ومدح بها الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي ، وكان قدم دمشق سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . توفي بمصر بعد سنة عشر وخمسة .

(١) هي طرابلس الشام ، بلد على الساحل بين اللاذقية وبيروت .

(٢) الغمود : جمع غمد . (٣) في الأصل : آنسب . (٤) رخاء : لينة .

حَمَلَ الْمَاءَ كُلَّ سَوْدَاءٍ مِنْهَا حَمَلَتْ وَقَرَّهَا^(١) يَدًا بِيضَاءٍ

وله من قصيدة في ابن عمار بطرا بلس :

جعلنا التشاكي موضع العتبِ بيننا فأصدقُ في دعوى الغرامِ وتكذبُ
ذريني أصلُ ليلِ الغرامِ بعزيمةٍ تكفلُ بالإقبالِ^(٢) عنها فتعزُبُ^(٣)
فلا والعوالى — إنها قسمُ العلا — أُقيمُ ولى عن ساحةِ الذلِّ مذهب

ومنها :

ومن كان فخرُ الملكِ مرَمَى رجائهِ أصاب من الحظِّ الذى يتطلَّبُ
بعيدُ مناطِ السيفِ لو طاول القنا تساوى [لدى الهيجا^(٤)] لوالا ومنكب

ومنها يصف داره :

ويوم ابتدرنا الإذنَ نرُعدُ هيبةً وقد غصَّ بالرفدِ الرواقُ^(٥) المحجَّبُ
وصلنا وسلنا على البدرِ جادهُ سماؤها من ذائبِ التبرِ هيدبُ
وقد نغمَ الكفُّ الصنَّاعُ بأفقيها رياضاً كأنَّ الجوَّ منهنَّ مُعشِبُ
ومصقولةِ الأرجاءِ ملثومةِ الثرى إلى جنةِ الفردوسِ تُغزى وتنسبُ
نخالُ بأولى نظرةٍ أنَّ درَّها يُنثرُ^(٦) أو عقيانها يتصوَّبُ

وقال من قصيدة :

ذَرَفَتْ مَقْلَةً الْحَيَا بِالْحَبَابِ وَاثَشَى الرُّوضُ حَالِي الْجَلْبَابِ

(١) الورق : الحبل .

(٢) هكذا في الأصل والسياق يقتضى أنها محرفة عن كلمة : بالإدبار .

(٣) في الأصل . لتعرب .

(٤) في الأصل بياض وأكلنا البيت بما يتلاءم والسياق .

(٥) الرواق : ستريمد دون السقف ، ومقدم البيت .

(٦) في الأصل . تثر .

وتمشّت به الصّبا وإزارُ المُنزَن فيه مُجرّزُ الهدّاب
ومنها :

- لم أتمّ بعدم سُلوًا ولكنّ طمعاً أن يزورَ طيفُ الرّبّاب
يا خليلي في الذّوابة من فهِيرِ أميلا معي صدورَ الرّكّاب
وقفاً العيسَ كي نُجدّدَ عهداً للهوى في معاهدِ الأخبّاب
أسقَمَ البينُ رَسَمَها سقَمَ جسمي فكلّانا خافٍ عن الطُّلاب
يا لؤاةَ الديون من غيرِ عُسرٍ عُذْرُكُمْ لم يكنْ لنا في حساب
طال رَعْيي روضَ الأمانى لديكم ورجوعي عنكم بغيرِ ثواب
أنقاضيكم وماذا عليكم لو سمحتم لسائلٍ بجواب
ما لقلبي أراخني الله منه كيف يهوى من لا يرقُّ لما بي
مَسَحَتْ صبغةَ الشبابِ يدُ الهَمِّ وأبَدَتْ نصولَ ذاك الخضاب

ومنها :

[٥٠ ظ] وإذا كان ضائري حكم ذى الشيب / فواوحشتا لجهلِ الشباب

وقال :

- أحبابنا لو سرتُمُ سيرةَ الهوى لكنتمْ لقلبي مثلَ ما لكم قلبي
عتبتمْ وما ذنبي سوى البعد عنكم وإني لأهواكم على البُعدِ والقرب
فلا تجمعوا بين الفراقِ وعتبكم ولا تجعلوا ذنبَ المقادير من ذنبي
وله من قصيدة في الأفضل^(١) أولها :

أجلُّ هوائك عن مَنَنِ العتابِ وإن أبعدتني بعد أقتراب

(١) هو الأفضل بن بدر الجمالي الأرمني وزير المستعلي الخليفة الفاطمي (٤٨٨ - ٤٩٥) ثم الأصبهاني بأحكام الله ، وما زال يلي وزارته حتى قتله سنة ٥١٥ هـ . وكان الأفضل ممدحاً للشعراء ، وسيتردد ذكره في الحريرة .

ومنها :

أما وهواك لو خُبِرْتَ عني لِمَا ألقاه عزَّ عليك ما بي
ولا تسألُ سواك فليس يخفي عذابي عن ثنايك العذاب
ولولا أن تقولى خان عهدي قرعتُ على سُلوَى كلِّ باب
رضيتُ وصال^(١) طيفك وهو زورُ وعند الشيب يُرَضَى بالخضاب

ومنها :

ودون نئيبة الصنمين ظبي^٢ وقورُ الحجل^(٢) طيَّاشُ الحِقَابِ^(٣)
سقيمُ الطرف نشوانُ التبتى صقيلُ الثغرِ معسولُ الرضاب

ومنها :

وقفتُ بها سراة اليومِ صحي^٤ وقوفَ القلبِ^(٤) في زند الكعاب
وقد أخفتُ معالمها الليالى كما درست سطوراً من كتاب
فدع ذكراك أياماً تقصت إذا ذهب الصبأ قبَح التصابي
ولى بمدح شاهنشاه^(٥) شغلُ يُسَلَّى عن هوى ذاتِ السخَّابِ^(٦)
يُوَدِّدُنْ جوده فيما حواه من الأموالِ حتى على الذهب

ومنها : ١٥

ويوم بعثتها شعثَ النواصي تسيلُ بهنَّ أفواه الشباب
لقيت هَجِيرَه^(٧) والخليلُ تردى ولا ظلَّ سوى ظلِّ العَقَابِ^(٨)

(١) في الأصل : طيال . (٢) الحجل : الخنثال .

(٣) الحِقَاب : حزام تعلق به المرأة الحلي وتشده في وسطها .

(٤) القلب : سوار المرأة . (٥) هو لقب الأفضل ومعناه ملك الملوك .

(٦) السخاب : القلادة . (٧) الهجير : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر .

(٨) يريد أنه ليس هناك إلا ظل العقبان وهي تحوم على القتلى .

أثرتَ الليلَ في رَهَجِ المذاكي (۱)
مواقفُ لم تزلْ فيهنَّ أمضى
وأطلعتَ النجومَ من الحِرابِ
من الهنديِّ زلَّ عن القِرَابِ (۲)

وله من أخرى :

تجاوز العتبُ حدَّ السخطِ والفضبِ
إن كان ذنبُ فإني منه معتذرٌ
وأورث القلبَ صدعاً غيرَ مُشعبِ
أو كان ذامنك تأديباً على زللِ
يكبو الجوادُ وينمو السيفُ ذوالشُّطبِ
هل عهدٌ وصلك مردودٌ لعاهده
مَنِّي فحسبك قد أسرفتَ في أدبي
يا هاجري شهوةً من غير ما سبب

ومنها :

أو لا وعيشٍ مضت منا بشاشته
ومبسم كَأَفاحِ الروضِ بانَ به
لحاً (۳) وسالفِ عيشٍ غيرِ مؤثَّبِ (۴)
ومستديرٍ وشاحِ جالٍ في هيفِ
فضلُ الرُّضابِ على الصهباءِ والضربِ (۵)
حيث التقى خيزرانُ الخضرَ بالكُتبِ
فأعجبَ له اليومَ لم يظفر ولم يخبِ
على تمادى صدودٍ منك برَّحَ بي
وليس عتي على الأيامِ بالعجبِ
إني إذنُ لقريرُ العينِ بالنوبِ ۱۵
إذ إن سرَّكمُ بَ مسٌّ من نوابه

ومنها :

إن كنتُ أضمرتُ غدرافى الوفاءِ لكم
وخانتي عنك شاهنشاهُ ما وعدتُ
فلا وصلتُ بآمالى إلى أربى
به صنائعهُ من أشرف الرتبِ

(۱) المذاكى من الخيل : التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان .

(۲) القراب : الغمد . (۳) في الأصل : لحنا .

(۴) مؤثَّب : مجتمع . (۵) الضرب : العسل الأبيض .

ومنها:

تجلو عليك التهانى كلُّ شاكِرَةٍ
كالماءِ رَقَّتْها والخمرِ نَشَوَتْها
يَدًا سَبَقَتْ إليها عزيمةَ الطلبِ
فأبْنُ الغمامَةِ فيها وأبْنَةُ العنْبِ

وقال فيه :

خاطرٌ بها فالجدُّ مصحوبُ
وأطلبُ عناقَ العزِّ تحتَ الظُّبَا
وأحِبُّ إلى العلياءِ سُمَرَ القنا
ليس يروضُ الصعبَ من دِرْعُهُ
ولا يخوضُ الغمراتِ الفتي
وثيقٌ بما تُملئُ عليكِ المني
ولا تَقُلْ يا بعدها غاية
لا تَبْعُدُ العلياءَ عن طالبِ
وأسرٍ فظهِرُ الغيبِ مركوبُ
فالعزُّ محبوبٌ ومطلوب
ما صَحَّ حَبِيبُنَّ أنايِبِ (١)
مُحِبَّةٌ (٢) والسيفُ مقروب (٣)
وطِرْفُهُ في الحىِّ مجنوب (٤)
[فالنجحُ مرجوٌّ ومقروب] (٥)
ففي المقاديرِ أعاجيب
له من الأفضلِ تقريب (٦)

وقال فيه :

إذا ما ابتدوا شهدوا حُبِّي الحلمَ للندى
كفيلون في دار الضحى لصريخة
مُ سَطَّرُوا بالبيضِ والسمرِ ذِكرُهُمْ
صدورُ رماحٍ لم تَرِدْ حومةَ الوغى
وإن ركبوا سدَّوا القنا بالمرالكبِ
بوجهِ نهارٍ بالعجاجةِ شاحب
فأصبحَ عنوانَ العُلا والمناقبِ
فتصدرَ إلا عن صدورِ الكتابِ

(١) الأنايِب : كمعوب الرماح .

(٢) محببة : في الحقيبة . (٣) مقروب : في قرابه أى غمده .

(٤) الطرف من الخيل : الجواد الكريم ، ومجنوب : معزول .

(٥) بيان في الأصل وزدنا الشطر ملاماً للسياق . (٦) التقريب : ضرب من العدو .

ومنها :

إذا شهدَ الجَلِّيَ أضاءتْ برأيهِ
دُجْنَةٌ خَطْبٍ مُدْلَمٌ الجوانبِ
وقال أيضا :

بادِرْ يا حسانك الليالي
كم شملي ملكٍ عَدَتْ عَلَيْهِ
فإنَّ من شأنها البتاتا^(١)
فصيرتْ جمعهُ شتانا
| وفرَّكتْ^(٢) قبلُ من عظيمٍ
[٥١ و]
فطلقتْ غيرها ثلاثا

وقال من قصيدة :

وكم للحُبِّ مثلي من صريعٍ
وأعيدَ من ظباءِ الحسنِ حَيًّا
[بحد^(٣)] البيض والسمر الملاح
بورِدٍ أو تبسّمَ عن أقاحي
شربنا من شمائله شَمُولًا
لنشوانِ الثنّى وهو صاحِ
لقلبي الثأرُ فيه عند عيني
فبعضُ جوارحي أدعى جِراحي
لئن عاصيتُ عذّالي عليه
ولم يَقْتَدُ ملامهمُ جماحي
فإنَّ نوالَ شاهنشاهِ قبلي
عَصَى عَدَلِ العواذِلِ في السباحِ
إذا أعطى تبلجَ في العطايا
كما يفتُرُ مبتسّمُ الصباحِ

ومنها :

ملوكٌ إن دجا ليلٌ جَلَوُهُ
كأنَّ الخليلَ تحت النقعِ منها
بلالاءَ الترائك^(٤) والصّفاحِ
شققنَ الأرضَ عن بيضِ الأداحي^(٥)

(١) التات : هنا البت والقطع للصلة .

(٢) فركت : كرهت وطلبت الفراق .

(٣) ساقطة في الأصل وزدناها متابعة للسياق .

(٤) الترائك : جمع تريكه وهي الخوذة أو البيضة .

(٥) الأداحي : جمع أدحية ، وهي مبيض النعام في الرمل .

نثرن عجاجةً في كل فجٍّ كأنَّ الأُكْمَ تنسفها المساحي
مناقبُ سطرَّهنَّ المواضي فما يسمو إليها كفُّ ماحي

وقال :

ماخلتُ والأيامُ ذاتُ عجائبٍ أنى أعدُّ من المتاعِ الكاسدِ
وأكونُ للدهرِ الخوونِ عقيرةً^(١) وأعاضُ مِنْهُ شامتاً من حاسدِ
فأسالمُ الخصمَ الذي لا يُتقى وأثيبُ عدالي^(٢) ثوابَ الحامدِ

وقال :

أحبُّ من الفتيانِ كلَّ مشيِّعٍ ركوبٍ إلى العلياءِ ظهرَ الشدائدِ
يضمُّ على فضلِ العفافِ ذيولَهُ ويرغبُ عن ضمِّ الشدي والنواهدِ

١٠ ومنها :

إذا دَحَرَتْ^(٣) فيه النعامي حسبتَه حبيكَ دروعٍ أو متونَ قلائدِ
نيمٌ بسرِّ القاعِ حتى تخاله أسْتَعَارَ حصاهُ من عقودِ الخرائدِ
نزلنا به والشمسُ يهْدِي شعاعُها له التبرَّ إلا أنه غير جامدِ
لدى روضةٍ قد نَشَرَ^(٤) المصْبُ^(٥) نبتُها^(٦) ونثرَ فيها النورُ دُرَّ القلائدِ

١٠ ومنها :

كأنَّ ذيولَ الأفضلِ انسحبتُ بها يُضَمِّخُها مِنْهُ أريجُ الحامدِ

(١) العقيرة : ما عقر من صيد أو غيره .

(٢) الكلمة في الأصل مطموسة وبقيت منها : لى .

(٣) دحرت : اطردت وجرت ، والنعامى : ربح الجنوب .

(٤) في الأصل : بشر ، ونشر : من النشر ضد الطى .

(٥) العصب : ضرب من البرود اليمانية ناصعة البياض يصبغونها بمختلف الألوان .

(٦) في الأصل يبتنا .

كريمٌ أعدَّ المالَ وقفاً على الجدا
فأضحى نداءً قاصداً كلَّ قاصد
إذا مدَّ يومَ الفخرِ باعاً لمفخرٍ
حوَى طرفيه من طريفٍ وتالد

ومنها:

جمعتَ سَمودَ المشتري ووقارَهُ
إلى بأسِ بهرامٍ وحذقِ عطارِدٍ^(١)

ومنها:

وما نمتَ عن شاني وقد نام دونهُ
ولو كنت ممن يجعل الفحش لفظه
وعَضَّ لحاظَ القوم في كل مجمع
أأغضى على ضميمٍ وعزك ناصري
رجالٌ فلم أنبذ حياةً لراقدٍ
لنبيهم منى عقابُ القصاد
قوافٍ كأطرافِ الرماح الحدائد
وأخفق في^(٢) مجد ونجحك رائدي

وقال من قصيدة في محمد بن قابل وقد أنفذ إليه رفاً :

من منجدي بالشكر أم من مُسعدِي
أوفت على شكري يدُ أغنت يدي
نام الوري غنى فلم أوقفهمُ
أنفاً لمجدي من مقام الجتدي
ورأيت عز الفقر من نيل الغنى
بالذل أولى بالأسلا والسؤدد
ورددت ما يهب اللئام عليهمُ
زهداً ولا مجدٌ لمن لم يزهده
وكذاك نفسُ الحر تحتملُ الظماً
إن فاته يوماً كريمُ المورِدِ
وتداركتني منةٌ من مُنعمٍ
يقظان عن بذل الندي لم يرتدِ
ملاً الزمانُ بها مسامع أهله
من شكر آل محمدٍ لمحمد
يعطيك مسؤولاً فيعجل رِفدهُ
وتعوق هيبتهُ السؤلَ فيبتدي

(١) عطارِد وبهرام والمشتري : نجوم تنسب لها أعمال وحظوظ كما في البيت .

(٢) في الأصل : من .

ومنها:

أرسلتها فوق الرجاء تبرعاً
لما سألتُ النعِيثَ يُسْقَى بالغنى
أحلى الندى ما لم يكن عن موعد
[جوداً^(١)] بَعَثَتْ بِدِيمَةٍ من عسجد

ومنها:

وَلتَنْصُرَنَّكَ باللسان ونصرُهُ
أَبَقَ على الأيام من نصرِ اليد

ومنها:

وإليكم أرسلتها تُرَضِي العُلا
بسهولةٍ عنها المياه تفرقت
كالمسكٍ من طيب الثناء عليكم
فيكم وتقطعُ في قلوب الحُسد
وجزالةٍ منها متون الجمد
فيكادُ يَعْبِقُ عَرْفُها بالمشد

١٠ وقال:

عصيتُ هوايَ حينَ وَفَى لغرٍّ^(٢)
فبلغَ حاكمَ العشاقِ أني
إبلا صار من خُلقي وعادي
عفاً قد حَجَرْتُ على فؤادي

وقال:

ألا يا خليلي من وائلٍ
إلى كم أُسَوِّفُ عطفَ الزمانِ
وعزَّ على المجد أني قنعتُ
وما ذلَّ في الخطبِ عوناي من
ليالي لا أنا شاكي الصحابِ
لساني والمخذي^(٤) الباتر
أعني على ليلي الساهمِ
وعزَّ النتاجُ من العاقر
بأيسرٍ من حَسَوَةِ الطائرِ^(٣)
ولا غدرُهُم شاعِلٌ خاطري

١١

(١) في الأصل: ياض .
(٢) في الأصل: لغرى .
(٣) حسوة الطائر: مقدار ما يأخذ بمتقاره من الماء من مرة أي جرعته .
(٤) المخذي: السيف القاطع .

[٥١ ظ] / وإني على شَفَنِي بالقريضِ
سرى رَجَبٌ يَسْتَحِثُّ الشهور
لأنفُ من همةِ الشاعِرِ
نزاغًا إلى فضلكِ الباهرِ
أَتَاكَ يَجِدُّ عَهْدَ المشوقِ
على كاهلِ الفَلَكِ الدائرِ
وله من قصيدة :

وقورٌ متى يستطلقُ الجهلُ حَبْوَةً
ويطرُبه ذكْرُ النَّدى فتخاله
إذا اكتحلتُ بالطننِ أجفانُ خيله
إذا انبجست كفاه والمزن ممسك
[تبيّن في صدرِ النَّدى وقاره]^(١)
أخا نشوةً جارتُ عليه عُقارُه
فأئمدها في كلِّ فج غباره
فا ضررنا إلا بصوبِ قِطّاره^(٢)
وله من أخرى :

يا صاحبي قم تری برقًا كما نُشِرتُ
وسلّ نسيمَ صبا نجدٍ لعلّ به
تضوّعتُ من تری واديه إذ خَطَرْتُ
تجنّبي ويَعذُرُها^(١) حسنٌ تَدِلُّ به
ملاءةُ الفجرِ هاج^(٢) الوجد والذِّكْرَا
عن العذيبِ^(٤) وجيرانِ الفضا^(٥) خبرا
رَبًّا فما زالَ من أرادانها عَطِرا
فكلُّ ما فعلتهُ كان مُفْتَقِرَا
وله من أخرى :

خلعنا الصِّبَا ولبسنا الوقارا
ويا ربما ليليةٍ قد خَطَرْتُ
أردُّ مشورةَ رأى النَّهي
وكان الشبابُ رداءً مَعَارَا
إلى اللهويُّ رُخى مَراحى^(٧) الإزارَا
عليه وأرضى أهوى مستشارَا

(١) بياض في الأصل وأكمناه حسب السياق .

(٢) القطار : الطر . (٣) في الأصل : هان .

(٤) العذيب : ماء بين القادسية والميثة .

(٥) الفضا : شجر . (٦) في الأصل : وبعدها .

(٧) المراح : النشاط والسرور .

لِيَهِنِكَ يَا عَاذِلِي أَنِّي مَلَكْتُ عَلَى صَبَوَاتِي^(١) الْخِيَارَا
 رَقَّتْ^(٢) دَمْعَةُ الشُّوقِ مِنْ نَاطِرِي وَخَلَّفْتُ غَيْرِي يَبْكِي الدِّيَارَا
 وَلَمْ تُنْسِنِي عِفَّتِي غَادَةً تَزِينُ الْمَعَاصِمُ مِنْهَا السُّوَارَا
 إِذَا انْتَقَبْتَ قَلْتَ بَدْرُ النِّمَا م لَآثَ^(٣) عَلَيْهِ النَّهَامُ الْخِمَارَا
 وَلَا أَغِيدُ^(٤) الْجَيْدِ أَمْسَى يَدِيرُ مِنْ طَرْفِهِ وَيَدِيهِ الْعَمَارَا
 إِذَا هُوَ أَرْعَفَ إِيرِيقَهُ كَسَتْ يَدُهُ كَأَسَهُ الْجُلْنَارَا
 تَحَالُ فَوَاقِعَهَا لَوْلَا وَهَى سِلْكُهُ وَدَمُوعًا غَزَارَا
 إِذَا الْمَاءُ عَاتَبَ أَخْلَاقَهَا رَأَيْتَ الشَّقَائِقَ مِنْهَا بَهَارَا
 تَضِي لَنَا فَحَمَاتِ الظَّلَا م مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْبَسَ الْفَجْرُ نَارَا
 وَبَيْنَ الْوِشَاحِينَ مِنْهُ الْقَضِيبُ^(٥) وَتَحْتَ الْحَقَابِ^(٦) نَقًّا حَيْثُ دَارَا

[وله من أخرى] وهى طويلة :

سَلْ بَنِي نَهَانَ هَلْ زَهَدُوا فِي نِئَاءٍ مِنْ فِتْيِ قُرَشِي
 صَارَ كَالْكُمُونِ بَيْنَهُمْ بِالْمُنَى يُرَوَى مِنَ الْعَطَشِ
 وَابْتِلَاءِ الدَّهْرِ بَيْنَهُمْ بَعْدَ مَرْتَسٍ وَبِئْسَى

١٥ وله من أخرى :

هَلْ أَنْتِ بِالْيَأْسِ الْمُرِيحِ مُخَالِصِي مِنْ أَسْرِ مِيعَادِ الْمُنَى الْمُتَخَرِّصِ^(٧)

(١) الصبوات : جمع صبوة وهى الميل إلى الجهل والفتوة .

(٢) رقت : جفت . (٣) لاث : لف .

(٤) كلة أغيد مملوطة على غادة فى قوله : ولم تنسنى البيت .

(٥) القضيب : الفصن .

(٦) الحقاب : الحلى فى حزام يدور على الحصر ، والنقا : الكتيب من الرمل .

(٧) للتخرص : إما من الحرص أى الحزر أو بمعنى الكاذب .

وإليك أشكو سوء حظي مُشرق^(١) أني شربتُ وإن أكلتُ مُنقصي
 ماذا على الأيامِ لو هي أحسنتُ أو سأحتُ بالعيش غيرَ منقصِ
 وأشدُّ ما لاقيتُ من أحداثها ما قد تجددَ في جفاءِ المُخلصِ
 وعدُّ الزيادة قد تطاولَ عمره حتى مللتُ ترقبي وتربصي
 ما كنتُ أولَ مستزيدٍ لم يزدُ وأنا السعيدُ اليوم إن لم أنقصِ

وقال :

أغرى به الشوقَ اللجوجَ وحَرَضا برقُ أضاءَ له على ذات الأضا^(٢)
 متبسماً منهُ الغمامُ كأنما هزَّ القيونُ به الحسامَ المنتضى
 وعصى الفؤادُ سُلوهُ لما غدا طوعَ الوشاةَ فصدَّ عنه وأعرضا
 هيهات إبراء السقيم^(٣) من الضنا يوماً إذا كان الطيبُ المرِضا
 ما كان لولا حبُّ من سَكَنَ الغضا يُحشى حشاه لذكره جمرَ الغضا
 زمنٌ مضى فوق المنى فكأنه حكمٌ تقاضى حسرةً ثم انقضى
 خالفتُ يومَ البين حكمَ تجلدى لما قضى فيه القراق بما قضى
 وبمهجتي رشاً أغنُّ بطرفه مَرَضٌ وصحةُ طرفه أن يمرِضا
 قد صرَّح المجران فيه لمدنف ١٠ خاف الرقيبَ على هواه فعرضا
 كم يقتضيني الدهرُ حتى عنده ١٥ الدينُ لي وأنا الغريمُ المُقتضى

وله على وزنها من أخرى :

كان الشبابُ وقد خلعتُ رداءهُ طيفاً سرى وخضابَ داجية نضا^(٤)

(١) مشرق : من الشرق وهو الشجا والغصة .

(٢) الأضا : واد . (٣) في الأصل : إفران النسيم .

(٤) نضا : خلع ونصل .

ومنها فى الاعتذار عن مدح غير هذا الممدوح :

شَعْرٌ حَمَلَتْ سِوَاهُ وَبِياضِهِ فوجدت أثقلَ ما حملتُ الأبيضا
 ما إنْ مدحتُ سِوَاكَ إِلَّا رِقْبَةً منى لِصِلِّ حِماطة قد نضنضاً^(١)
 فسحتُ بالأشعارِ عِطْفُ عِرامِهِ^(٢) وحملتُ عذَرَ زمانه حتى انقضى
 والآن عُدْتُ وكنتُ عوداً ذاوياً نبتاً بصوبِ نداكمُ قد رَوْضاً
 وحُسدتُ ما شَرَفْتَنى بِسِماعِهِ حتى تمنى مُفجَمٌ أنْ يَقْرِضاً

وقال :

كلَّ يومٍ نَلَقى بِبابِكَ غَيْظاً^(٣) أملاً خائِباً وَسَعياً مضاعاً
 / ووجوهاً يُفَضُّ من دونها الطر فُ كما قابلتُ عيونُ شعاعاً
 ليتهمُ إِذْ حَموكَ من كلفة الإذ ن لنا أوصولوا إِلَيْكَ الرقاعاً

وقال :

لعذلِ العواذلِ أَلَّا أَعى وألَّا أُصِيخَ له مَسْمَعى
 ويا لَأَمَى فى عِرامى بها أَضَعَتِ الملامَ لِحْذُ أو دَع
 أَتَطْمَعُ للقلبِ فى سِلوَةٍ وهيهات فى ذاكِ لا تَطْمَعِ
 أَطَعْتُ الهوى وَعصيتُ النِصيحَ وقالِ العِذولُ فلمْ أَسْمَعِ
 وقد أنكرتُ أنْ حَبى لها كسرى فى غيرِ مُسْتَوْدَعِ
 فلو جاز حِكمى لدَعوى الهوى جعلتُ اليمينَ على المدعى
 أما عَلِمْتَ أنْ لى بعدها هوماً تُكاثِرُها أَدْمَعى
 أبى لى تَناسى ما قد مضى خيالٌ لها لازمٌ مَضْجَعى

(١) نضنض الصل : حرك رأسه ؛ والحماطة : شجرة التين .

(٢) العرام : الحدة والشدة ، وفى الأصل : غرامة .

(٣) فى الأصل : غيظاً .

ومنها :

وزارَ برغمَ الكرميَ هاجعين
وأشعثَ أخفاهِ برحُ السقامِ
فيا منَّةً [قد^(١)] شكرت الرقاد
لو أني انتبهت وقلبي معي
نشأوى بكأسِ الهوى المتزعج

ومنها :

وقد علم الحرصُ أنني برئتُ
وكم لي مع الدهر من وقعةٍ
تبأجت^(٢) في وجهها الأسفَع
إلى راحةِ اليأسِ من مطمعي

وقال :

دع المطامعَ لا تحللُ بساحتها
لا تخضعنَّ لأمرٍ عزَّ مطلبه
وأرضَ القليلين من ربي ومن شبع
لا خيرَ في العيش ما أذناك من ضرع

وقال :

غريمُ فؤادي في الهوى غيرُ منصف
تكلفَ بي يومَ اللقاءِ بشاشةٍ
وماطلُ وعدى قد أبي الغدر أن يني
وأقبحُ ما استحسنَت بشرُ التكلف

ومنها :

رضيت وإن لم تسمحوا برضاكم
ليهنن حَسودِي أن يُقدِّمَ ناقصُ
ولو أنصفَ الدهرُ الكرامَ لماغدا
لِي اللهُ من قلبِ لجوجٍ بصبوةٍ
على عزِّ قومي في الهوى ذلَّ موقفي
فأصبحَ فضلي علةً لتخلُّني
يطيلُ على حظِّ اللثامِ تلهني
إلى العزِّ ما يزداد غيرَ تغطف^(٣)

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) تبليج : أضاء وأشرق .

(٣) التغطف : الكبر .

رَكُوبٍ لِأَثْبَاجِ الْحَاوِفِ دُونِهَا وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْيَاءَ لَمْ يَتَخَوَّفْ
أُزْمَى بَعِيشِ الْخَامِلِينَ وَقَدْ أَبَى لِي اللَّهُ أَنْ يَرْضَى فِرَاسِي وَخُنْدِي^(١)
ومنها في القلم :

له القلم الماضي الشَّبَا فكَأَنَّمَا تَهَزُّ بِهِ أَعْرَافُهُ^(٢) صَدَرَ مُرْهَفٍ
إِذَا مَاسَقَاهُ الْمَزْنُ صَوَّبَ قَطَارَهُ كَمَا الطَّرْسَ أَثْوَابَ الرَّبِيعِ الْمَوْفِ
وله من أخرى :

حَيٌّ مِنْ رِيًّا خِيَالًا طَرَقًا عَادَ جُنْحُ اللَّيْلِ مِنْهُ فَلَقَّا
سَارِيًّا يَذُكِرُنَا عَهْدَ الْحَمَى نَقَصَ الْبَيْدَ^(٣) وَقَصَّ الطَّرْقَا
حَبِذَا الطَّيْفُ تَمَلَّنَا بِهِ وَاصْفَا فِي الْبَيْنِ أَيَّامَ اللَّقَا
قَدْ رَضِينَا مِنْ أَبَاطِيلِ الْكِرَى رَدَّ مَا مَوَّهَهُ وَاخْتَلَقَا
أَلْتِي إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْمَنَى إِنَّهَا لَهِيَ النَّعِيمَ فِي الشَّقَا
هَلْ مُعَادٌ وَالْأَمَانِي ضَلَّةٌ مَوْفَقٌ بَيْنَ الْمَصَلَى فَالذَّمَا
يَانَسِيمَ الرِّيحِ إِمَّا جِثْتَهُمْ فَاشْكُ عَنْ قَلْبِي الْجَوَى وَالْحَرْقَا
وَتَعَرَّضْ لِمَلُولٍ مِنْهُمْ مُسْتَجِدِّ كُلِّ يَوْمٍ خُلُقَا
وَطَمُوحِ الْعَيْنِ مَذَاقِ^(٤) الْهُوَى قَلَّ مَا مَازَحَ إِلَّا عَشَقَا
أَهْ وَالشَّكْوَى إِلَيْكُمْ خَوْرٌ بِمَدَّ ظَنِّي فِي هَوَاكُمُ أَخْفَقَا
يَا لَهَيْفَاءَ وَقَلْبِي كُلِّمَا قَلْتُ قَدْ أَفَلَّتَ مِنْهَا عَلَقَا

(١) الفراس : الخندق ، والخندفة : مشية الخيلاء .

(٢) أعرافه : أعاليه وفي الأصل : أعراضه .

(٣) في الأصل : اليد (٤) مذاق الهوى : غير مخلص .

ونخلٍ كالشجى معترضٍ ما محضتُ الودَّ إلا مَذَقًا

وله من قصيدة :

أَمَّنَّاها على بُغْدِ المَنالِ وأَسومُ الصبرَ عنها وهو غالى
وأرجى عطفَةَ السالى وقد تَفَلَّقَ الأَطْماعُ أسبابَ المُحالِ
وعلى ما سَرَّنى أو ساءنى فهوَ محبوبُ التيجنى والدلالِ
ولقبي من أحاديثِ المَنى مالعيني من سُرَى طَيِّفِ الخيالِ

ومنها :

لستُ بالفائتِ حظِّي منكمُ رب عتبٍ كان بابًا لملالِ
مذهبٌ ما ابتدَعْتَهُ غادَةٌ يُبَدِّلُ العذْرُ لرباتِ^(١) الحجالِ
أَنكَرْتَنِي أَنْ رَأَيْتَنِي عاطلاً ربَّ جيدٍ عاظلٍ بالْحُسْنِ حالى
من عذيرى اليومَ من أيدِ خطو بٍ رعى البادنُ منها فى هزالى
همُّ العلياءِ ضَرَّاتُ الفِئسى وجيوشُ الفقرِ إِكْثارُ العيالى
فارضَ بالأدنى إذا لم ترقَ فى درجاتٍ من ذرا المجدِ عوالى
أو فكن جَارَ شهنشاهٍ تصِفُ مُغرماً بالجودِ فيَياضِ النوالِ
كفَلِ الملكِ بأطرافِ القنأ والمعالى فى كَفالاتِ العوالى^(٢)
ومُطاعُ الرمحِ فى يومِ الوغى نافذُ الحِكمِ على الأرواحِ والى
عَلَّقَ الأرزاقِ من أَسْمِرِهِ^(٣) مَعَلَّقَ الرمحِ بأطرافِ النصالِ^(٤)
يَنفُضُ العِشِيرَ عن أعطافه نَفْضَةَ الأَجْدَلِ^(٥) أُنْداءِ الظلالِ

(٢) العوالى : الرماح .

(٤) فى الأصل : الذبال .

(١) فى الأصل : بربات .

(٣) الأسمر : الرمح .

(٥) الأجدل : الصقر .

وله من أخرى :

لولا الحظوظ التي في بعضها بله^١ لما علا الشمس بهرام^٢ ولا زحل^(١)
هم لبست له ثوب الضنا كمدًا وهم يفعل ما لا تفعل العلل

/ ومنها :

[٥٢ ط]

من كل أروع في الهيجاء يصحبه الأرقم الصل^٣ إلا أنه بطل^٤
عزم فتى ورأى منه مكتمل والأغلب الورد^(٢) إلا أنه رجل

ومنها :

وصاحب مثل حمى الربيع^(٣) أرقبها مفرى بذمى منه المنطق الخطل^٤
رمى ولو أنى أرضيه قلت له خذها إليك لكف الخطى الشلل

١. وله من أخرى :

يا هل جنت أعين^١ مراض^٢ كالنجر تسطو على العقول
أصابت القلب يوم سلع^(٤) بنافذات بلا نصول
فقل إذا جنت آل سهم^٣ ما فعل السهم بالقتيل
ويانسيم الصبا تعرّض لحاضر بالفضا حلول
بلغ فإن القبول أولى في طاعة الصب بالقبول
وصف غرامى وأجر فيهم ذكرى لله اجر الملول
واحر قلباه من قضيب ريان لم يدر ما غلى

(١) يشير إلى ما كانوا يعتقدونه في البروج والأفلاك والنجوم وترتيبها بالقياس إلى بعضها في الحظوظ .

(٢) الورد : الشجاع الجريء .

(٣) حمى الربيع : التي تنقطع ثلاثة أيام وتأتي في الرابع .

(٤) سلع : جبل في المدينة .

لو أَنْصَفَ الْحَبُّ مَا طَلَبْتَ الْوَصَالَ مِنْ طَيْفِهِ الْبَخِيلِ
ومنها في المدح :

من أسرة النجم في المعالي وإخوة الغيث للنزِيلِ
تشابهوا واحداً ونَجَلًا^(١) ما أشبه الكُثْبَ بالسَّهولِ

وقال من أخرى :

رعى الله المنازلَ من غَمِيمٍ^(٢) وحيًا يومنا بلوى الصَّرِيمِ^(٣)
ورَوَّى أرضها حَلَبُ العَوَادِيِ وَصَافِحَ رَوْضَهَا وَوَلَعُ النَّسِيمِ
وَقَفْتُ بِهَا فَيَا نَثْرِي^(٤) لَدَمْعٍ أَرَقْتُ عَلَى ثَرَى تَلَاكِ الرِّسُومِ
وَمَا خِلْتُ الْعَالَمَ قَبْلَ يَوْمِي بِهَا صَهْبَاءُ تَهْفُو بِالْحُلُومِ
مَتَى تَدْنُو لِمَشْتَاقٍ مُنَاهُ وَيَصْحَوُ مِنْ مَعَاقِرَةِ الْهَمُومِ ؟

ومنها :

ومن ناداك من قلبٍ سليمٍ كَمَنْ دَاجَاكَ بِالوَدِّ السَّقِيمِ
فَلَا تَغْرُرْكَ صِحَّةُ صَفْحَتَيْهِ فَتَبْحَثَ ثِيَابَهُ نَفْلٍ^(٥) الْأَدِيمِ
فِدَاؤُكَ كُلُّ مَغْرُورٍ الْأَمَانِي رَجِيٌّ مُنْتَجِعٌ الْأَمَلِ الْعَقِيمِ

وقال :

رَكِبُوا قَوَادِمَ رَوْعِهِمْ فَكَاثِمًا طَارَتْ بِهِمْ حَذَرُ الْحِمَامِ حَمَامِ
إِنْ لَدَّ عِنْدَكَ طَيْبٌ عَيْشٍ بَارِدٍ قَلْنَا^(٦) وَعِزْمُكَ فِي غُلَاكَ ضِرَامِ

(١) نَجَلًا : نسلا . (٢) الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

(٣) لوى الصريم : اللوى : منقطع الرملة ، والصريم : الأرض السوداء ، ولوى الصريم :

واد باليمن .

(٤) في الأصل : فياسرعا . (٥) النفل : الفساد . (٦) قلنا : من القيلولة .

وله في مريض :

أما لو أن أغراضى لا يخرجن عن حكى
نقلت الداء من جسمك مختاراً إلى جسمى

وله من أخرى :

كالغصن أطلع بدر تمّ باسمًا بالأخوان ملتئمًا بالعندمِ
يا عاذل أقصر فسمى فى الهوى سلمُ الغرام و حربُ لومِ اللومِ
لو كنت أعلم أن نجداً فصدُّهم يوم استقلَّ فريقيهم لم أتهمِ
ووراء أقمارِ الموادج غلّة تحمى الحرّم بالأقب^(١) للمجم
كتبوا بأيدي الخيل خلف مطيهم عين^(٢) الحواجر^(٣) بلوها^(٤) لمتيم

١٠ ومنها :

أفنت شجاعته السلاحَ فسيفه يبكى الدماء لرحمه المتحطم

ومنها :

لو أشهدت^(٥) رزق الورى شهدت به نعمٌ إلى نفعاتٍ سليل تنمى

وله من قصيدة أولها :

أثرها فقد طال هذا مقاماً وراخ لها إن جاذبن الزاماً
تقص من الغيث آثاره فترعى جميعاً^(٦) وتُسقى جماماً^(٧)

(١) الأقب من الخيل : الضامر . (٢) عين : جمع عيناء وهى واسعة العين .

(٣) الحواجر : جمع حاجر وهى منزل فى البادية يمر به الحاج .

(٤) بلوها : من قولهم فلان بلو حب ، إذا بلاه الهم والفكر .

(٥) فى الأصل : لو شهدت رق ، وهو تحريف .

(٦) الجميم : النبات الذى طال بعض الطول .

(٧) الجمام : جمع جيم وهو معظم الماء .

ومنها :

أضاءوا شمساً ، وتمّوا بدوراً ، ولاحوا نجوماً ، وجادوا غماما

ومنها :

يا بائعى بالدونِ إنَّ العُلاَ
وَعَدُّكَ قَدْ أَصْبَحَتْ أَتْلُو لَهُ
لا تَرْضَى بِيَعَكَ أَعْلَى بَدُونُ
إِنْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ مَا قَدَأْرَى^(١)
هيهات هيهات لما توعدون
فقل لحسادى ما تحسدون

وله من قصيدة :

وَمِ كَمِ ذُذْنَا الْكِرَى عَنَا بَلِيلِ
وَقَدْ نَثَرْتُ كَوَاكِبُهُ عَقُوداً
كَعَيْنِ الظَّبْيِ أَوْ فَرَعِ الْغَوَايِ
صَحَبْنَا فِيهِ مَلَأَ الْقَلْبَ رَعْبًا
نَقُوداً صُبْحُهَا لَقَطُ الْجَمَانِ
عَلَى مِثْلِ الْأَهْلَةِ طَامِحَاتِ
بِخْرَقِ^(٢) كَالْمَلَاءَةِ صَحْصَحَانِ^(٣)
إِلَى قَمْرِ الْعَالِي الْإِضْحِيَانِ^(٤)

ومنها :

كَانَ الْبَيْضُ فِي رَهَجِ الْمَذَاكى
ضَرَامٌ تَحْتِ أُرْدِيَةِ الدِّخَانِ

وله من قصيدة يصف خيمة ونقوشها :

ضَرَبْتَ عَيْنَ [رَوَاقٍ^(٥)] فِي مَقَرٍّ عَلَاً
بَجَارَتْ مَدَى الطَّرْفِ حَتَّى خَلَّتْ ذُرُوتَهَا^(٧)
أَوْ فِي عِلَى عَدَبَاتِ^(٦) الطُّوْدِ ذَى الْقُنَنِ
تَأْوَى مِنَ الْفَلَكِ الْأَعْلَى إِلَى سَكَنِ

(١) فى الأصل : رأى .

(٢) الخرق : القلاة .

(٣) الصحصحان : ما استوى من الأرض .

(٤) الإضحيان : المضيء .

(٥) ساقطة من الأصل وزدناها مع السياق ، والرواق : الخيمة والفسطاط .

(٦) العدبات : الأعلى ، والفن : القمم . (٧) فى الأصل : حادت .

أفطارها ملئت من منظرٍ عجبٍ يَهْدِي إِلَيْكَ ذِكَاةَ الصَّانِعِ الْفَطْنِ
 فمن رياضٍ سقاها الفكرُ صَيْبَهُ فما بها ظمًا يومًا إِلَى الْمُنِّ
 وجامعٍ في عنانٍ لا يمازبهُ وطائرٍ غيرِ صَدَّاحٍ عَلَى فَنِّ
 وأرقمٍ لا تمجُّ السَّمَّ رِيْقَتُهُ وضيغمٍ ليس بالعادي ولا الوهنِ
 ومائلين صفوفًا في جوانبها لو يستطيعون خَرَّ (١) الْجَمْعَ لِلذَّقْنِ
 / زِينَتُ بَارُوعٍ لَا تُحْصَى فِضَائِلُهُ ماضٍ من المجد والعلواء في سنن [٥٣ و]
 وأطلع الدست (٢) فيها شمسَ مملكةٍ تَرَى التَّامُّلَ فَضَلَ الْعَيْنِ لِلْأَذْنِ
 وعدُّ على السَّعْدِ أَنَّ النَّصْرَ يَضْرِبُهَا بالصين بعد فتوح الهند واليمن
 وله من أخرى :

١٠ زالت ببيضك هامٌ عن مناكبها فنابت السمرُ فيها عن هواديبها (٣)
 أعطيتُ ملءَ رجائي من غنى وعلاءٍ فصرتُ أسألُ نفسي عن أمانيبها
 وله من أخرى أولها :

١٥ ليت دارَ الحىِّ إذ شطَّتْ بها حَمَلَتْ رِيحَ الصَّبَا نَشَرَ ثَرَاها
 لا عداها الرئى من صوب حيا ينظمُ الروضَ لأعناقِ رَبَّاهَا
 دارهمُ بالغورِ (٤) إذ هم جيرةُ والنوى ما صدعتُ شمالاً يداها
 وسميرى في الدياجي غادةُ فخر البدر بها (٥) لما حكاها
 ومنها :

خَلَوَاتُ لَمْ تَكُنْ فِي رِيْبَةٍ أَكْرَمُ الصَّبُورَةِ مَا عَفَّ هَوَاهَا

(١) في الأصل: جر ، ويجزون لأذقانهم أو على أذقانهم : يسجدون .
 (٢) الدست : صدر البيت . (٣) الهوادى : جمع هادى وهو العنق .
 (٤) الغور : تهامة . (٥) في الأصل : به .

سَلَّ عَفَافِي دُونَهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ رِيْقَهَا مِنْ خَمْرَةٍ قَبَّلْتُ فَاهَا
 آهٍ مِنْ بَيْنِ وَشَوْقٍ لَمْ يَدْعُ حَسْرَةً تَعْتَادُنِي إِلَّا اقْتِضَاهَا
 لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي غَيَّرَهَا أَوْ أَرَاهَا حَسَنًا أَنْ لَا أَرَاهَا
 شَدًّا مَا أَجْرَتْ دُمُوعِي فِرْقَةً لَا أَرَى عَوْنًا عَلَى قَتْلِي سِوَاهَا

ومنها :

مَا عَلَيْكُمْ أَنَّهُ زَارَكُمْ فَسَمِعْتُمْ بَعْضَ مَا يَشْكُو شِفَاهَا
 لَا تَذُودُوا عَيْنَهُ عَنْ نَظَرَةٍ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا تَجْلُو قَدَّاهَا
 وَعِدُّوا بِالطَّيْفِ إِنْ عَادَ كَرِيٌّ مَقْلَةً مَذْغِيمٌ غَابَ كَرَاهَا
 أَوْ فَمِنُوهُ الْمَنَى مِنْ قُرْبِكُمْ حَالَ يَأْسٍ بَيْنَ نَفْسِي وَمِنَاهَا
 قَلْ لِمَنْ دَبَّتْ أَفَاعِي كَيْدِهِ لَسْتُ أَخْشَاهَا وَكَيْدِي مِنْ رُقَاهَا
 لَا تَجَادِبْنِي فَإِنِّي مُنْسِيكَ ذِمَّةً لِلْمَجْدِ لَمْ تُفْصِمْ عَرَاهَا
 مَا أَبَالِي سُخْطَ أَيَّامِي إِذَا فَازَ سَهْمِي بِرُضَى شَاهِنَشَاهَا

وله من قصيدة :

وِغَضْبَانَ أَعْدَى بِالتَّجْنِي خِيَالَهُ فَمَنْ لِي بَأْسَ أَلْقَاهُ فِي الْحَلْمِ رَاضِيًا

ومنها :

أَحَبُّ ثَرَى الْوَادِي الَّذِي نَزَلَتْ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا بَيْنَنَا مَتَدَانِيَا
 وَأَكْبَرُ (١) أَنْفَاسِ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى فَصَادَفَ جِرْعَاءَ الْحَمَى وَالْحَانِيَا

ومنها :

فِيَا لَيْتَ قَوْمِي جَنَّبُونِي عَقُوقَهُمْ وَلَيْتَ صَدِيقِي لَا عَلِيَّ وَلَا لِيَا

(١) في الأصل : وأكيد .

أَسْرُوا حِذَارَ الشَّامِتِينَ تَأْوَهَا وَمِنْ ذَا مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ يُلْفَ آسِيَا
وَأَظْمًا فَأَرْوَى بِالنَّسِيمِ تَعْلَلًا عَنْ الْمَاءِ كَيْلًا يَعْلَمُ الْمَاءُ مَا يَبِيَا

ومنها :

وهاجرة تَدْوِي^(١) الوجوة ارتديتها وقد عَمَّتْ صُلْعَ الرَّبِّيِّ^(٢) القباطيا^(٣)

ومنها :

وليل كأطمار^(٤) الشكالي ذرَعْتُهُ بصحبٍ يُضَاهُونَ النجومَ الدراريا
وخرق كراح المُجْتَدِينَ قَطَعْتُهُ بِمَنَاطِرَاتٍ^(٥) كالقسيِّ نواجيا^(٦)
بمقورة^(٧) مثل الهلالِ كأنما طَلَى السَّيْرَ مِنْهَا بِالْكَحِيلِ^(٨) الذواريا^(٩)
ينازع من أعقابها الجذبُ بالبري^(١٠) أفاعي حَقْفٍ^(١١) لا تجيبُ الرواقيا

(١) تدوى : تدبل ، وفي الأصل : تزوى .

(٢) في الأصل هكذا : الروى ، والرَبِّي : الربوات .

(٣) القباطى : جمع قبطية وهي ثياب تنسب إلى قبط مصر الذين كانوا يصنعونها .

(٤) أطمار : جمع طمر وهو الثوب الخلق .

(٥) المنَاطِرَات : المنفوسات ، ويريد الإبل .

(٦) نواجى : جمع ناجية وهي الناقة السريعة .

(٧) مقورة : مضروبة ولعله يكتنى بذلك عن كثرة سيرها .

(٨) الكحيل : القطران . (٩) الذوارى : الأعلى .

(١٠) البرى : جمع برة وهي حلقة توضع في أنف البعير .

(١١) الحقف : المعوج من الرمل .

١٠ - الأهرز أبو الفروع

المعروف بابن فهرقس وهو

نهر* [الله] بن عبد الله بن علي بن الأزهرى

ذكري نجم الدين بن مصل^(١) أنه كان من أهل الإسكندرية وقاد الخاطر،
ذا الفضل الوافر، مات بعيذاب عند رجوعه من اليمن ولم يبلغ عمره ثلاثين سنة .
أنشدنى له من أبيات يصف أمراضه :

نُكِّسْتُ فِي الْأَمْرَاضِ بِهِ لَمَّا إِفَاقَتِي نَكْسَ الْمَلَالِ
وَالرَّأْسُ مِثْلَ الْكَاسِ لَوْ لَا عِلَّةَ نَالَتْهُ خَالِي

وأنشدنى له من قصيدة :

لا تثنِ خَدَّكَ إِنْ الرُّوضِ قَدْ جِيَدًا^(٢) مَا عَطَّرَ القَطْرُ مِنْ نَوَارِهِ جِيَدًا ١٠

ومنها :

وقف^(٣) أُبَيْتِكَ مَا لَانَ الحَدِيدُ لَهُ فَإِنْ صَدَقْتَ فَقُلْ : هَلْ صَرَتْ دَاوِدَا

(*) شاعر إسكندرى ولد سنة ٥٣٢ هـ ، وتوفى سنة ٥٦٣ هـ رحل إلى صقلية وبقى بها نحو عامين ، ثم رجع إلى مصر وتركها إلى اليمن ومات بعيذاب بعد رجوعه منها سنة ٥٦٧ هـ .
وله ترجمة في معجم الأدباء ٢٢٦/١٩ ، وابن خلكان ٢٣١/٢ ، وشذرات الذهب ٢٢٤/٤ ، وحسن المحاضرة ٣٢٤/١ ، ومسالك الأبصار الجزء الثانى عشر المجلد الأول الورقة ٢٣ .
ولابن قلاص ديوان مطبوع راجعه وضبطه خليل مطران ، وسنرجع إليه فى تحقيق هذا النص .

(١) أحد أعيان الدولة الأيوبية كان له عند صلاح الدين والفاضل فضل وإفضال ، وهو الذى سعى للمهاد حتى يتخذ الفاضل فى كتابه . انظر الروضتين ٢٠١/١ .

(٢) جيذا : نزل به الجود وهو المطر .

(٣) هكذا فى الديوان وفى الأصل : وقد .

(١٠ - خريدة)

ومنها:

يا ثعلب الصبح^(١) لا سرحان أوله خذ الثريا فقد صادفت عنقودا

وله:

ما ضر ذلك الريم أن لا يريم لو كان يرثي لسليم سليم^(٢)

ومنها:

تراه لما أن غدا روضةً أعلّ جسمي كي أكون النسيم^(٣)
رقيمٌ خديّ نام عن ساهري ما أجدّر النوم بأهل الرقيم^(٤)

وله من أخرى:

فهمت عن البارق المطر حديثاً ببالك لم يخطُر
يقول سهرت فأجبر^(٥) الدموع وإلا فإنك لم تسهر

ومنها:

فيا عبلة الساق لا أشتكى [إليك^(٦)] / سوى وجدى العنترى^(٧) [٥٣ ظ
ثم ظفرت بكتاب الزهر الباسم من أوصاف أبي القاسم^(٨) ، وهو بعض

(١) في الديوان ، وفي أعيان العصر (رقم ١٠٩٤ تاريخ بدار الكتب المصرية ج ٢ ورقة ٢٢٠) الفجر .

(٢) السليم : الصحيح والديع . (٣) رواية هذا البيت في الديوان هكذا .

أغيد مذ همت به روضة أعلّ جسمي لأكون النسيم

(٤) يشير إلى قصة أهل الكهف المعروفة .

(٥) في الديوان : فأذر . (٦) زيادة من الديوان سقطت من الأصل .

(٧) العنترى : نسبة إلى عنتر ، ذكره مشائكة مع كلمة عبلة في أول البيت .

(٨) هو أبو القاسم بن حمود المعروف بابن الحجر ، وقد وصفه ابن جبير بأنه زعيم أهل

الجزيرة من المسلمين في عصر النورمان بصقلية ، وأثنى عليه بكثرة الصنائع والصدقات .

القواد بجزيرة صَمَلِيَّة فَأَطَلَمْتُ فِيهِ وَأَطَلَمْتُ فِي فَلَكِ الْخَرِيْدَةِ نَجُومَ مَعَانِيهِ .
 فأول ما بدأ فيه بوصف الكتاب ، كلامٌ أصفى ديمَّةً من دَرِّ السَّحَابِ ، وأوفى
 قيمةً من دَرِّ السَّحَابِ . فمن ذلك :

- هذا كتابٌ نظمتُ فريدهُ في عِقْدِ الكرمِ ، وجلوتُ فِرِنْدَهُ في عَضْبِ
 الْهَمِّ ، واستخلصتُ بنارِ الطبعِ تَبْرَهُ ، وشحذتُ من لَسَنِ الذَّهْنِ نَبْرَهُ ، وأنبتُ
 في روضِ الشرفِ أزهاره ، وأثبتُ في سماءِ العزِزِ زواهره ، ووسمتُ عواتقِ المجدِ
 بِجَمَائِلِهِ ، وورقتُ دُمَائِثَ^(١) الْحَمْدِ بِجَمَائِلِهِ ، ناضرةً^(٢) مُشْرِقةً اللَّأْلَاءِ ، بل مشرفةً
 اللَّأْلَاءِ^(٣) . وهذا السَّيِّدُ الْإَيْدُ — وَإِنْ عَظُمَ سُورُهُ ، وَكَبُرَ صُورُهُ^(٤) ، وَشَرُفَ
 نَسَبُهُ ، وَظُرُفَ نَصَبِهِ^(٥) ، واجتلى من مجالسِ الفضلِ ، ومفارسِ النبيلِ — منتبدي
 صَدُورِ إِيوَانِهَا^(٦) ، ومبتدأ سَطُورِ دِيوَانِهَا ، فَإِنْ مَثَلِي وَإِيَاهُ كِرَامِي سَنِينَ عَجَافِ ،
 وداعى مُسَبِّتِينَ لِإِيحَافِ^(٧) ، طَواهُ إِدْقَاعِ ، وَأَجْرَاهُ صَنْصَفِ قَاعِ ، فَاحْتَلَّ بُوْهَدِ ،
 رَهِينِ جَهْدِ ، مَالِهِ بِالسَّحَابِ وَأَذْيَالِ السَّحَابِ مِنْ عَهْدِ ، قَدْ لَفَتَهُ النُّكْبَاءُ فِي شِمْلَتِهَا ،
 وَأَتْلَفَتَهُ بِتَفْصِيلِهَا وَجَمَلَتِهَا ، فَلَمَّا^(٨) يَبَسَتْ مِرَاتِعُهُ ، وَيَبَسَتْ مَطَامِعُهُ ، أَتَتْهُ أَكِيلَةُ
 لَيْثٍ فَسَامَهَا ، وَعَنْتْ نَحِيْلَةَ غَيْثٍ فَشَامَهَا ، وَأَصَاخَ لَيْسْتَمِعُ أَيْنَ مَوْقِعُهُ ، وَيَنْتَجِعُ
 مَا يَنْفَعُهُ ، وَإِذَا هُوَ نَبْتُ ، فِي رَمْلِ خَبْتٍ ، قَدْ أَرْضَعَتْهُ بَدْرُهَا الْأَمْطَارُ ، وَرَضَّعَتْهُ
 بَدْرُهَا الْأَزْهَارُ ، وَأَنْدَقَّتْ^(٩) أَنْهَارُهُ ، وَسَجَعَتْ أَطْيَارُهُ ، بِمَا خَرَّقَ لَهُ مَخَارِقَ^(١٠)

(١) دُمَائِثُ : جَمْعُ دَمِيْثَةٍ وَهِيَ مَا سَهَلَ وَوَلَانَ مِنَ الْأَرْضِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : حَادِرَةٌ . (٣) فِي الْأَصْلِ : اللَّأْلَاءُ .

(٤) الصُّورُ : النُّفَيْرُ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ .

(٥) النَّسَبُ : حُدُودُ الْبَيْتِ ، وَهِيَ كُنْيَاةٌ . (٦) فِي الْأَصْلِ كِيَوَانِهَا .

(٧) الْمَسْبُتُ : الَّذِي لَا يَتَحَرَّكُ ، وَالْإِيحَافُ : الْاضْطِرَابُ وَالْحَرَكَةُ ، وَفِي الْمَثَلِ أَوْجَفُ

فَأَعْجَفُ وَفِي الْأَصْلِ : لِإِيحَافِ .

(٨) فِي الْأَصْلِ : فَلَا . (٩) فِي الْأَصْلِ : أَنْدَقَّتْ .

(١٠) مَخَارِقُ : مَفْنٌ مَشْهُورٌ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ .

جيب الإبداع وانحطَّ به ابنُ جامع^(١) عن درجة الإجماع ، فوقع اختياره
بما أده إليه اختباره ، على شجرة أصلها في الماء ، وفرعها في السماء :
يَصِفُ إِلَى مُرْتَقَى مُنْتَقَى وَيُشْتَى^(٢) إِلَى مُجْتَلَى مُجْتَنَى
وتأني على حالتى سَوْمِهَا^(٣) لَذَا بِالْمُنُونِ وَذَا بِالْمُنَى

• وهو — أیده الله — تلك النخلة ذاتُ الظلِّ المديد ، والتمر الجديد ، من
الطلع النضيد ، وأنا ذلك الراعى الذى هَجَرَ مَلَأَهُ وَوَجَدَ كَلَأَهُ . وسائر الكرام
وإن كانوا كَمُنْبَقَةٍ [فى] تلك الحديقة الأنيقة ، فى كل شجر نار ، واستمجد
المرخ والعقار^(٤) .

ومنها : والعصر ، إن فى المصر^(٥) ملكاً استملك رَقَّ المِدْح ، واستهلك
المِحْنَ بالْمَنَح ، نقلَ الدهرَ إلى نقشِ خاتمه ، وجعل موطئَ كَعْبِهِ هِمَّةً « كَعْبِهِ »
وباهى بنهضة من عُمرِهِ نهضاتٍ « عُمرِهِ » ، وكَم نَقَى مِثَارَ عِثْرِهِ^(٦) ، بمن يصول
« كعنتره » ، وكَم استبله فى باسهِ بمن يضحك « بإياسه » . فما زال مرتعُ
آمالى فى ذُرَاهِ خَصْبِيًّا ، وسهم مطالبى فى ثغر النجاح مصيبًا ، وأمانى لا تجدُ
« لابن ليلى » دونه فى بيت « نُصَيْبِ^(٧) » نصيبًا .

وإنما لقيتُ من وعشاء السفر ، ولقاء^(٨) الخطر^(٩) ، وابتغاء الظفر ، قبل

(١) ابن جامع : مثل بخارق ، وكانا يفتيان فى عصر الرشيد .

(٢) فى الأصل هكذا : وسى .

(٣) السوم : فى المبايعه .

(٤) فى الأصل : واستجمد المزج والعقار . والمرخ والعقار : نوعان من الشجر يتخذ الزند

منهما . وهو مثل يضرب فى تفصيل بعض الشىء على بعض .

(٥) فى الأصل : مصر .

(٦) العشير : الفبار .

(٧) يشير إلى مدبح نصيب لابن ليلى وهو عبد العزيز بن مروان ، والى مصر لأخيه

عبد الملك ، وكان ممدحاً للشعراء يؤمونه من الحجاز والعراق ونجد .

(٨) فى الأصل : وإلقاء . (٩) فى الأصل : المخضر

حلولى بهذه الحضرة النضرة حضرة القائد أبى القاسم الأجل الذى إن ألبس قلمه
 للداد ، عَرِي من الفصاحة « قُسُّ إِياد » ، وأَنْطَقَ طِرْسُهُ الرِسَائِلَ ، أَخْرَسَ عَنْ
 الْخَطَابَةَ « سَجْبَانِ وَائِل » . يَلْزِمُ لَدَيْهِ « ابْنُ الْعَمِيدِ » سَمِتَ الْعَمِيدِ ، وَيَغْدُو عَلَيْهِ
 « عَبْدُ الْحَمِيدِ » غَيْرَ حَمِيدٍ ، وَيَقُولُ لَهُ « الصَّاحِبِ » أَنَا عَبْدٌ لِصَاحِبٍ ، وَنَهَايَةُ
 « الصَّابِي » أَنَّهُ بِالْفَاظَةِ صَابِيٌّ ؛ حَتَّى لَوْ انْقَلَبَ الدِّيَوَانُ دِيَوَانَ شَعْرٍ ، وَالْقَرَطِيُّ ^(١)
 أَقْرَاطُ شَدْرٍ ، لَكَانَ هُوَ الْمَقْرَظُ الْمَعْلَى وَالْمَقْرَظُ الْحَلَّى — مَا أَوْجَبَ ذَلِكَ الشُّكْرَ
 الَّذِي دَخَلَ بِهِذَا الشُّكَّ ، وَجَاءَ بِهِذَا الشُّكْرَ . قَالَهُمُ اللَّهُ حَمْدًا تَقْصُرُ الْأَلْفَاظُ عَنْ
 حَصْرِ مَعَانِيهِ ، وَيُعْمَى النِّيَّةَ مَنْتَهَاهُ عَنْ قَدْرِ وَسَعْمَا فَتَعَانِيهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ مَا خَفِيَ آلٌ ، وَحَقَّقَ الْأَمَالَ فِي هَذَا الْحِسَابِ مَالٌ وَمَالَ .

١٠ ومنها فى وصف البحر .

إِنِّي لَمَّا تَسَمَّيْتُ ^(٢) الْأُمُوجَ فِي ذَاتِ الْأَلْوَابِ ، وَتَنَسَّمْتُ الْإِزْعَاجَ مِنْ ذَاتِ
 الْأُرُوحِ ^(٣) ، قَلْتُ السَّلَامَةَ إِيمَا مِيلَادٍ ^(٤) / وَمَعَادٍ ، أَوْ يَوْمَ مَعَادٍ ، وَعَجِبْتُ مِنْ حَالِي ،
 فِي حَلِي وَتَرْحَالِي ، فَتَشْوَقْتُ الْوَطْنَ وَالْوَطَرَ ، وَكَلَّفْتُ الْخَطَايِرَ وَصَفَ ذَلِكَ
 الْخَطَرَ ، فَقَالَ :

١٥ لو لم يجرّم على الأيام إنجادى ما واصلت بين إتهامى وإنجادى ^(٥)
 طوراً أسير ^(٦) مع الحيتان فى لجج وتارة فى الفيافى بين آساد
 إما بطائرة فى ذا ورازمة ^(٧) أو فى قتادٍ على هذا وأقتاد ^(٨)

(١) كذا فى الأصل ولعلها والقريض .

(٢) فى الأصل : انتسمت . (٣) ذات الأرواح : الرياح .

(٤) فى الأصل : ميلا ، ومعاد : رجوع ، ويوم المعاد : يوم القيامة يكنى به عن الموت .

(٥) لإنجاد الأولى : من النجدة ، والثانية : من نجد وكذلك إتهامى : من تهامة .

(٦) فى الديوان : أطير .

(٧) الرازمة : الناقة المهزلة من كثرة السير ، وفى الأصل : وطارمة .

(٨) القتاد : شجر له شوك كالإبر ، والأقتاد : جمع قتد ، وهو خشب الرجل .

والناس كثرٌ ولكن لا يقدرُ لي
 هذا وليتَ طريقَ مارُميت^(١) به
 وما أسيرُ إلى رومٍ ولا عربٍ
 أقلتُ والبحرُ قد لانت شكائمه
 فعادَ لا عادَ ذا ريجٍ مُدَمَّرَةٍ
 ولا أقولُ أبي لي أن أفارقكم
 وقد رأيتُ به الأشراطَ^(٢) قائمةً
 تعلقو فلولا كتابُ الله صحَّ لنا
 ونحن في منزلٍ يسرى بساكنه

١٠ ومنها:

لا يستقرُّ لنا جنبٌ بمضجعه
 فكم يُعَفَّرُ^(٥) خَدُّ غيرِ مُنْعَفِرٍ
 حتى كأننا وكف النوءُ تُقلقنا
 وإنما نحنُ في أحشاءٍ جاريةٍ
 كأن حالاتنا حالاتُ عبياد^(٤)
 وكم يخزُّ جبين غيرِ سَجَّادٍ
 دراهمٌ قلبتها كفتُ نقادٍ
 كأنما حَمَلتُ منَّا بأولادٍ

١٥ ومنها:

يا إخوتي ولنا من ودنا نَسَبٌ
 نقرا حروفَ التهجي عن أواخرها
 ولا تلاوةٍ إلا ما نكهره
 على تباينِ آباءٍ وأجدادٍ
 ونحنُ نخبطُ منها في أبي جادٍ
 من مبتدا النحلِ أو من منتهى صادٍ

(١) في الديوان: مررت .

(٢) يشير إلى ما جاء في القرآن الكريم من وصف ريج عاد وأنها كانت صرصرأ غانية

(٣) يريد أشرط الساعة .

(٤) هكذا في الديوان ، وفي الأصل أعياد .

(٥) هكذا في الديوان ، وفي الأصل : فلم يصعر .

- متى تَنورُ آفاقُ المنارةِ لى بكوكبٍ فى ظلامِ الليلِ وقاد
 وألحظُ المُشرقاتِ البيضَ مشرقةً كالبيضِ مشرقةً فى هامِ أنجاد
 وأستجدُّ من البابِ القديمِ هوىً عن السكينةِ فيه جلُّ إسنادى
 بحيث أنشدُ آثاراً وأنشدها فَيبلغُ العذْرُ نشدانى وإنشادى
 القصرُ فالنخلُ فالجماءُ بينهما^(١) فالأثلُ فالقصبُ الغضْرُ فى الوادى
 متى^(٢) أروحُ وأغدو فى معاهدها كما عهدتُ سماها الرأىخُ الغادى
 متى تقرأ^(٣) ديارُ الظاعنينَ بهمُ والبيئُ يطابهمُ بللاءُ والزاد
 ومن الثرى فى وصفِ المركبِ وأهله :

- ثم إن البحرَ تخبَّطه شيطانُ الموجِ من مسِّ الریحِ ، فلورأيته وقد شابَ فى
 ١٠ عنفوانِ شبابه ، وشابَهَ فروعَ الأطوادِ بأصولِ هضابه ، والحنيئة^(٤) تدوى بأهلها ،
 كالخليةِ بنحلها ، ونحن نصلى لمونس يونس وعلى لوح نوح ، لاسترشدت رأى من
 آثرَ الجبلِ فى العصمة وما لحقت^(٥) بأبيه — لولا وحى الله عز وجل — ولقلت
 الصخر ، بقى أئى حضر . هل غنى لجنوبته^(٦) عليه إلا المنية ؟ ولم يزل يدنو كالجنون ،
 ونداريه من الجنون ، حتى كسته الرخاءُ ثوبَ وقارها ، وأمسكت الزعزعُ عنه كاسَ
 ١٥ عُقارها ، فصحَّ وصحا بعد جنونه وسكره ، ونطق منا بلسانِ الجوازِ بالحقيقة بعد

(١) شطر من بيت لأبى قطيفة الذى نفاه ابن الزبير عن المدينة إلى دمشق ، فكث يكتب فيها متشوقاً ومن شعره :

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جبرون
 والقصر قصر سعيد بن العاص فى المدينة ، والجماء : مرتفع صخرى تسيل منه المياه ، ويشتهر العقيق بمجاوات ثلاث . وجبرون : دمشق .

(٢) فى الأصل : عنى . (٣) فى الديوان : تعود .

(٤) الحنية : المركب لانحناء شكلها وتوسها وفى الأصل : الحلية .

(٥) فى الأصل : وألحقت . (٦) المجنوبة : يريد بها السفينة .

الجزاز^(١)، فوصلنا طرف الجزيرة بمسّين^(٢) غرّة شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمائة.
 بلدٌ أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووسُ
 فكأنما الأنهارُ منه سلافةٌ وكان ساحاتِ الديارِ كئوسُ
 ومن شعره في الزهر الباسم قصيدة^(٣) مطلعها:

راقبها مطربُ الأغاريدِ فاستترقت هزة الأماليدِ^(٤)
 ودبَّ خمرُ الشرى بأذرعها ففى على اليدِ في عراييدِ
 وغادرتها الصبا بمهلكة^(٥) تفجرُ الماءَ في الجلاميدِ
 تحملُ عن روضِ عالج^(٦) خبراً تسنده عن ظبائه الغيدِ
 أجرى عليه السحابُ دمع شجٍ ومزقَ البرقُ جيبَ مَعمودِ
 فأغرقَ الريحَ بين أربعا موجُ وجيفٍ ببحر توحيدِ
 ومنها:

في ذمة الشوق مهجة ركضتُ تتبعُ زوراً من المواعيدِ
 أهدوا إليها الخيالَ إذ كحلوا جفونَ أحداقِها بتسبيدِ
 وانعطفوا للأراكِ وهى على عهدٍ من البانِ غيرِ معهودِ
 عذرتُ يهزُّ الجفاه دوحته تحت صدوح الللالِ غرّيدِ
 / وناصحٍ يمحض المودة لى وليس فى نصحه بمودودِ [٥٤ظ]
 ظنَّ فؤادى معى فأنبّههُ وهو من الوجدِ غيرُ موجودِ
 سار وحشُ الغرامِ يتبعه تحت لواءِ عليه معقودِ

(١) الجزاز: يعنى به المضيق الواقع بين صقلية والبر الإيطالى .

(٢) مسينى : بلد بجزيرة صقلية فى ركنها الشرقى ولها مرسى كبير تجتمع إليه السفن الكبار والمسافرون والتجار .

(٣) هذه القصيدة ليست فى الديوان ، والديوان فى حقيقته مختارات .

(٤) الأماليد : الأغصان الناعمة . (٥) المهلكة : المفازة .

(٦) عالج : موضع به رمل .

ومنها :

- عَرَّجَ عَنْهَا الصَّبَاحُ مَنْطَلِقًا
لا يعرف الثعلبُ المقيمُ بها
وَعَمَّةُ الشَّيْبِ لَا خُدِعَتْ بِهَا
من عَلَّقَ البَيْضَ صَارَمَتْ يَدَهُ
واللهوُ خَدْنُ الصَّبَا فَمَذُّ^(١) قُدِدَتْ
أَخْلَقُ شَيْءٌ أَوْانَ تَجْدِيدِ
وَأَغْبَنُ النَّاسِ مِنْ أَلَمِّ بِهِ
أَيَّامُهُ لَمْ يَكُنْ بِمَحْمُودِ
وفي بَنِي الدَّهْرِ كُلِّ مُعْضَلَةٍ
فَقَدُّ سَوَادٍ وَفَوْتُ تَسْوِيدِ^(٢)
فَقَدِ رَمَوْا عِرْضَهُمْ لِعَرْبِيْدِ
إِنْ أَسْكُرُونِي بِخَمْرِ لَوْمِهِمْ
رَبِّ وَعَيْدٍ يَطِيحُ فِي الْبَيْدِ
وَمُوْعِدٍ صَاحِبِ فَقَلْتُ لَهُ
قَدِ أَقْسَمَ الْحَمْدُ لَا يَسِيرُ إِلَى
أَرَى بِهَا الْبَخْلَ صَارِمَ الْجَيْدِ
في يَدِهِ لِلنَّوَالِ مَعْرَكَةٌ
وعنده للضبيوفِ نارُ قِرَى
تعرُفها الْبُزْلُ^(٣) كَلِمًا يُودَى^(٤)

ومنها :

- ١٥ وتلتقى كُتْبُهُ الْكُتَائِبَ فِي
بِكَلِّ لَفْظٍ كَأَنَّهُ نَفْسٌ
جَيْشٍ مِنَ الْخَطِّ صَائِدِ الصَّيْدِ
صَحَّتْ مَعَانِيهِ فَاقْتَسَمْنَ إِلَى
غَيْرِ مُمَلِّ بِطُولِ تَرْيْدِ
وَرَبَّمَا اسْتَضْحَكَ الْخَمِيسُ بِهِ
عَنْ أَهْرَتِ^(٥) الْمَاضِعِينَ صَنْدِيدِ

(١) في الأصل : فقد .

(٢) السواد : سواد الشعر كناية عن الشباب والتسويد : الخضب .

(٣) البزل : الإبل .

(٤) يريد كلما ذبح البزل للضيغان .

(٥) أهرت : من الهرت وهو التزويق .

يهوى قَوَامَ القَنَاةِ ذَا هَيْفٍ ووجنة العَضْبِ ذاتِ توريد
ومنها :

دوحةٌ مجدٍ تميدُ ناضرةً لمحسناتٍ بحسنِ تجديد
عرضتُ منها لنارِ تجربتي عودًا ففاحت روائحُ العود
ومن قصيدته الموردة الثانية كلمة مطلقها :

نَعَمْ هُوَ البرقُ على الأَنعَمِ^(١) فاشقَ به إن شئتُ أو فأَنعِم
لاح بأعلى هضبة خافقًا خَفَقَ لواءَ البطلِ المُعَلِّمِ
وزلَّ عن صَهْوَةِ طِرْفِ الدجى سقطتْ جُلَّ الفرسِ الأذهمِ
حتى إذا قابلَ وادى الغضا أغضى على مدمعه المثجم^(٢)
واستقبلَ السفحَ وكم فوقه من مقلية سالحية بالدم
فحينما شقَّ كنفوز الربى عن ذلك الدينار والدرهم
قام نساء^(٣) الحى يَجِينُهُ بين فرادى منه أو توأمِ
فأشكل الثوران من مَبْسِمِ^(٤) تَغَبَّقَ رِيَاهُ ومن مَنَسِمِ^(٤)
واشبهه الروضان في نضرة إلى حياءٍ وحيًا ينتمى
ما بين جناتٍ إلى أعينِ وبين خَيْرِي^(٥) إلى حَيْرِمِ^(٦)
ومعركٍ بينهما لم يزلُ يفتكُ فيه الظبيُّ بالضميغم

(١) الأنعم : موضع في عالية نجد .

(٢) المثجم : من أجمت السماء : سال مطارها ودام .

(٣) في الديوان : فرادى .

(٤) منسم : من نسَم السكان : عقب بالأربع .

(٥) الحيرى : نوع من الزهر .

(٦) الحيرم : البقر الوحشى ، وفي الأصل : حرم .

- بين حَيِّ بات كليب^(١) به مجردًا من شملة المحتسب
يمنعُ ضيفَ العين منه القرى وهو مباحٌ لسيده أو فم
يا عاقري النيب^(٢) لضيفانهم غلظتم في كبدِ المغموم
أتلقتُم قلبي فماذا الذي خففَ عنكم ثِقَلَ المغموم
كم من دمٍ باتَ به^(٣) حثيكم كأنه ملتقط العنـدم
وكم عيونٍ أصبحت عندكم معدودةً من جملة الأسم
لا طرقتُ ربكمُ غارةً يسألُ فيها معشرى عن دمي
ولا سرتُ نحوكمُ أسرةً تأسِرُ بالداهية الصيلم^(٤)
من كل من تصدرُ أسيافهُ بضربةٍ مثل دم الأهم^(٥)
يقول إن جرَّ كعوبِ القنا تأبَّط الضيغمُ بالأرقم
لو لم تكن من فتكاتِ الهوى شقتُ على الحافرِ والمنسم
ما هذه أولَ ماردتي عنه بلا أجرٍ ولا منغم
فخلَّ عن عتبك لي إنيها شنشنةٌ تُعرفُ من أخزم^(٦)
أقسمتُ بالله ولولا عُلا مجدي أبي القاسم لم أقسم
إن ابنَ حمودٍ له راحةٌ تستجلب الحمدَ من المرزم^(٧)
المجمل^(٨) المنعمُ إن حُبَّرت مدائحُ في الجمـل المنعم

(١) يشير هنا إلى كليب وما كان عليه من زهو شديد فكان يحمى مواقع السحاب ، فلا يرعى سماه ، ولذلك يقال في المثل (أعز من كليب) .
(٢) في الديوان : البيت وهو تحريف .
(٣) هكذا في الديوان وفي الأصل : بكم .
(٤) الصيلم : السيف .
(٥) الأهم : لقب سنان بن خالد لأن ثديته هتمت يوم الكلاب .
(٦) مثل يضرب في قرب الشبه .
(٧) المرزم : نوء ونجم من الشعريين وهما من نجوم المطر .
(٨) المجمل : الذي يصنع الجميل .

والكعبة الفراء لكنها^(١) / في كل يومٍ لوفود الندى
 تُجَلُّ ما يَحْرُمُ للمحرّم / أضعافُ ما للهـاء من زمزم
 بيابه^(٢) مُجْتَمَعُ الموسم / فَيَزْدَرِي بالزاحر الخُضْرِم
 هُدَى جهولٍ وغَى مُقْدِم / سائلُهُ أوَسَلُهُ تجد عنده

ومنها :

ولو أعارَ الليلَ آراءه / ما احتاجَ ساريه إلى الأنجم
 فضائلُ كادتُ لإفراطها / تُنطِقُ بالشكرِ فَمِ الأبكم
 ما بدأ الإحسانَ فاحتاجَ أن / يقولَ راجيه له تَمَّ
 يا من يجاريه إلى غاية / سالمُهُ وأرْجَعُ دونه تَسَلَّمَ
 لا يرتقى للنجمِ ذو سُلمٍ / فكيف من كانَ بلا سلم
 يا سيِّدًا أفعاله غُرَّة / فوق جبينِ الزمنِ الأدم
 صُمِّ وافرَ الأجرِ وصِمِّ^(٣) حاسدًا / يشجوه قولى لك صُمِّ أو صِم
 وابقَ وزدْ واعلُ وسُدْ وأصطنع / وأردف^(٤) وجدَّ وأبدأ^(٥) وعدَّ واستلم

وله من قصيدة :

زَهْرَن^(٦) فاعجب لروضِ ماله زَهْرُ / إلا اللباسُ والألحاظُ والطررُ
 ولا تقلْ هُبُ الوجناتِ يَحْرِقُهَا / فلأمدار^(٧) على أرجائها هَرُّ

(١) في الديوان : لكنه .

(٢) في الديوان : بناه .

(٣) صم : من الوصمة وهي اليب والعار .

(٤) في الديوان : وارق .

(٥) في الديوان : وأبد .

(٦) في الديوان : سفرن ، وسفر وزهر : أضاء .

(٧) في الديوان : ذللعود .

أَحْسِنُ بِهَا غُرًّا قَالَتْ مُحَاسِنُهَا
سَفَرْنَ^(٢) وَاللَّيْلُ طِرْفٌ أَدْمُ فَجَرَتْ
وَقُمْنَ^(٣) يَحْمِلْنَ فِي الْأَجْمَانِ سَرْهَفَةً
وَكَانَ مِنْ فَعْلَمَهَا بِالسَّحْرِ أَنْ فَعَلَتْ^(٤)
فَمَا ارْتَقَبْتُ الدَّرَارِي إِذْ سَهَرْتُ لَهَا
وَلَا اجْتَلَيْتُ بِدَوْرِ الْأَفْقِ عَنْ كَلْفٍ
وَفِي الْحَشَا وَالْحَشَايَا صَبُوءٌ كَثُرَتْ
تَوْرِي زِنَادَ اشْتِيَاقٍ مَا اسْتَطَارَ بِهِ
وَفِي فَوَادِي لَا فَوَادِي قَتِيرٌ^(٦) هَوَى

ومنها :

أَنَا الْحَبِيبُ وَمَا بِي مِنْ يَقَالُ لَهُ
إِنْ قَلْتُ مَاسَ فَمَا قَصْدِي بِهِ غُصْنٌ
الْمَالُ عِنْدَ ذَوِي الْإِقْتَارِ^(٧) مُحْتَقَبٌ
فَإِنْ عَدِمْتُ الَّذِي صَارُوا بِهِ عُدْمًا
وَلَمْ أَقْلِقِلْ رِكَابِي أَنْ نَأَى^(٨) وَطَنٌ
لَكِنْ بَنُوا الْحَجَرَ اسْتَدْعَتْ مَكَارِمُهُمْ
نَادَى لِسَانُ النَّسْدِيِّ مِنْهُمْ فَأَسْمَعُنِي

(٢) في الديوان : ولحن .

(١) الفرر : الخطر

(٤) في الديوان : هجمت .

(٣) في الديوان : وقلن .

(٦) القتير : الشيب .

(٥) في الأصل : صم .

(٧) في الأصل : الأقدار ، وفي الديوان : الأوزار .

(٨) في الأصل : نيا .

(٩) في الديوان : سحر .

ومنها :

ترى المواخرَ تجرى في زواجرِهِ
من كل سوداءٍ مثل الخلالِ يحملها
لذلك جادوا نَدَى فيه أَجَدَتَ بنا
فترقى في أعالِيهِ وتَنَحَدِرُ
بوجنةٍ منه فيها للضحى خَفَرُ
فليس يُعَرَفُ لا حَصْرُ ولا حَصْرُ

ومنها :

والشعرُ منه قصيرٌ عمره زَهْرٌ
وكلما وعظِ سهلٌ صَوَّغُهَا زُبْرٌ
أو كالعيونِ فهذى حَظُّهَا حَوَلٌ
يَذوى ومنه طويلٌ عمره زُهْرٌ^(١)
وكل الحديدِ تَقْيِيلٌ وزنه زُبْرٌ^(٢)
يُغَضُّ منها وهذى حَظُّهَا حَوْرٌ

ومنها :

لله درُّ حَيَاءٍ^(٣) حزنه وَحِيَاءٍ^(٤)
وفي يمينك يجرى كيف تأمره
كأنك العَضْبُ منه الأَثْرُ والأَثْرُ
ما يحسد الذكْرَ عنه الصارمُ الذَّكْرُ

ومنها :

أنالني في اغترابي كلَّ مُعْرَبَةٍ
وشد أزرى فما أحقُّ بنايِبَةٍ
من بعد ما قرَعَتني كلُّ قارعةٍ
وبت أضرب بالأشعارِ طائفةً
إذا نَحَّتْ القوافي من مقاطعها
فما النفيرُ بمعدومٍ ولا النَّفَرُ
تقولُ أبياتها هيهات لا وَزَرُ
أيامها الحمرُ^(٥) من أعيانها الحُمْرُ
لو أنهم ضُربوا بالسيفِ ماشعروا
قالوا تكلف لنا أن يفهمَ البَقْرُ

(١) زهر : نجوم كناية عن الخلود .

(٢) الزبر الأول : الكتب ، والثانية : قطع الحديد .

(٣) في الديوان : حياً قد حزنه .

(٤) الحيا : العطاء .

(٥) الأيام الحمر : الشديدة أو المجذبة .

وقال من قصيدة يصف فيها البحر وركوبه وقصده أيام وفوده :

سَقَرْتُ عَنْكَ أَوْجُهُ الْأَسْفَارِ وَجَرْتُ بِلَمْنِي إِلَيْكَ الْجَوَارِي
 فرمنا لك الكواكب يا بد رَ الدياحي على الهلال الساري
 وركبنا على عذاب بحار أنزلتنا على عذاب بحار
 واعتساف الأخطار^(١) يجمُل^(٢) ما كا ن طريقاً إلى ذوى الأخطار
 ما امتطينا أخت السحاب إلا لتوافي بنا أخت^(٣) الأمطار
 كل نونٍ من المراكب فيها أَلْفَاتٌ مصفوفة للصواري^(٤)
 تقسيمُ الماء والهواء لساق^(٥) وجناحٍ من عائمٍ طيار
 وهى ضدّانٍ من جوائح ليلٍ قد أُقيمتُ ومن جناحى نهار^(٦)
 / صُورَتِ كَالْقَبُولِ لَوْلَا قَلْوَعٌ أبرزتها في صورة الأطيّار
 عَوَّضَتْنَا الْأَوْطَانَ عِنْدَكَ وَالْأَوْ طَارَ بَعْدَ الْأَوْطَانِ وَالْأَوْطَارِ
 فَاسْتَحَقَّتْ بَأَن تَمُوَّضَ عودا بعد عودٍ وعنبراً من نار

[٥٥ ظ]

ومنها :

وأيا يدك إنهنّ ثمارٌ حمّلتها معاطفُ الأحرار
 ومسايعك إنهنّ نجومٌ مشرقاتٌ على سماء الفخار
 أنت في الفضل في بنى الحجر السا دةٍ مثلُ الياقوتِ في الأحجار

(١) في الأصل : يحمل . (٢) ما : هنا ظرفيه زمانية .

(٣) في الأصل : أخو .

(٤) رواية الديوان : ألف مستقيمة للصوار . والصواري : جمع صارية وهي العمدة التي

يشد إليها الشراع أو القلغ .

(٥) في الديوان : بساق .

(٦) يشير إلى ظاهر السفينة ، وما كانوا يضعون عليها من قار ، وإلى قلاعها

وشراعها .

ومنها في القلم :

ويميناك طَيْرٌ يُنِي^(١) وَسَعْدِي أَصْفَرُ الظَّهْرُ أَسْوَدُ المنقار
 قَلْبِي دَبَّرَ الأَقَالِمِ فَالْكَةِ بُ به من كتاب المقدار^(٢)
 ياطرأز الديوان والملك أصبح ت طراز الديوان في الأشعار
 وبنوك الذين مهما دجا الخط بُ أرونا مطالع الأقرار
 فأبو بكر الذي أحرز الجهد بسعي الرّواح والإبتكار
 وتلاه فيما تلاه أخوه عمره عاش أطول الأعمار
 ولعثمان حظ عثمان إلا في الذي دار من حديث الدار^(٣)

ومنها :

وإذا شئت فالجيرة بحر لى فيه بنات نعش سمارى^(٤)
 وبكفى من النجوم كثير هو ما قد وهبت من دينار

ومن نثره فيه :

ولما أذن لشوال في أن تُشال^(٥) الكؤوس، ويوضع^(٦) في طاعة الحجر بالرموس،
 خلعنا عن سوائف الخلاعة عذار^(٧) العدل، وركبنا خيل الفتك والمجون على أرض
 الجدال، وقلبنا بطن الغنة ظهر المجن، وبرزنا نبعج^(٨) تحت عجاج النذر^(٩)
 وداج^(١٠) الدن.

(١) هكذا في الديوان وفي الأصل : سعد . (٢) في الديوان : الأقدار .
 (٣) يشير إلى قصة محاصرة الثوار لدار عثمان ثالث الخفاء الراشدين ، وهي محاصرة
 أهبته بقتله . (٤) سمارى : جمع سمير وخفف للشعر . (٥) تشال : تحمل .
 (٦) يوضع : من أوضع البعير في السير ، وأوضع : أوسع .
 (٧) في الأصل : عذر . (٨) نبعج : نشق بالسكين .
 (٩) في الأصل : البدور ، والنذور : جمع نذر ، وهو الوعد ، وهو أيضاً العقل
 في الثأر . (١٠) الوداج : عرق في العنق .

وله في وصف بركة:

بركةٌ بوركتُ فنحنُ لديها نَسْتَفِيدُ الْغِيَارَ^(١) في ضحاحِ
 قطرتُ من قرارها بعيونٍ غادرتُنَا بأسرعِ الإلتِمَاحِ
 تسرقُ اللحظةَ اختلاساً وتمضى نظرةَ الصبِّ خافَ إنكارَ لاحِ
 • قد صَفَّتْ واعتلى الحَبَابُ عليها فَهِيَ سِيَانٌ مَعَ كُؤُوسِ الرَّاحِ
 أيُّ درعٍ مصونةِ النَّسجِ تَمْتَدُّ السَّوَاقِي فِيهَا^(٢) بمثل الصَّفَاحِ

ومنها:

ومغْنٍ تَنَاولَتْ يَدُهُ العَو دَ فَعَادَتْ^(٣) بنا إلى^(٤) الأفراحِ
 جَسَّ أوتارَهُ فأصلحَ مَنَّا صالحاً صارَ في يَدِ الإِصْلَاحِ
 ١٠ بين رِيحٍ مِنَ المِزَامِيرِ أُسْرَى بين أجسامنا من الأرواحِ
 وصِبَاحٍ قد عَقَدُوا طُرُزَ اللَّيْلِ جِمالاً على الوجوهِ الصَّبَاحِ
 يبعثُ الرِوضُ منهمُ حركاتٍ مَرَقَتْ بعضها طوالَ الرِماحِ
 هكذا هكذا وإلا فلا لا طُرُقُ الجِدِّ غيرُ طُرُقِ المِزَاحِ

وله في وصف مغن:

١٥ لا أَشْرَبُ الرِّيحَ إِلَّا ما بين شادٍ وشادنٍ^(٥)
 وإن فَنَيْتُ فَعَدَى إلى مَعَادٍ مَعَادِنِ
 قَمِّ يا نَدِيمِي فَأَنْصِتْ واللَّيْلُ دَاجٍ لِداجِنِ^(٦)

(١) الغيار: جمع غمر، وهو الماء الكثير. (٢) في الأصل: عليها.

(٣) في الأصل: لنا.

(٤) في الأصل: على.

(٥) الشادن: الغزال إذا طلع قرناه.

(٦) داجن: مغن.

غَنَى وَنَاحَ فَنَزَّءَ تُ ثُوبَ خَاشٍ مُحَاشِنٌ^(١)
 طَاوَعُ عَلَى الْقَصْفِ وَالْعَزْ فِي كُلِّ حَاسٍ مُحَاسِنٌ^(٢)
 وَنَهَضَ بِطَيْشِكَ عَنْ سَمِّ تِ ذِي وَقَارٍ وَقَارِنٌ
 هَاتِ الْكَيْتِ^(٣) وَأَهْلًا مِنْهَا بَصَافٍ وَصَافِنٌ
 أَثُورٌ مِنْ ذِي وَمِنْ ذَا بِكُلِّ غَابٍ بَغَابِنٌ^(٤)
 وَإِنْ رَمَتْنِي اللَّيَالِي يَوْمًا بَدَاهُ أَدَاهِنٌ

وله في ذم زامر :

تَعَبْتَ وَمَا أُتَيْتَ لَنَا بِشَيْءٍ فَكَيْفَ تَكُونُ سَاعَةً تَسْتَرِيحُ
 فَلَا تُكْتَبُ عَلَيْنَا فِي مُحَالٍ بِزِمْرِكَ ، صَحَّ أَنْ الزَّمْرَ رِيحُ

١٠ وله :

يَنَافِرُ إِيقَاعُهُ صَوْتَهُ فَهَذَا يَزِيدُ وَذَا يَنْقُصُ
 وَيَتَّبِعُهُ زَامِرٌ مِثْلَهُ تَتَّبِعُ^(٥) لَهُ نَفْسٌ أَوْقَصُ^(٦)
 فَإِنْ قَامَ مَا بَيْنَنَا رَاقِصًا فَكُلٌّ إِلَى يَتْبَعِهِ يَرْقِصُ^(٧)

وله في مغن :

تَنَنَّى فَلَامِيْسٌ^(٨) الْغُصُونِ وَلِيْنَهَا وَرَجَعَ أَصْوَاتًا فَلَا تَذُكِرُ الْوُرْقَا
 وَأَعْجَبُ [إِذْ تَحْتُ^(٩)] بِنَاهُ طَارَةٌ

(١) في أعيان المصر : حاش محاسن . (٢) في أعيان المصر : وحاسن .
 (٣) الكيت : الحمر والفرس . وجاء في آخر البيت بصفتي « صاف و صافن » مناسبين
 لهذين المعنيين على التتابع .

(٤) في أعيان المصر : في كل غاب وغابن . (٥) في الأصل : تلبيح .

(٦) أوقص : قصير . (٧) يرقص : يسرع .

(٨) هكذا في الديوان ، وفي الأصل : تنني فلا تنس ، وهو تحريف .

(٩) زيادة من الديوان ، سقطت من الأصل ، واحتت : حرك ، والطاره : الدف .

وله القصيدة السياراة التي مطلعها :

أَلْحَقْ بِنَفْسِجِ جُجْرِي وَرَدَّتِي شَفَقِي^(١) كافورة الصبح فتت مسكة العسق
 قد عطل الحسن^(٢) من أسمار^(٣) أنجمه فاعقد بخمرك فينا حلية الأفق
 قم هات جامك شمساً عند مصطبح وخل كاسك نجماً عند معتبق
 واقسم لكل زمان ما يليق به فإن للزند حلياً ليس للعنق
 هب النسيم وهب الريم فأشتركا في نكهة من نسيم الروضة العبق
 وأسترقصتني كاسترقاص^(٤) حاملها فخررة الورق في مخضرة الورق
 وبت^(٥) بالكأس أغنى الناس كلهم / فالخمر من عسجد والماء من ورق
 [٥٦ و] كم وردت وجنات الصرف في قدح [فتحت بالمزج ما تلوه من حدق]^(٦)
 يسعى بها رشاً عيناه^(٧) مذ رمقت لم يُبق في ولا فيها سوى الرمق
 حبابها وأحاديثي ومبسمه ثلاثة كلها من لؤلؤ نسق
 حتى إذا أخذت مني^(٨) بسورتها ما يأخذ النوم من أجفان ذي أرق
 ركبت فيه بحاراً من عجائبها أني سلمت ولم أشعر^(٩) - من الغرق
 ولم أزل في ارتشافي منه ريق فم [أطفأت في برده مشبوبة الجرق]^(١٠)

- (١) الشطر في الديوان هكذا : ألحق بنفج جري وردتي شفق ، وهو تحريف .
- (٢) في الديوان وأعيان العصر ٢/٢٣٣ : الأفق .
- (٣) أعيان العصر : أسماط .
- (٤) هكذا في الديوان وأعيان العصر وفي الأصل : واستقرضتني كاستقراض .
- (٥) في الديوان : نصرت .
- (٦) بيان في الأصل ، والتتمة من أعيان العصر ، والبيت غير موجود في الديوان .
- (٧) في الديوان : لأن عينه رمقت .
- (٨) في أعيان العصر : منا .
- (٩) في أعيان العصر : وما أدري .
- (١٠) في الأصل بيان ، والتتمة من أعيان العصر ، والبيت غير موجود في الديوان .

ياسا كن القلب عما قد رميت به من ساكنى الجزع^(١) مع ما فيه من قلق
 [لا تعجبن لكل الجسم كيف مضى وإنما أعجب لبعض الجسم كيف بقى]^(٢)
 لم أسترق بمنامى وصل طيفهم فما له صار مقطوعاً على السرق
 من شعر أبى محمد بن سنان الخفاجى^(٣) حيث يقول :

إذا سكنتم قلبي دائم القلق وإن رقدتم فطرفي دائم الأرق
 سرقتُ بالنوم وصلاً من خيالكُم فصار نومي مقطوعاً على السرق
 ومن قصيدة ابن قلاّس^(٤) :

في الهند ما قيل أسيف الحديد ولو لا هند ما قيل أسيف من الحدق
 وبت بالجزع في آثارهم جزعاً إن جرد البرق إيماضاً على البرق^(٥)
 في نارٍ وجدى معنى من تلهبه وفي فؤادى ما فيه من الولق^(٦)
 وله من قصيدة في مدح وزير^(٨) صاحب صقلية :

جرت خيلُ النسيم على الغدير ورُدَّت تحت قسطلة^(٩) العبير
 وعبَّ الصبحُ في كأس الثريا وكان براحة القمر المنير
 وقام على جبين الشمس يهفو كما يهفو اللواء على أمير
 ودارَ به^(١٠) على يده فكانت كطوق الجمام في كف المدير

(١) الجزع : منعطف الوادى وقرية عن يمين الطائف .

(٢) الزيادة من أعيان العصر .

(٣) من أدباء القرن الخامس للهجرة ، وهو من نلامنة أبى العلاء ، ومن أشهر مؤلفاته سر الفصاحة . توفى سنة ٤٦٦ هـ .

(٤) فى الأصل : وله من ، وكلمة له زائدة .

(٥) أعيان العصر : قد . (٦) البرق : جمع برقة وهى الروابى .

(٧) الولق : الطعن .

(٨) سماه جردنا فيما يلى وربما كان فى كلمة وزير شىء من التجوز .

(٩) فى الديوان : قسطال ، وكلاهما الغبار . (١٠) فى الديوان : بها .

وَجَّتْ فِي زجاجِ الْماءِ لوناً هـ (١) انزعته من حَلَبِ العَصيرِ
 فقمنا نستقيم (٢) إلى قلوبِ
 تَناجَتْ تحتِ أَسْتارِ الصُّدورِ
 ونملاً بِالرُضى حُبُّ السُّرورِ
 إلى أنْ غادَرْتنا الكَأْسُ صرعى
 نفرُّ من الكَبيرِ إلى الصَّغيرِ

ومنها :

وجردنا (٣) المدائحِ فاستقرتْ
 فنظَّمنا المفاخرَ كاللآلى
 وقنا في سماءِ العِزِّ نرعى
 وحليتنا المعاليَ كالنحوِرِ
 وأعجبُ ما جرى أنَّا أمنا
 جبينِ الشمسِ في اليومِ (٥) المطيرِ
 وأرسلنا من الأنداحِ ريحاً (٦)
 ونحنُ بجانبِ الليثِ الهُصورِ
 وقلدناه دُرّاً جاء منه
 نهرٌ بها المعاطفَ من ثبيرِ (٧)
 كذلكِ الدُّرُّ جاء من البحورِ

ومنها :

لهيبُ صواعقِ العَزماتِ منه
 يكادُ يذيبُ أفئدةَ الصُّخورِ
 وماءُ مكارمِ الأخلاقِ منه
 يكادُ يردُّ صاعدةَ الزفيرِ
 وأغراسُ الأمانى في يديه
 تهزُّ معاطفَ الدَّوْحِ النضيرِ

(١) في الديوان : قد . (٢) في الديوان : نستيم ، ولعلها محرفة عن نستيم .

(٣) في الديوان : وجودنا .

(٤) Giordano ، وليس فيما بين أيدينا من مصادر ما يدل على أن رجلاً بهذا الاسم كان وزيراً للملك غيلالم الثاني ، ولكنه اسم شائع في صقلية في العصر النورمانى . وفي الديوان : يزجرد .

(٥) في الديوان : الغيث .

(٦) في الديوان : وأرسلنا من الأشعار نشرأ .

(٧) ثبير : جبل بظاهر مكة .

١١ - الشيخ أبراهيم

علي بن أبي الفتح بن خلف الأموي

لا شك أنه من ساكني صقلية فإن ابن قلاص أورد في الزهر الباسم ،
وقال : هو حدقة العلم الناظرة ، وحديقة الأدب الناضرة . وإنما ذكرته أنا في أهل
مصر حيث اقتضاه هذا الموضوع للمكاتبات التي جرت بينه وبين ابن قلاص .
قال : كتب لي أبو الحسن علي بن خلف الأموي رقعة أنفذهما لما أردت
الرحيل عن صقلية :

يا ماجداً طَبَعَهُ أَحلى مِنَ المَاضِي (١) وَمَن يَفوقُ ذِكا أهلَ بَعداذِ
وَهَمَّتْ في رُقعةٍ سَيَّرَها عَجِلاً إِلَيكَ ما بَينَ تَلميذٍ وَأُستاذِ
فَأَبسُطَ لِي العُذْرَ وَأَعلمَ أَني قَلِقٌ ذُو خَاطِرٍ لِنواكِمِ آلِمْ هَاضِي
قال : فأجبت ، ولو أطعت الخجل لاحتجبت :

هَاضِي المَحاسِنُ قَدِ أوتِيَتْها هَاضِي فَكلُّ شَخصٍ تَعاطى شَأوها هَاضِي
أَقسَمْتُ بِالنحلِ إِنَّ النحلَ قائِلَةٌ ما ذِي الحِلاوَةِ مِمَّا يُحسِنُ المَاضِي
أَنفَذتَ شَعرًا فَأَنفَذتَ القوى فِجْرى شَكوٌ وشَكرٌ لِإِنفاذِ وإِنفاذِ
وَقَتَ لِي مِنَ جِفاءِ مِنَ صَقَلِيَّةِ بَلطَفِ مِصرَ عَلِيهِ ظَرَفُ بَعداذِ
إِن كانَ طَبَعُكَ مِنَ ماءِ ورَقَتِهِ فَإِنَّ ذاكَ فَرِندٌ بَينَ فُولاذِ (٢)
وما وَهَمْتُ وَفي التَلميذِ مَعرِفَتِي حَقًّا لِأَنَّكَ مَعرُوفٌ بِأُستادِي
اللهُ يَعلمُ نَولاً أَنْتَ ما جَعَلتُ يَدِي عَلَي كَبِدِ اللَّبِيبِ أَفلاذِ
قال : وقاض بحر آدابه فيضاً ، فكتب إلي أيضاً :

أيا شمسَ الجلالِ على أَقْصادِ وَيابدرِ السِجالِ لَدِي أَتقادِ

(١) الماذاي : السمل الأبيض .

(٢) هكذا في الديوان وفي الأصل : بولاذ .

ويامن بَدَّ في الأشعار مَنْ قد / أبادَ الدهرُ مِنْ أزمانِ عادِ
لقد أصبحتَ لي خلاً صَفِيًّا / وحبُّك قد تمكَّنَ في فؤادي

ومنها :

يمزُّ على أن تنأى وأبقى / فريداً مستهماً للبعاد
وإن حكمتُ بفرقتنا الليالي / وقدماً فرقتُ أهلَ الودادِ
فودى ثابتٌ أبداً مقيمٌ / على مرِّ الليالي في ازديادِ
ولولا طيرةٌ للبين تُخشى / لبستُ لذلك أثوابَ الحدادِ

قال : فأجبت ، وليتني أنجبت :

هو النادى وأنت به أنادى / فيامرؤى الحيا موري الزناد
لسانك أم سنانك دارَ فيما / أراه من الجدالِ أو الجلالِ
تُبْرزُ في اضطلاعِ واطلاعِ / وتُبْرزُ في انتقادِ وأتقادِ
وكم لك في الفصاحة من أيادٍ / ملكتُ بها الفخارَ على الإيادي^(١)

ومنها :

مِنَ الشعراءِ قلبي منك أضحى / يهيمُ صبايةً في كل وادِ
تَحْدُنُكَ من صَمَلِيَّةٍ خَلِيلاً / فكنتَ الوردَ يُقَطِّفُ من قتادِ
وَسَمْتُكَ بين أهلِها صَفِيًّا / فكنتَ الجمرَ يُقَبَسُ من زنادِ
فإنَّ وَسَمْتِكَ حيزومٌ^(٢) وإلا / فما ضاقت حيازيمُ البلادِ
فدينتك كلنا فيها غريبٌ / وذا نَسْبٌ يضافُ إلى الودادِ
مُرَادِي أن أراك ولست أشدو / (عذيرك من خليلك من مُرَادِ)^(٣)

(١) يريد قس بن ساعدة الإيادي .

(٢) الحيزوم : الأرض الصلبة ، والصدر .

(٣) مجز بيت من الشعر يقال إن هل بن أبي طالب كان يردده إذا رأى ابن ملجم ،

وصدرة : أريد حياته ويريد قتلى .

ومنها:

وإني عنك بعد غدٍ لَنَادٍ وقلبي عن فِئانِكَ غَيْرُ غَادٍ
فأبعدُ بعدنا بُعْدُ التَّدَانِي وَأَقْرَبُ قَرَبْنَا قَرَبُ البَعَادِ
وذِكر غير هذا مما كتبه والجواب عنه .

١٢ - ابن النجم

من مصر

فتو الدولة على * بن مفرح النجم

سمعت القاضي أبا القاسم حمزة^(١) بن عثمان^(٢) سنة إحدى وسبعين بدمشق ،
وقد وفد إليها بمهمة^(٣) ، يقول : بمصر شاب مبرز في الشعر مجيد وقد وخطه الشيب ،
وانتفى عن أدبه العيب ، وله بديهة مليحة ، وفكرة صحيحة ، وذكاء وقريحة ،
وإنما أفسد حاله أنه ضمن الصابون والملاهي ، وارتكب في عسف الناس المناهي ،
فاستغاثوا منه واستعدوا عليه ، وامتدت ألسنتهم فيه ، فعذب بالبنفي إلى عيذاب ،

(*) نشأ ابن النجم على اللهو والمجون ، وله أخبار كثيرة في بدائع البدائه لابن ظافر
وهي تدل على أنه كان لا يكاد يفترق عن ابن الدورى وابن فلاقس وقال السيوطي في حسن
المحاضرة (طبع بولاق ١٢٩٩ هـ) ٣٢٦/١ : كان أشعر أهل زمانه وأفضل أقرانه ، مدح
الملوك والوزراء ، وفيه فضائل ، ولد عام ٥٤٩ هـ وتوفي عام ٦٢٠ هـ . وانظر المغرب نسخة (دار
الكتب) المجلد الثاني الورقة ١٧٢ ولم يزد ابن سعيد شيئا عن العباد ، وانظر ترجمة أسامة بن
منقذ في ابن خلكان .

(١) ترجم له ابن سعيد في المغرب (نسخة دار الكتب) المجلد الثاني الورقة ١٥٥ وقال
لأن بني عثمان يتقدمون حتى عصره (القرن السابع) في الدواوين المصرية ، ثم أشار إلى أن أبا القاسم
هذا كان عميد الأسرة وأنه توفي سنة ٦١٦ هـ

(٢) حكمتها في ديوان ابن سناء الملك وفي الأصل : عملان .

(٣) في الأصل : بمعيته .

وهذب بها الأهداب^(١) ، ثم وصل إلى الشام في خدمة الملك المعظم تورانشاه ابن أيوب من اليمن فلقيته ، واستنشدته من شعره فأنشدني كثيراً منه ، وعرفني أن القصيدة العينية التي كتب بها شمس الدولة من تياء منصرفه من اليمن إلى أخيه الملك الناصر بدمشق هي له .

- وتسايرنا في طريق مصر فأنشدني لنفسه من قصيدتين بيتين في الخضاب ، وهما :
- وما خضب الناسُ البياضُ لقبه فاقبحُ منه حين يظهرُ ناصِلُهُ
ولكنما مات الشبابُ فسُخِّمَتْ^(٢) على الرسمِ من حُزْنٍ عليه مَنازِلُهُ
وأما العينية التي كتبها عن شمس الدولة إلى أخيه فهي :

- ولما تَمَدَّتْ مُدَّةُ البينِ بيننا ونازَعْنِي قَلْبٌ إِلَى الشَّامِ نازِعُ
ركبتُ أَشْتِيَاقاً مَوْضِعاً حين شاقني هوى سا كنيها لم تَسْعِي المَوَاضِعُ
فهل لأخي بل مالكي علمُ أني إليه وإن طالَ التَرَدُّدُ راجع
وإني بيومٍ واحدٍ من لقائه مُلْكِي على عَظْمِ البَرِيَّةِ بائع
ركبتُ إليه الليلَ وهو غياهِبٌ وجُئْتُ إليه الأَرْضَ وهى بِلَاقِع
ولبيته لما دعاني مَسَارِعاً بنفسى ومالى والمشوقُ مَسَارِعُ
فيا بَرِقُ طالِعُهُ بَأْنِي واصلُهُ إليه ونجمُ القُرْبِ بالوصلِ طالع
ولم يبقَ إلاّ دونَ عشرين ليلةً وتَجَنِّي المُنَى أبصارُنا والمسامعُ
لدى مَلِكٍ تَعَنُو الملوِكُ لبأسِهِ وتخشعُ إعظاماً له وهو خاشعُ

ومنها :

وتضطربُ الدنيا لبثَّ جنوده سوى ما حواه مُلْكُهُ فهو وادِعُ

(١) في الأصل : الأهداب .

(٢) في النجوم الزاهرة طبع دار الكتب ٥٦/٦ : فسوّدت .

١٣ - الفقيه البليغ

أبو عمارة

موسى بن على السخاوى

من الأعمال الغربية بمصر، وسكنه الإسكندرية . ذكره لى الأمير عز الدين محمد بن مصال فى سنة سبعين وأثنى على فضائله وقرّظها، وأنشدنى من أشعاره التى حفظها، وذكّر أنه الآن شاعر تلك المدرة^(١)، وبسماح قلانده جلاء الأفهام الصّدنة / وصفاه القرائح الكدرة .

[٥٧ و]

فمن قصيدة له قوله :

هذى ديارهم وتلك نوارُ نأت النوى وتدانت الأوطارُ
فأرح متون العيس من دويّة تسرى الرياح بأرضها فتحجار
يتجشم المشتاق شمّ ترابها ويضللّ فيها الكوكب السيار

ومنها :

ولرب موحشة قطعُ ومؤنسى طرفُ أغرّ وكوكبُ غرّار
وذكر بعد ذلك ليلة، ووصفها إلى أن قال :

حتى استجاش على نجاشى الدجى من قيصرى الشدفة^(٢) الإسفارُ
وأى بزى الترك [يرفل^(٣)] فى قبا والشهبُ حول جيبه أزرارُ

ومنها :

هذا هو الخبرُ اليقينُ فإن تردّ علماً فعند جهينة الأخبارُ
وكان المدوح قد أوقع بعرب الصعيد ومن جملتهم جهينة

(١) المدرة : المدينة . (٢) فى الأصل : السدفا وهو تحريف .

(٣) ساقطة من الأصل وزدناها ملائمة لسياق .

ولما وصلتُ إلى القاهرة سنة اثنتين وسبعين دخلتُ إلى القاضى الفاضل يوماً وعنده للبلوغ السخاوى [قصيدة ^(١)] قد مدحه بها فى جمادى الأولى وهى جامعة للإحسان فتأملتها ، وهى :

- أَغْضَى وَأَذْعَنَ حِينَ عَنَّ الرَّبَّ رَبُّ حَتَّى تَصَيَّدَهُ الْغَزَالُ الْأَشْنَبُ
 فطوى حشاه على جوى جمرِ العَصَا مما جنى من جمرة تتلهبُ
 وَصَبَا فَأَشْرَاهُ ^(٢) الْغَرَامُ وَذَادَهُ عَنْ وَرْدِهِ وَهُوَ الْمَزْبَرُ الْأَغْلَبُ
 وَصَبْتُ إِلَيْهِ مِنَ الصَّبَابَةِ لَوْعَةً تُغْرِى بِكُلِّ مُحْرَبٍ ^(٣) لَا يُغْلَبُ
 وهى التى ما زال يحنى حلوها ^(٤) مِنْ مَرُّهَا فَعَذَابُهَا مُسْتَعْدَبُ
 ويمدها من كل أخوى أخورٍ ما منه يرتاع الكفى المحرَبُ ^(٥)
 ١٠ إني على أنى الأبيئ فوادة فالرعبُ مما ليس منه يقربُ
 أدنو وأشجع إذ دنت أسدُ الشرى وتعنُّ لى العينُ الحسانُ فأرهبُ
 وأميلُ من خجلٍ إلى وجلٍ به أُضْنَى فَذَا يَكْسُو وَهَذَا يَسْلُبُ
 وأهابُ من أهوى فأستجدي كما أس تَجْدَى لِفَضْلِ الْفَاضِلِ الْمُسْتَعِصِبُ
 المستبدُّ بكل فضلٍ فضلهُ فِجْنَابِهِ الْمَأْمُولُ أَخْضَرُ مُخْصِبُ
 ١٥ والمسترقُّ حرائرَ الشِّيمِ التى أبدأ تُصَانُ عَنِ الْأَنَامِ وَتُحْجَبُ
 مُتَحَسِّدٌ مِنْ لَفْظِهِ وَبِلاغِهِ طَفِقَتْ بِأَبْكَارِ الْمَعَانِي تَتَّعِبُ ^(٦)

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) فى الأصل : فأسره ، وأشرى : أمال .

(٣) المحرب : الأسد والشجاع . (٤) فى الأصل : حولها .

(٥) المحرَّب : الذى دل على ما يفننه من الحرب .

(٦) تتعب : تسيل .

كالنارِ إلا أنها لا تنطفئ
وعليه من نور السكينة حُلَّةٌ
يَسِمُ البراعة بالبراعة وَسَمَةً
ويقولُ إلا أنه القولُ الذى
أَنحى على سحبانٍ يسحبُ ذيله
وحسامه القلمُ الذى لم يُمضه
عارٍ وليس بمُحَرَّمٍ ، وَمُنَطَّقٌ
يَقْرَى^(٣) بريقته المنيا والمنى
كالحية التضناضِ إلا أنه
وتراه يصمتُ حين يُرجى راجلاً
ويظلُّ ينظرُ من ظلامٍ فى ضحى
واشٍ^(٤) بمكنون الضمير وعلمه
فاذا وشى [وشى^(٥)] المهارقَ أحرفاً

والبحرِ إلا أنه لا يُنضبُ
وثقَ الزمانُ بأنَّها لا تُسلبُ
عند^(١) الخطوبِ وحين يُعربُ يُعربُ
أعياءَ وأعجزَ فهو لا يُتَعَقَّبُ
تيهاً وعن إعرابٍ يُعربُ يُعربُ
إلا وذلَّ له الحسامُ المُقَضَّبُ^(٢)
تلقاه وهو أصمُّ أبكمُ يُخَطَّبُ
أبدًا ويُرضى إذ يُهزُّ ويُغضِبُ
يَسعى فُيرجى حيث كانَ ويُرهَبُ
أيداً وينطقُ راكباً إذ يشربُ
فكأنما لحظُّ النهارِ الغيبُ
عنه وعن فِطَنِ الأنامِ مُغَيَّبُ
هن الرِياضِ أصابهن الصَّيْبُ^(٦)

ومنها:

وإذا الكرام الكاتبون تصفحوا
وتشرفَ الخطُّ الأصيلُ بأنه
فذلك سالمه الزمانُ ولم يكن
وتقاصرت همُّ الرجالِ عن الذى

صفحاته كُتِبَتْ رَضُوا ما يَكْتُبُ^(٧)
يُعزى إلى عبد الرحيم ويُنسبُ
إلا على أحكامه يتقلبُ
لم يرضَ مرَّكبته وعا يركبُ

(١) فى الأصل : غمر .

(٢) المقضب : القاطع .

(٣) فى الأصل : وشى .

(٤) فى الأصل : المطر .

(٥) فى الأصل : يعدى .

(٦) ساقطة من الأصل .

(٧) فى الأصل : يكتبوا .

وَعَنَّتْ لَهُ الدُّنْيَا وَدَانَتْ وَهِيَ إِذْ مَلَّاتْ يَدَيْهِ بَعْضُ مَا يَسْتَوْجِبُ
وَذَكَرَهَا جَمِيعَهَا وَهِيَ طَوِيلَةٌ ^(١) .

قال : وسمعت الملك الناصر يثني على بلاغته ، وبديهته في براعته ، وأنه سمي
بليغا لنثره الذي هو أحسن من شعره . وتوفي فجأة — وُجِدَ ميتاً في فراشه في
منزله في ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين .

١٤ — الصالح أبا الفارات

طلّاع بن رزّيك *

سلطان مصر في زمان الفائر وأول زمان العاضد . ملك مصر ، واستولى على
صاحب القصر ، ونفق في زمانه النظم والنثر ، واسترقّ بإحسانه الحمد والشكر

(١) يظهر أن هذه العبارة من كلام الناسخ فهي مزيدة على الخبر ، ويكون معنى ذلك
أنه اختصر القصيدة .

(*) هو طلّاع بن رزّيك الأرمي كان والياً بمعية خصيب في الصعيد فلما قتل عباس
الضهاجى الخليفة الظاهر كما أسلفنا لجأ إليه أهل القصر واستصرخوه ، فأقبل ، وملك مصر
واستقل بالأمر في عهد الخليفة الفائر (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ) ولما مات الفائر وبويح العاضد
استمر ابن رزّيك وزيره ، وزوجه ابنته ، وكان صغيراً ، فاستبد بالأمر دونه ، وقطع أرزاق الخاصة
فدبرت له مؤامرة لقتله ، فقتل سنة ٥٥٦ هـ . ووزارته صفحة مشرقة في تاريخ مصر قبل
استيلاء صلاح الدين الأيوبي عليها ، إذ وجه كل همه لحرب الصليبيين وأجلامهم عن بلاد كثيرة في
فلسطين ، ولذلك لقب أبا الفارات . وكان شاعراً مجيداً ، ويقول ابن خلكان إنه رأى ديوان شعره
في مجلدين ، وفي عقد الجمان العيني أن أكثر أشعاره في مدح أهل البيت ، وفي الوافي بالوفيات
أنه كان يجمع العلماء وينظرهم على الإمامة وكان يرى القدر وصنف كتاباً سماه (الاجتهاد في الرد
على أهل المنان) يقرر فيه قواعد الرفض ، وفي ابن الأثير أنه كان إمامياً ولم يكن على مذهب
العلويين الغربيين . انظر ترجمته في عقد الجمان النسخة المصورة بدار الكتب المصرية في وفيات
سنة ٥٥٦ هـ وكذلك في النجوم الزاهرة ، وابن الأثير ، وفي ابن خلكان ٣٣٧/١ وفي الوافي
بالوفيات النسخة المصورة بدار الكتب الجزء الخامس في القسم الأول منه الورقة ٢١٣
والغرب لابن سعيد نسخة الجامعة العربية الورقة ١١ وما بعدها ، ويقول ابن سعيد إنه كان
ينسب نفسه إلى غسان ويمدحه الشعراء بذلك . وترجمته أول ترجمة افتتح بها صاحب الجمان
كتابه ، وقديني عمارة البني كتابه النكت المصرية عليه وعلى حياته وأجاده .

ووقرب الفضلاء ، واتخذم لنفسه جُلساء ، ورحل إليه ذوو الرجاء ، وأفاض على [٥٧ ظ] الداني والقاصي بالعطاء . وله قصائد كثيرة مستحسنة أنفذها إلى الشام ، يذكر فيها قيامه بنصر الإسلام . وما يصدقُ أحدٌ أن ذلك شعره لجودته ، وإحكام مباني حكمته ، وأقسام معاني بلاغته ، فيقال إن المهذب^(١) بن الزبير كان ينظم له وإن الجليس بن الحباب كان يعينه ؛ وله ديوان كبير ، وإحسان كثير . ملّك سنة تسع وأربعين ، وفُتِكَ به في دهليز القصر في سنة ست وخمسين وخمسةائة بالقاهرة ؛ وانكسفت شمس الفضائل الزاهرة ، ورخص سِعْرُ الشعر ، وانخفض علمُ العلم ، وضاق فضاء الفضل ، واتسع جاهُ الجهل ، وانحلَّ نظام أهل النظم ، وانتثر عِدْقُ فوى النثر ، واستشعر [الفاقة^(٢)] الشعراء ، وعدم البُلغةِ البلاء ، وعُدَّ الفضل فضولا ، والعقل عقولا . وظل الفحل القارح من قريحة الحباب مقروحا مجنوبا ، وطلب المهذبُ مذهباً في الذهب محبوباً ، ومركبا في النجاة مجنوبا ، وأضلَّ^(٣) الرشيدُ طريقَ رشده فاحترق بشرارِ ثمرٍ شاور من بعده ، وعاد ابن الصياد إلى حرفة أبيه ، ونبا المقام بالنبيال النبيه ، وعجّلَ ابنُ رواحة الرواح ، حين تأمل دفتر تأميله فلاحَ أن لا فلاح . [وعضل المهذب^(٤)] بالشام أخت الكافية

(١) ستان ترجمة المهذب وكذلك الجليس بن الحباب وغيره من الشعراء المصريين الذين أشار إليهم .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) ستان ترجمة الرشيد وقد قتله شاور .

(٤) في الأصل ياض وقد وضعنا الزيادة ملائمة للسياق وذلك أن المهذب عبد الله بن أسعد الموصلي الشافعي مدح طلّاع بقصيدة كافية ، ويقول العماد في ترجمته له بالحريفة بين شعراء الموصلي : الفقيه المدرس بجم ، وقد سارت كافيته بين فضلاء الزمان كافة فشهدت بكفايته وسجلت بأن أهل العصر لم يبلغوا إلى غايته ، ثم أنشدها العماد . وأشار إليها أيضا الصفي في ترجمته لطلّاع .

الكافية لما عدم كفتها الأيد^(١) ، وحَصَّ الحصكفي^(٢) الكفي عدة قصائد فلم
يسمها^(٣) من قرينه لقطر^(٤) مصر البعد ، وطلق فضلاء الحضرة يغيبون لحضور
الناقصين ، وكرب أدباء^(٥) تلك المدرة يذوبون لجمود الغامضين الغامضين ، وعاد
السُرُّ شُورَى ، والعيدُ عاشورا ، والسخف منشورا ، والعسف مأثورا ،
والقريض مقروضا ، ويد الرفض مقبوضة ، وعين الحمد مغضوضة ، وعمّ رزه ابن
رُزيك ، وملاك صرْفُ الدهر ذلك المليك ، فلم تزل مصر بعده منحوسة الخطَّ
منسوخة^(٦) الجدِّ ، منكوسة الراية ، معكوسة الآية ، إلى أن ملكها يوسف الثاني ،
وجعلها مغاني المعاني ، وأنشر رميمها ، وعطر نسيمها ، وأرج رباها ، وبلج محياها ،
وأعلى سناها ، وأحلى جناها ، وأعاد ماها ، وأباد أعداءها ، واقترع عذرتها ، وفرع
ذروتها ، ونفى سودها^(٧) ، وعنى أسودها ، وخلص فتوحها ، وخلص شروحها ،
وتسلم قصرها ، والنزم^(٨) خصرها . فليفتح الصالح عينه ليعاين مُلك الصلاح ،
ناهضا بجناح النجاح ، خافقا في الخافقين بقوادم الإقدام ، طائرا من قدام
بأسه بخوافي الخوف قلبُ الباسل الهمام . قال : جرى لي جود الخاطر في جواد
البيان ، ومضار هذا الميدان ، وأخرجني من شرط الكتاب ، إلى بسط هذا
الباب ، فلنقطع أطناب الإطناب ، ولنورد ما نلقطه^(٩) من الأشعار المنسوبة
إليه ، فنجده القصيدة الطائية التي كتبها إلى الأمير مؤيد الدولة في جواب
قصيدة طائية كتبها إليه ، ومطلعها في غاية الحسن ، وهي قوله :

(١) في الأصل : إليه .

(٢) هو يحيى بن سلامة خطيب ميفارقين من كبار الأدباء والشعراء في عصره وكان
ضريرا توفي سنة ٥٥١ .

(٣) في الأصل : يسما . (٤) في الأصل : بقصد .

(٥) في الأصل : وكبرما . (٦) في الأصل : منحوسة .

(٧) يعني ما كان في مصر من السودان في العصر الفاطمي .

(٨) النزم : عانق . (٩) في الأصل : نلقتها .

هي البدرُ لكنّ الثريا لها قرطُ
 مشّت وعليها للغمامِ ظلائلُ
 تؤم صريعًا في الرجال كأنه
 فما أخضرَ ثوب^(١) الأرض إلا لأنها
 ولا طابَ نشرُ الأرض إلا لأنه
 ولا طار ذكر الظبي إلا وقد غدا^(٢)
 من البيضِ مثلُ الصبحِ ما للظلامِ في
 إلى العَرَبِ الأحماسِ يُعزى^(٣) قبيلها
 ولما غدت كالعاجِ زينَ صدرها^(٤)
 وأرسلَ فوق الخدِّ صدغٌ مُكلَّلُ
 ذوائبُ زان الخصرَ منهنّ فاحمُ
 ومنها وهي طويلة :

هناك مع السارين في جُنحها خَبَطُ
 / حشاها كذاك البرق في جَوْها سَقَطُ^(٥) [٥٨ و]
 شباب الدجى لما بدا لَمعُها^(٦) وَخَطُ
 إذا ما اعتلت قد^(٧) أو اعترضت قَطُ
 وظماء للشهب الدراري إذا سَرَت
 كما أوَّلُ الفجرين سَقَطُ يَسْلُ من
 سللنا بها البيضَ السيوفَ فلاح في
 سيوفُ لها في كلِ دِرْعٍ وَجَنَّةٍ

(١) هكذا في الأصل ويكن أن تقرأ أيضا : ترب .

(٢) في الأصل . عدا .

(٣) في الأصل : معزى .

(٤) في الأصل : صدورها .

(٥) في الأصل : مقط ، وسقط النار ما يسقط منها عند الفتح وكذلك الولد ما يسقط

قبل تمامه .

(٦) في الأصل : إلفها .

(٧) في الأصل : قدا ، والقدا : الشق طولاً ، والقط : القطع عرضاً .

ومنها:

وحربٌ لها الأرواح زاهقةٌ لِمَا تُعابِنُ والأصوات من دَهَشٍ لَفْطُ
إِذَا أُرْسِلت فرعًا من النقع فاحمًا أثينًا فأسنانُ الرماح لها مُشْطُ
كَأَنَّ القنا فيها أَناملُ حاسب أَجدَّ بها في السرعة الجمعُ واللقطُ
ومنها في القطع وذكر القصيدة:

على أَنها تشتيط إن هي ساجلت أحبةٌ قلبي إن تدانوا وإن شطوا
يشير إلى مطلع قصيدة مؤيد الدولة^(٥).

ومن شعر الصالح في الغزل:

ومنهفٍ تملِ القوام سَرَتٌ إلى أعطافِ النَّسواتُ من عينيه
ماضى اللحاظِ كأنما سَلَّتْ يدي سيفاً^(٢) غداةَ الروع من جفنيه
الناسُ طوعُ يدي وأسرى نافذٌ فيهمُ وقلبي الآن طوعُ يديه
فأعجبُ لسُلطانِ يعمُّ بعدله ويجورُ سلطانُ الغرام عليه
قد قلتُ إذ كتَبَ العذارُ بحدِّه في وَرْدِه^(٣) أَلَيْبِه لا لاميه
ما الشَّعْرُ لاح بعارضيهِ وإمّا أصداغه نَفَضَتْ على خديهِ
والله لولا أَسْمُ الفرارِ وأنّه مستيقبُ لفررتُ منه [إليه]^(٤)

(١) يريد أسامة بن منقذ الشنزي أحد أبطال الحروب الصليبية وشعراء عصره المهين ، دخل مصر أواخر العصر الفاطمي فكان مؤمرا مشاراً إليه بالتمظيم ، واشترك في المؤامرات ، وفر مع عباس الصنهاجي إلى الشام ، ولحق عصر صلاح الدين وتوفي سنة ٥٨٤ هـ .

(٢) ذكر أغلب من ترجموا لطلّاع هذه الأبيات وجاءت فيها هذه الكلمة : سيني .

(٣) في الأصل : وردت وفي ابن خلكان والواري بالوفيات وغيرها من المراجع :

قد قلت إذ خط العذار بمسكه في خده أليبه لا لاميه

(٤) في الأصل بياض ، والزيادة في كل المراجع .

وقال في الزهد :

خُضْ بِحَارِ الْمَوْتِ فِي النُّقْلَةِ مِنْ دَارِ الْهَوَانِ
وَأَحْلِلِ النَّفْسَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى حَدِّ السَّنَانِ
وَأَجْتَهِدْ أَلَّا يَرَاكَ النَّاسُ مَبْسُوطَ الْبَنَانِ
فَعَسَى الرَّحْمَنُ يُغْنِي عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانِ

ونقلت من درج بخط الصالح بن رزّيك قصيدة له أعارنيه ابن أخته ،

نظمه سنة خمس وخمسين ، أولها :

أبى الله إلا أن يكون مؤيدا مدى الدهر منصورَ اليدين على العدا
وكم جاهلٍ قد زاده الحلمُ عزةً على غيره لما فسحتُ له المدى
فأوردته من راحتي موردَ الندى ولما أسرَّ العَدْرَ أوردته الردى
وهاجرَ فاستدرجته ودفعته بحلمى أناةً وانتظارًا به غدا
عسى هو أن يصحوم من الجهل أو يرى عليه الحسامُ المشرفُ مُعْرِبًا

ومنها في وصف حسام :

فعاجله مستحكِمُ الرأيِ قد غدا تقهرُ الأعداى فى الحروبِ مؤيدا
رمىتُ به سهماً مصيبًا وإنه لدى الحرب ما زال القويمَ سُددا
هو الأسدُ الورْدُ الذى عاد سبقةً إلينا من الضربِ الدراكِ الموردا
فلا يعترزُ بى بعدها ذو جهالة فليتُ الشرىُّ يحشى وإن كان مُلبدا

وأعارنى درجاً فيه بخط الصالح قصيدة أخرى منها :

توالت علينا فى الكتائبِ والكتبِ بشائرُ من شرقِ البلادِ ومن غربِ
بشائرُ تهدى للموالى مسرةً وتحدثُ للباغين رعباً على رعبِ

ففي^(١) كبدٍ من حرها النارُ تلتظي وفي كبد أحلى من البارد العذب
ومنها :

جعلنا جبالَ القدس فيها وقد جرتُ عليها عتاقُ الخيل كالنفنف^(٢) الشهبِ
فقد أصبحتُ أوعارها وحزونها سهولاً توطأ للفوارس والركب
ولما غدتُ لأماء في جنباتها صببنا عليها وإبلاً من دمٍ سكب^(٣)
وجدت بها سُحبُ الدروع من العدا نجيعاً فأغنتها الغداة عن الشحبِ
وأجرتُ بحاراً منه فوق جبالها ولكن بحارٌ ليس تعذبُ للشرب
فقد عمها خصبٌ به من رءوسهم بها ولكم خصبٌ أضرَّ من الجذبِ
وقد روَّعتها خيلنا قبل هذه مراراً وكانت قبلُ آمنة السرب
وأخفى صهيلُ الخيل أصواتَ أهلها فعاقتُ نواقيسَ الفرنج عن الضربِ
ومنها :

وأبطالٍ أُحربٍ من كُتامة^(٤) دَوَّخوا بلادَ الأعادي بالمسومة^(٥) القبِّ
وعادوا إلينا بالرءوس على القنا وأغنهم كسبُ الثناء عن الكسب
ومنها :

وإنا بنو رزيك ما زالَ جارناً محلُّ لدينا بالكرامة والخصبِ
ونفتكُ بالأموال في السلمِ دائماً كما نحن بالأعداء^(٦) نفتك بالحربِ

(١) هكذا في المغرب وفي الأصل : أفي .

(٢) النفنف : الغاظة ، والسهب : المستوى من الأرض .

(٣) في الأصل : ساب .

(٤) هكذا في المغرب وفي الأصل : كنانة وكتامة قبيلة مغربية جاءت مع الفاطميين

من بلاد المغرب . (٥) المسومة : المعلقة ، والقب : جمع أقب وهو من الخيل الضامر .

(٦) هكذا في المغرب وفي الأصل : في الأعداء .

وذكر عمارة البيني قال دخلت عليه السادس [عشر^(١)] من شهر رمضان سنة ست وخمسين قبل موته بثلاثة أيام بعد قيامه من السماء فدخل وخرج وفي يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره قد عملهما في تلك الساعة :

نحن في غفلةٍ ونومٍ ولمؤتِ عيونٌ يقظانةٌ لا تنامُ
قد رحلنا إلى الحِمَامِ سِنِينًا أيت شعري متى يكون الحِمَامُ؟

/ قال عمارة : ومن عجيب الاتفاقِ أننى أنشدتُ ولده في تلك الليلة [٥٨ ط]

قصيدة منها :

أبوك الذى تسطو الليالى بحده [وأنت^(٢) يمينٌ] إن سطا وشمالُ
لرتبته العظمى وإن طالَ عمره إليك مصيرٌ واجبٌ ومألُ
تجالسك اللحظ^(٣) المصون ودونها حجاب شريفٌ لا أنقضى^(٤) وحجالُ

فانتقل الملك إليه بعد ثلاثة أيام

ومن شعر الصالح فى مملوك له رآه يوم العيد ، فى السلاح لابس الحديد^(٥) :
لبس الحديدَ فزاد فى إعجابِهِ بدرّ تظللُ الشمس من حُجَّابِهِ
لامطمعٌ فى أن يرقَّ وقلْبُهُ أقسى على العُشَّاق من جلبابِهِ
قد كان يُغْنِيهِ سيوفُ لحاظِهِ عن حمل صارمِهِ ليوم ضرابِهِ
لوجاد لى فوق اللثام بقبلةٍ تشفى فؤادَ الصبِّ من أوصابِهِ
رَوَّيتُ ظامئةَ الرماح من العدا وضنيتُ من ظمإٍ لبردِ شرابِهِ

(١) فى الأصل بياض والزيادة من النكت العصرية لعمارة البيني طبع درنبرغ ص ٤٩ .

(٢) فى الأصل بياض والزيادة من النكت .

(٣) هكذا فى النكت وفى الأصل : تجالسك الحظ .

(٤) هكذا فى النكت وفى الأصل : الانقضا وهو تحريف ، والحجال : جمع حجلة ،

ومى البيت الذى يزين للعروس .

(٥) فى الأصل : الحديد .

وقال :

عاذليّ عذلك سهمٌ في الحشا
صار مابي من غرامِ كامنٍ
من رأى قبليّ ياريمَ الفلّا
أسداً يقنصُهُ لحظُ رشّا
كيف كتاني وسرّي قد فشا
ظاهراً ينقله واشٍ وشمي

ومنها :

وجهُكَ الرّوضة آتتْ نرجسًا^(١)
خفت أن يُجنيّ فوكّلت بها
عقرباً طوراً وطوراً حنشا
وجنيّ الوردِ فيها فرشا

وقال :

ألا إن أشواقِي بقلبيّ برّحتُ
قلّقتُ وقد جدّ الفراق لبُعديّكم
ولا غرو فيكم أن أفضت مضاجعي
فأصبحتُ في بحرٍ بعيدٍ من الشاطي
كأنّي على جمرِ الفضا بعدكم واطي
وقد بان في حبيّ لكم وجهُ إفراطي

وقال :

وفاتر الطرفِ في الخدِّ الأسيلِ له
نَهبتُهُ بقمي لثماً وقد غفلتُ
وخاف أن يفتنَ الواشي بنا وبه
إن مال عني فقد مال النعيمُ وإن
هابت سطاى ليوثُ الغاب غاديةً
فرجّتُ ضنك الوغى في كلِّ معركةٍ
وردّ جنيّ حمته أسهمُ القلّ
عين الرقيب وكلّت ألسنُ العذل
فعاد يُخلف ما قد منّ بالحجل
يميلُ إلىّ أجده غايةً الأمل
ورحت من لحظات الظبيّ في وجلي
بحدّ سبني وضاقَت في الهوى حيلي

(١) آتت ، أثمرت .

وقال :

ظبي يُحيرُ في الملاحهِ كلِّها كرّرتُ طرفي في بديع فنونه
أشكو إليه صباقتي فيجيبني وردُّ يُبرِّدُ لوعتي بمعِينه
قسماً به وبوردةٍ في خـده وتماّمِ قامته وسحر جنونه
لو أن ركباً في الفلاة تحيروا لسروا بضوء من هلالِ جبينه

وأشدني زين الدين بن نجاة^(١) الواعظ الدمشقي له في غلام سابق على حصان أخضر أشقر :

ولما حضرنا للسباق تبادرتُ خيولٌ ومن أهواه أقدمها سبّاقاً
على أشقرٍ شبه الهيب توقداً ولوناً فقلنا البدرُ قد ركبَ البرّاقاً

وأشدني زين الدولة الحسين بن الوزير أبي الكرام قال : كتب الصالح

ابن رزّيك إلى والدي بعد عوده من مصر إلى الشام سنة إحدى وخمسين :

أحبابَ قلبي إن شطَّ المزارُ بكم فأنكم في صميم القلب سكانُ
وإن رجعتُم إلى الأوطان إن لكم صدورنا عِوضَ الأوطانِ أوطانُ
جاورتُم غيرنا لما نأت بكم دارٌ وأتم لنا بالودِّ جيرانُ
وكيف نساكم يوماً لبعدمُ عنا وشخصكم للعين إنسانُ

وأشدني له :

وإذا تشبَّ النارُ بين أضالعي قابلتها من أدمعي بسيول
فأنا الفريقُ بل الحريقُ أموت في هذا وكذّالة القنديل
وكان قد ذكر عنده بيتاً من نظم عوام بغداد من كان وكان^(٢) وهو :

(١) هو زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجاة الحنبلي الواعظ ، وله شهرة مدوية في عصره ، توفي سنة ٥٩٩ هـ

(٢) ذكر ابن طاهر في بدائع البداهة ص ١٣٣ هذه الحادثة ؛ وقال إن بعض جلساء الصالح أنشده بيتاً من الأوزان التي يسميها المصريون الزكاش ، ويسميها العراقيون كان وكان .

النارُ بين ضلوعي وانا غريقٌ مدامعي
كأني^(١) فتيلة قنديلٌ أموتُ حريقٌ غريق^(٢)

فأنشد ابن الجباب أبو المعالي الجليس في المعنى :

هل عاذرٌ إن رمتُ خلَعَ عذارى في شمِّ سالفَةٍ ولثمَ عِذار
تتألفُ الأضدادُ فيه ولم تزلْ في سالفِ الأيامِ ذاتَ نِفَارِ
فله من الزفراتِ لفحُ صواعقِ تُردى وبالمبراتِ سخُّ بحار^(٣)
كذباة القنديلِ قُدِّرَ هُلْكُها ما بين ماء في الزجاجِ ونار

فقال المهذب بن الزبير في المعنى :

كأني وقد فاقت^(٤) سيولُ مدامعي فَشَبَّتْ^(٥) حريقاً في الحشا والترائب
ذباةٌ قنديلٍ تعومُ بمائها وتُشعلُ فيها النارُ من كل جانب

/ وحدثني أبو الذكاء^(٦) البعلبكي ، وكان رسولاً بمصر ، قال : لما جلس

الصالح بن رزّيك في دست الوزارة نظم هذه الأبيات :

أُنظِرْهُ إلى ذى الداركمُ قد حلَّ ساحتها وزيرُ
ولكم تبخترَ آمناً وَسَطَ الصفوفِ بها أميرُ
ذهبوا فلا والله ما بقيَ الصغيرُ ولا الكبيرُ
ومثل ما صاروا إليه من الفناء غداً نصيرُ

(١) الشطر في البدائع : كئبي . (٢) في البدائع : غريق و حريق .

(٣) الشطر في البدائع : وله من المبرات لج بحار .

(٤) في البدائع : سالت . (٥) في البدائع : فأذكت .

(٦) ذكره السلتي في معجمه (نسخة دار الكتب المصورة) الورقة ٣٣٢ ، وقال

أبو الذكاء فهم بن حسان بن أحمد اليميني الدمشقي كان من أهل الفهم والأدب قدم الثغر ، وسافر إلى الأندلس ، ثم رجع إلينا وتوجه إلى الشام .

قال زين الدين الواعظ : عمل فارسُ المسلمين أخو الصالح له دعوةً في شعبان من السنة التي قتل فيها فعمل هذه الأبيات وسلمها إلى :

أنت بكم دهرًا فلما ظمّتمُ أسْتَقَرَّتْ بقلبي وَحْشَةٌ للترقى

وقال :

• وَأَعْجِبُ شَيْءَ أَنِّي يَوْمَ بَيْنَكُمْ بَقِيْتُ وَقَلْبِي بَيْنَ جَنْبَيْ مَا بَقِيَ
أرى البعدَ ما بيني وبين أحبتي كَبُعدِ^(١) المدى ما بين غربٍ ومشرقِ
ألا جَدْدِي يانفسُ وجداً وحسرةً فهذا فراقٌ بفسدهُ ليس نلتقي

قال : فلم يبق بعدها لهم اجتماعٌ في مسرة ، و قتل في شهر رمضان . قال : ومما نظمه :

يادهرُ حَسْبُكَ ما فعلتَ بنا أَتْرَاكَ تَطْلُبُ عندنا إِحْتِنَا
كم تَتَّقِيكَ بكلِّ سَابِغَةٍ وسهامُ كيدك تخرقُ الجُننَا^(٢)
ما تنفعُ الدرعُ الحصينةُ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يَلْبَسُ الكفنا
كلا ولا الأيامُ تَقْبَلُ عن أرواحنا رَشْوًا ولا ثَمَنًا
لو بِالثَّرِيًّا حَلَّ مُعْتَصِمٌ منها لكانَ له الثَّرَى وَطَنًا
ولقد يهونُ ما أصابكمُ فقدُ الحسينِ الطهرِ والحَسَنَا
وبنيتهمُ إذ طَوَّحَتْ بهمُ أيدى زمانهمُ هنا وهنَا
وأرى الأئمةَ جارِ دهرهمُ في فعله بهمُ فكيفَ أنا
لي أسوءُ بهمُ الغداةَ إذا أصبحتُ في الأجداثِ مُرْتَهِنَا

وقال :

يارا كبا ظَهَرَ المعاصي أومًا تخافُ من القصاصِ
أومًا ترى أسبابَ عمركِ في انتقاصِ وانتقاصِ

(١) في الأصل : بعد . (٢) الجن : جمع جنة وهي ما يستتر فيه من سلاح .

وقال :

يَانَأْمَأَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَمَا أَنِّ انْتَبَاهُكَ
لِلْمَالِ^(١) لَا يُفْنِيكَ فِيهَا أُخْرَى وَلَا يُنْجِيكَ جَاهُكَ

وقال :

مَشِيئَتِكَ قَدْ نَضَا صَبَغَ الشَّبَابِ وَحَلَّ الْبَازُ فِي وَكْرِ الْغُرَابِ^(٢)
تَنَامُ وَمَقَلَّةُ الْحُدَّانِ يَقْطِي وَمَا نَابُ النَّوَابِ عَنكَ نَابِ
وَكَيْفَ بَقَاهُ عَمْرُكَ وَهُوَ كَنْزٌ وَقَدْ أَنْفَقْتَ مِنْهُ بِأَحْسَابِ

وقال :

أَيَا دَهْرُ أَيَّنَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا فَأَضْحَوْا كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا
وَكَانَتْ قِصْوَرُهُمْ لَا تَرَامُ فَتَلِكِ قِصْوَرُهُمْ لَا تَبِينُ^{١٠}

وقال :

أَيُّهَا الْمَعْرُورُ لَا تَغْتَرَّ فِرْعَاكَ خَيْثُ
سَائِقُ الْمَوْتِ وَإِنْ طَالَ بِنَا الْعَمْرُ حَيْثُ
إِنَّ مِنْ جَادَتِ عَلَى الْخَلْقِ بِجِدْوَاهِ غِيوْثُ
وَأَوْلُو الْمَجْدِ الْقَدِيمِ الْعَهْدِ مِنْهُمْ وَالْحَدِيثُ^{١٥}
أَصْحَحَ الْيَوْمَ حَدِيثًا وَغَدًا نَحْنُ حَدِيثُ^(٣)

(١) في الأصل : لا المال . (٢) في الوافي : العقاب .

(٣) الى هنا تنتهي نسخة نور عثمانية وجاء في آخرها هذه العبارة (تم الجزء التاسع من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ، ويتلوه في الجزء العاشر منه إن شاء الله تعالى شعر الأمير أبي المهند حسام بن قضة بن مبارك العقيلي من المصريين) .

١٥ — الأمير أبو المرشد حسام* بن مبارك بن قضة العقيلي

لم يكن في مصر ألخم منه شأنًا ، وأعظم سلطانًا ، أيام سلطنة ابن رزيك وهو ابن أخت الصالح ، كان مقدم عسكره ، في مورده ومصدره ، وحسامه الفاصل . من شعره من أبيات عاتب بها خاله :

أَجَلُّكَ أَنْ يُلِمَّ بِكَ الْعِتَابُ وَأَنْ يَخْفَى — وَحَاشَاكَ — الصَّوَابُ

ومنها :

وَإِنِّي فِي يَمِينِكَ حِينَ تَسْطُو حُسَامٌ لَا يُقَلِّلُهُ الضَّرَابُ
وَكَمْ أَرْسَلْتَنِي سَهْمًا مُصِيبًا فَأَحْرَقَ ضِدَّكَ مَتَى شَهَابُ

١٦ — أبو القاسم* هبة الله بن عبد الله بن كامل

كان داعي الدعاة بمصر للأدعياء ، وقاضي القضاة لأولئك الأشقياء ، يلقبونه بفخر الأمراء ، وهو عندهم في المحلة العليا ، والمرتبة الشماء ، والمنزلة التي في السماء ،

(*) نقلنا هذه الترجمة عن عود الشباب لملى الرضا وهو مختصر للخريدة ، وفي دار الكتب المصرية نسخة منه ، وكذلك في التيمورية تحت عنوان طبقات العلماء لابن أبي طي ، وهو خطأ ، وقد ترجم عمارة البيني في النكت العصرية لصاحب الترجمة (ص ١٠٩) وأشاد به طويلا ، وقال إنه كان يلي بعض مراكز الصعيد ، ثم ولى البحيرة ، ثم الصعيد ثانية ، وذكر عمارة له فيه شعراً كثيراً يصف فيه كرمه وشجاعته .

(*) نقلنا هذه الترجمة عن كتاب الروضتين ١ / ٢٢٤ حيث روى الترجمة عن العماد بنصها ، ولابن كامل ترجمة مقتضبة في مختصر الخريدة ، وترجم له المغرب لابن سعيد نسخة دار الكتب في الورقة ١٦٢ من المجلد الثاني ومقدمة الترجمة منقولة عن العماد لكنها مختصرة أيضاً وإن كان قد زاد بمد بيتي العماد آياتاً أخرى نقلها عن ابن أبي الإصبع وغيره ، أما البيتان الذان رواهما العماد فقال لإنهما لابن القابلة السبتي ، ولعل هذا هو السبب في أن ابن كامل كان ينكرهما وترجم له أيضاً الصفدي في الوافي بالوفيات نسخة دار الكتب ، ولم يذكر البيتين اللذين شك فيهما ابن سعيد (انظر المجلد الثاني من الجزء السابع الورقة ٣١٠) ، وكذلك ترجم له ابن العماد في شذرات الذهب ٤ / ٢٣٥ .

حتى انكدرت نجومهم ، وتغيرت رسومهم ، وأقيم قاعدتهم ، وعضد عاضدهم ، وأخلت منهم مصرهم ، وأجلى عنهم قصرهم ، فحرك ابن كامل ناقص الذب عنهم والشد منهم ، فأمال قوما على البيعة لبعض أولاد العاضد ، ليلبغوا به ما تخيلوه من المقاصد ، وسوّلوه من المكاييد ، فأثمرت بجثتهم الجدوع ، وأقترت من جوسومهم الربوع ، وأحكمت في لحومهم النسوع^(١) . وهذا أول من ضمه حبل الصلب ، وأمه فاقرة الصلب ، وهذا صنع الله فيمن ألد ، وكفر النعمة وجحد ، وذلك غرة رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة . سمعت الملك الناصر صلاح الدين يذكره وقد ذكره عنده بالفضل والأدب ونسبوا إليه هذين البيتين في غلام رفاء وأشدّها الملك الناصر وذكر أنه كان يذكرهما :

يا رافياً خزق كلِّ مؤبٍ ويا رشاً حُبُّهُ اعتقادي^(٢) ١٠
عسى بكف^(٣) الوصال ترّفو ما مزق الهجر من فؤادي

١٧ - الرومي* ابن الذروري أبو الحسن علي بن محبي

شاب نشأ في هذا الزمان ، موصوف بالإجادة والإحسان ، له في أحذب :

يا أخي كيف غيرتكَ الليالي وأحالت ما بيننا بالمحال

(١) النسوع : جمع نسع وهو سير من جلد .

(٢) في المغرب : اعتادي . (٣) في المغرب : بخيط .

(*) نقلنا هذه الترجمة عن المغرب لابن سعيد نسخة دار الكتب المجلد الثاني الورقة ١٧٠ ولم نقلها عن مختصر الخريدة ، لأنه أشد اختصاراً ويبدو من المغرب أن هذا كل ما قاله العماد في الخريدة ، وقد عقب عليه بقول أخرى من كتاب الذيل والسيل للعماد وهو ذيل له على الخريدة ، وبقول ثانية من ديوان ابن الذروري نفسه وقال : إنه قرأ في ديوانه مدح العاضد الفاطمي ، وصلاح الدين ، والقاضي الفاضل ، وابن شكر ، ونقل أيضاً في ترجمته من كتب أخرى . وفي كتاب الروضتين أشعار له كثيرة وأكثرها في مدح القاضي الفاضل . وقد توفي ابن الذروري سنة ٥٧٧ هـ . انظر ترجمته في المغرب وفي كتاب الروضتين ٢ / ٢٧ ومواضع متفرقة منه وفوات الوفيات (طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ) ٢ / ٩٤ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٦ .

حاشَ اللهُ أنْ أَصَافِي خَلِيلَا فِيرَانِي فِي وَدِّهِ ذَا اخْتِلَالِ
 زَعَمُوا أَنِّي أَتَيْتُ بِهِجْوِي مَعْرَبِ فَيْكَ عَن شَنِيعِ الْمَقَالِ
 كَذَبُوا إِنَّمَا وَصَفْتُ الَّذِي فَيْكَ مِنَ النَّبْلِ وَالسَّنَا وَالْكَامِلِ
 لَا تَظَنَّ حَدَبَةَ الظَّهْرِ عَيْبًا فَهِيَ لِلْحَسَنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
 وَكَذَلِكَ الْقَسِيُّ مُحْدَوْدِبَاتٌ وَهِيَ أَنْكِي مِنَ الظُّبَا وَالْعَوَالِي
 وَدَنَانِي ^(١) الْقُضَاةُ وَهِيَ كَمَا تَعْلَمُ كَانَتْ مُوسِمَةً بِالْجَمَالِ
 وَأَرَى الْإِنْخَاءَ فِي مَنْسِرِ الْكَا مَرَّ يُبْلَغِي وَخَلْبِ الرَّثْبَالِ
 وَأَبُو الْعُصْنِ أَنْتَ لَا شَكَّ فِيهِ وَهُوَ رَبُّ الْقَوَامِ وَالْإِعْتِدَالِ ^(٢)
 كَوْنَنَّ اللهُ حَدَبَةً فَيْكَ إِنْ شُدَّ مِنْ الْفَضْلِ أَوْ مِنَ الْإِفْضَالِ
 فَآتَتْ رَبْوَةً عَلَى طُودِ حَلْمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً بِبِحْرِ نَوَالِ
 مَارَاتُهَا النَّسَاءَ إِلَّا تَمَنَّتْ لَوْ غَدَّتْ حَلِيَّةً لِكُلِّ الرَّجَالِ
 وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْهَجْرِ بَدُّ فَعَسَى أَنْ تَزُورَنِي فِي الْخِيَالِ
 وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ لَمْ يَقُلْ مِثْلَهَا فِي أَحَدٍ وَهِيَ فِي ابْنِ أَبِي حَصِينَةَ الَّذِي أَصْلُهُ
 مِنَ الْعَرَّةِ . وَلَهُ فِي الْمَهْدَبِ جَعْفَرَ الْمَعْرُوفِ بِشَلْعِ ^(٣) :

لَا تَصْحَبَنَّ سَوَى الْمَهْدَبِ جَعْفَرَ فَالْشَيْخُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُهْدَبُ
 طَوْرًا يُغْنِي بِالرَّبَّابِ وَتَارَةً تَأْتِي عَلَى يَدِهِ الرَّبَّابُ وَزَيْنَبُ

(١) دنية القاضي : قلنسوته .

(٢) بعد هذا البيت في الروضتين :

قد تحليت بانحناء فأنت الـ مراكم المستمر في كل حال
 وتمجلت حمل وزرك في الظهر مر فأمناً في موقف الأهوال
 إن حمل الذنوب أهون في الدن سيا على أنه من الأتقال

(٣) أحد شعراء الدولة الأيوبية ، وله ترجمة في المغرب نقلها عن العماد . وستأتي ترجمته

في الحريرة .

١٨ - القاضي الجليس * أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين

ابن الجواب الأعلي السمرى النعمي

جليس^(١) صاحب مصر ، فضله مشهور ، وشعره مأثور ، وقد كان أوحده
عصره في مصره نظماً ونثراً ، وترسلاً وشعراً ، ومات بها في سنة إحدى وستين ،
وقد أناف على السبعين . ومن شعره :

لا تعجبي من صدّه ونفاره لولا المشيبُ لكنت من زوّاره
لم تترك الستون إذ نزلت به من عهد صبوته سوى تذكاره

وله :

حيّ بتفاحةٍ مخضّبةٍ من شَفَى حُبّه وتيمّني
فقلتُ ما إن رأيتُ مشبهها فاحمرّ من خجلة فكذبني

ومن شعره :

وسما يكفُّ الحافظُ المنصورُ عنا المَحَلَّ كَفًّا
أواهمُ كرامًا وصا نَ حريمهمُ فعفًا وعفًّا

(*) أول هذه الترجمة غير موجود في النسخة المصورة بدار الكتب وقد أخذناه عن
الروضتين ١ / ١٤١ ومختصر الحريدة والمغرب نسخة الجامعة العربية الورقة ١٠٩ ، فقد
احتفظت كل من هذه النسخ بترجمة الجليس ناقله لها عن الحريدة . والجليس من ذرية بني الأغلب
اليميين سلاطين إفريقية تولى ديوان الإنشاء مع الموفق بن الخلال الذي سُمّي في ترجمته للخليفة الفاطمي
الملقب بالفاتر (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ) في عهد وزيره طلّاح بن رزيك . وقد أشاد به عمارة
البيهي في النكت المصرية ص ٤٣ ومدحه بأشعار مختلفة وقال : إنه دخل اليمن (انظر ص ٥٩٥)
ولعله ذهب إلى هناك برسالة فاطمية . وانظر ترجمته في فوات الوفيات لابن شاکر الكتبي
١ / ٢٧٨ والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٩٢ وكذلك ٥ / ٣٧١ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٤ .
(١) هو الفاتر فقد كان يجالسه ويسامره ، وفي النجوم الزاهرة : كان يجالس خلفاء
مصر من بني عبيد فسمى الجليس .

وأشدني له الأمير نجم الدين بن مصال من قصيدة يقول فيها :

ومن عجب أن السيوف لديهمُ تحييضُ دماءَ والسيوفُ ذكورُ
وأعجب من ذا أنها في أكنههمُ تأججُ ناراً والأكفُ بحور
وأشدني له الشريف إدريس^(١) الإدريسي قصيدة سيرها إلى الصالح بن
رزيك قبل وزارته يحرّضه على إدراك ثأر الظافر ، وكان عباس وزيرهم قتله وقتل
أخويه يوسف وجبريل ، يقول فيها :

فأين بنو رزيك عنها ونصرهم وما لهم من منعة وزياد
فلو عاينت عينك بالقصر يومهم ومصرعهم لم تكتحل برقاد
تدارك من الإيمان قبل دئوره حشاشة نفس آذنت بنفاد
فمزق جموع المارقين فإنها بقايا زروع آذنت بحصاد
وله فيه من أخرى في هذه الحادثة :

ولما ترمى البربريُ بجهله إلى فتكة ما رامها قط رامُ
ركبت إليه متن عزمتك التي بأمثالها تلتقي الخطوبُ العظامُ
وقدت له الجرود الخفاف كما قوائمها عند الطرادِ قوادِم^(٢)
/ وتنصل منها والعجاج خضابها هواد لأركان [البلادِ هوا] دمُ [١٠]
تجافت عن الماء القراح فريتها دماء العدا في الصوادي الصوادم
وقت بحق الطالبين طالباً وغيرك يُغضي دونه ويسالمُ
أعدت إليهم سلكهم بعد ما لوى به غاصب حق الأمانة ظالمُ

(١) ترجم له ابن سعيد في المغرب ولم يزد عن أن العماد ترجم له في (الذيل والسيل)
وأشد له بعض الشعر مما ذكره العماد . انظر الورقة ٩ من نسخة الجامعة العربية .

(٢) إلى هنا ينتهي القل عن المراجع السابقة ، وتبدأ نسخة باريس ويتبين من
تسلسل أرقام صفحاتها أنها ورق دشت ، وقد رتناها على أساس مختصر الحريدة الذي أشرنا
إليه مراراً .

فما غالبٌ إلا بنصرِكَ غالبٌ وما هاشمٌ إلا بسيفِكَ هاشمٌ
فأدركُ بشارٍ^(١) الدينِ منه ولم تزلْ عن الحقِّ بالبيضِ الرِّقاقِ تُخَاصِمُ
وأُشدني الأميرُ العَضُدُ مرهفٌ^(٢) للجليسِ^(٣) يخاطبُ الرشيدَ بنَ الزبيرِ
في معنى [نكبة^(٤)] خاله الموفق :

تسمَعُ مقالِي يا ابنَ الرشيدِ فأنتَ حقيقٌ بأنَّ تسمَعَهُ
بُلينا بذي نَشَبٍ سائلٍ قليلِ الجَدَا في أوَانِ الدَعَه
إذا ناله الخَيْرُ لم تَرَجُهُ وإن صَفَعوه صَفَعْنَا معه

وأُشدني بعض فضلاء مصر لابن الحباب :

سيوفُكَ لا يُقَلُّ لها غِرارٌ^(٥) فنومُ المارقين بها غِرارٌ^(٦)
يُجَرِّدُها إذا أُخْرِجَت سَخَطٌ على قومٍ ويُغَمِّدُها اغتفارٌ
طَرِيدُكَ^(٧) لا يفوتُكَ منه تارٌ وخصمك لا يُقالُ له عِثارٌ
وفيما نلتَه من كلِّ باغٍ لمن ناواك — نوعَل — اعتبارٌ
فمرُّ يا صالحِ الأُملاكِ^(٨) فينا بما تختارُه ، فَلكَ الخيارُ
فقد شَفَعَتِ إلى ما تَبْتَغِيهِ لك الأقدارُ والفلكُ المَدَارُ

(١) في الأصل : تار .

(٢) الأمير مرهف : هو مرهف بن أسامة بن منقذ وقد تقدم التعريف بأبيه ، وهما من

أعيان شيزر .

(٣) في الأصل : الجليس .

(٤) زيادة يدل عليها الكلام في ابن خلكان إذ يقول : كان الوفي يوسف بن الحلال على ديوان الإنشاء في أواخر العصر الفاطمي ، وكان يعاونه القاضي الجليس والرشيد بن الزبير وهو ابن أخته ، ويستطرد ابن خلكان فيقول : إن ابن الحباب كان حصل له بسبب نكبة ابن الحلال صداع ، فنظم هذه الأبيات .

(٥) الفرار : حد السيف . (٦) الفرار : النوم القليل .

(٧) في الأصل : طريد .

(٨) يريد طلوع بن زريك وكان يلقب بالملك الصالح ، فهذه الأبيات في مديحه .

/ولو نوتِ النجومُ له خِلافاً هَوَتْ في الجوى [يذروها^(١)] أنتشارُ [١ ط]

ومنها :

عدلتَ وقد قَسَمْتَ وكم ملوكٍ أرادوا العدلَ في قَسَمٍ فجاروا
ففي يدِ جاحدِ الإحسانِ غُلٌّ وفي يدِ حامدِ النعمى سِوار
لقد طَمَحَتْ بطرخان^(٢) أمانٍ له ومثله فيها بوار
وحاول خِطَّةً فيها شماسٌ على أمثاله وبها نِفار
هل الحسبُ الفتى بمستقلٍّ إذا ما عزَّه الحسبِ النضار
أتيتك بجائنٍ قدامه سعيًا كما يسعَى إلى الأسدِ الحمار
وشان قرينَه لما أتاه كما قد شان أسرته قُدار^(٣)

١٠ وأنشدني بمصر ولده القاضي الأشرفُ أبو البركات عبد القوى لوالده الجليس
من قطعةٍ كتبها إلى ابن رزيك في مرضه يشكو طبيبًا يقال له ابن السيد^(٤)
على سبيل المداعبة :

١٥ وأصلُ بليتي من قد غزاني من السقمِ المِلحِ بعَسْكَرَيْنِ
طبيبِ طِبُّهُ كغرابِ بين يفرِّقُ بين عافيتي وبينى
أنى الحمى وقد شاخَتْ وباخَتْ فردَّ لها^(٥) الشبابِ بنسختين
ودبَّرَها بتدبيرٍ لطيفٍ حكاهُ عن سنان^(٦) أو حنين^(٧)

(١) بياض بالأصل

(٢) هو طرخان بن سليط والى الإسكندرية ثار على طلائع جرد له جيشا بقيادة الأمير
أبي المهندس حسام بن مبارك العقيلي الذي مرت ترجمته ، ففضى عليه (انظر النكت المصرية ص ٧٣ ،
١١١ ، ١١٣ ، ٣٣١) إذ انتهت ثورته بصلبه . (٣) قدار بن سالف عاقر ناقة صالح .
(٤) في الأصل هكذا : ابن سره . وابن السيد كان طبيب الحنفاء الفاطميين وعاش
بعدهم طويلا حتى توفي سنة ٥٩٢ هـ .

(٥) في الغرب : فألبسها ، وفي الفرات : فعاد لها .

(٦) هو سنان بن ثابت بن قره . (٧) هو حنين بن إسحق .

وكانت نوبةً في كلِّ يومٍ فصيرها بِحَدِّقِ نوبَتين
/ وأنشدني أيضاً لوالده في مدح طيب :

[٣٣٢]

يا وارثاً عن أبٍ وجدِّ فضيلةَ الطبِّ والسدادِ
وكاملاً ردَّ كلِّ نفسٍ هَمَّتْ^(١) عن الجسمِ بالبعادِ
أقسمُ أن لو^(٢) طبيتَ دهرًا لعادَ كونًا بلا فسادِ .

ورأيتُ من كلامه في خطبة ديوان الصالح بن رزيك : هو الوزير الكافي
والوزيرُ الكافل ، والمالكُ الذي تُلقَى بذكره الكتابُ ، وتهزم باسمه الجحافل ،
ومن جدَّدَ رسومَ المملكة ، وقد كاد يخفيها دثورها ، وعاد به إليها ضياؤها ونورها :

وقد خَفَيْتُ من قبله معجزاتها فأظهرها حتى أقرَّ كَفُورُهَا^(٣)
أعدتَ إلى جسمِ الوزارةِ روحَهُ وما كان يُرْجَى بعثها ونشورها
أقامتُ زمانًا عند غيرك طامناً وهذا أوانُ قرنها وطهورها
من العدلِ أن يحيا بها مُستَحِقُّها ويخلمها مردودةٌ مُستَعِيرها
إذا خطبَ الحسناء من ليس أهلها أشارَ عليه بالطلاقِ مُشيرها

فقد نشرت أيامه مطويَّ الهمم ، وأنشرت رفات الجودِ والكرم ، ونفقتُ
بدولته سوقُ الآداب بعد ما كسدت ، وهبَّت ریحُ الفضلِ بعد ما ركدت . ١٥
إذا لهاً الملوكُ بالقيان والمعارف ، كان لهوهُ بالعلوم والمعارف ، وإن عَمَرُوا أوقاتهم
بالخمرِ والقمرِ^(٤) ، كانت أوقاته معمورةً بالنهي والأمر :

(١) هكذا في القوات ، وفي الأصل : سمت .

(٢) في القوات : لو قد بدلا من : أن لو .

(٣) في الروضتين ١ / ١٤٢ أن هذه الأبيات تمثل بها الجليس ومي لصردر في ديوانه
من قصيدة يمدح بها وزير الخليفة ببغداد نجر الدولة أبا نصر محمد بن محمد بن جهير ويهينه بمودته
إلى الوزارة .

(٤) القمر : القمار .

مليكٌ، إِذَا أَلْهَى الْمَلُوكَ عَنِ اللَّهَِا
 / ولم تُنْسِه الأوتادَ أوتارَ قَيْنَةٍ
 [٣٢ظ] مُخَارٌ، وَخَمْرٌ، هَاجَرَ الدَّلَّ وَالدَّنَّا
 إِذَا مَا دَعَاهُ السِّيفُ لَمْ يَبْنِهِ الْمُنَى
 لظنَّ من استصغاره أَنه ضَنَّ
 إِذَا مَنْ لَمْ يُتْبِعْ مَوَاهِبُهُ مَنَّا
 لَبُوسٌ إِلَى حَاجَاتِهِ الضَّرْبَ وَالطَّعْنَ
 وَلَا عَيْبَ فِي إِنْعَامِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
 وَلَا طَعْنَ فِي إِقْدَائِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
 لِاشْكَّ أَنَّ هَذِهِ الأَيَاتِ لغيره .

ومن آياته في الغزل :

رَبِّ بِيضٍ سَلَلْنَ بِاللَّحْظِ بِيضًا
 وَخُدُودٍ لِلدَّمْعِ فِيهَا خُدُودٌ^(١)
 مرهفاتٍ جفونهنَّ الجفونُ
 وعيونٌ قد فاض منها عيونُ

١٠ وله :

تُرَى أَخْلَسْتُ فِيهِ الْفَلَاحَ بَعْضَ رِيَّاهَا
 أَلَمْتُ بِنَا^(٢) وَاللَّيْلُ يُزْهِى بِلَمَّةِ
 فَأَشْرَقَ ضَوْؤُهُ الصَّبْحِ وَهُوَ جِينِهَا
 إِذَا مَا اجْتَنْتُ مِنْ وَجْهِهَا العَيْنُ رَوْضَةً
 وَإِنِّي لِأَسْتَسْقِي السَّحَابَ لِرَبْعِهَا
 إِذَا اسْتَعْرْتُ نَارَ الأَمْسِ بَيْنَ أَضْلَعِي
 وَمَابِي^(٤) أَنْ يَصَلِّيَ الفُؤَادُ بِمَجْرَهَا
 قَنَاتَ فَتَيْتِ الْمَسْكِ نَشْرُ خَزَامَاهَا
 دَجُوجِيَّةٍ لَمْ يَكْتَحِلْ بَعْدُ فَوْدَاهَا
 وَفَاحَتْ أَزَاهِيرُ الرُّبَا وَهِيَ رِيَّاهَا
 سَفَّحَتْ^(٣) خِلَالَ الرُّوضِ بِالدَّمْعِ أَمْوَاهَا
 وَإِن لَمْ تَكُنْ إِلَّا ضُلُوعِي مَأْوَاهَا
 نَضَحْتُ عَلَى حَرِّ الحِشَا بَرْدَ ذِكْرَاهَا
 وَيُضْرَمَ لَوْلَا^(٥) أَنْ فِي القَلْبِ مَأْوَاهَا^(٦)

(١) الحدود : الشقوق .

(٢) هكذا في المغرب والقوات ، وفي الأصل : بها .

(٣) في المغرب والقوات : أسالت .

(٤) هكذا في المغرب والقوات ، وفي الأصل : لي .

(٥) هكذا في المغرب وفي الأصل : إلا .

(٦) في المغرب : مثواها وفي القوات : سكنها .

وله في غلام تركي :

ظبيٌ من الأتراكِ أجفانهُ
تسطو على الراحِ والنابلِ
سيان منه إن رمى أو رنأ
ليس من السهمين من وائل^(١)
يفرُّ منه القِرْنُ خوفاً كما
يفرُّ ظبيُّ القاعِ من حابلِ
ياويحُ أعدائك ما هالهمُ
من غُصْنٍ فوقَ نقاً هائلِ
لا تفرّقوا صَوْلَةَ نَشَابِهِ
فربَّ سَهْمٍ ليس بالقاتلِ
وحاذروا أسهمَ أجفانه
فسحرُ ذا النابلِ من بابلِ

وله في النرجس :

وفدَّ الربيعُ على العيونِ بنرجسٍ
يحكى العيونَ فمَدَّ حباها نَفْسَهَا
علقتُ على استحسانِهِ أَبْصَارُنَا
شغفًا إذِ الأشياءِ تعشقُ جنسَهَا
يُباهي ويؤنسُ مَنْ جفاهُ خليلُهُ
كم مِنِّةٍ في أنسِهِ لم أنسَهَا
فارضِ الرياضِ بزورَةٍ تلهو بها
واحثُ على حَدَقِ الحدائقِ عَكْسَهَا^(٢)

وله :

زارَ وجنحَ الليلِ مُحلِّولِكُ
داجِ فحْيَاهُ مُحْيِيَاهُ
مُلْتَمِئًا يُبْدِيهِ لِأَلَاؤُهُ
والبدرُ لا يكتُمُ مَسْرَاهُ
نَمَّ عليه طيبُ أنْفَاسِهِ
كما وَشَى بالمِسْكِ رِيَاهُ

وله :

قد طُرِّزَتْ وَجَنَانُهُ بِعَذَابِهِ
فكسَاهُ^(٣) رَوْضُ الحُزْنِ مِنْ أَزْهَارِهِ

(١) وائل : مخاص وعاصم .

(٢) يحكي شعراء العرب دائماً إلى جمال روض الحزن وثقوقه على روض السهل ، ولهذا

اختار هنا روض الحزن .

وتَأَلَّقَتْ أَضْدَادَهُ فِالمَاءِ فِي خَدَيْهِ لَا يُطْفِئُ تَلْهَبَ نَارِهِ
/ وَحَكِيئَتُهُ فَنَدَامِي تَهْمِي عَلَى نَارِ الحَشَا وَتَزِيدُ فِي اسْتِعَارِهِ [ط٣٣]

ومنها:

وَإِذَا بَدَأَ فَالْقَلْبُ مَشغُولٌ بِهِ وَإِذَا انْتَهَى فَالطَّرْفُ فِي آثَارِهِ
فَتَمِي أَعَانُ عَلَى هَوَاهُ بِنَصْرَةِ وَجَوَانِحِي لِلْحَيْنِ مِنْ أَنْصَارِهِ

وله من قصيدة :

وَكَمْ طَامَحِ الأَمَالِ هَمَّ فَقَصَّرَتْ وَظَنَّ بَانَ البُخْلِ أَبْقَى لَوْفِرِهِ
ظَهَرَتْ فَكَنْتَ الشَّمْسَ جَلِي ضِيَاؤُهَا عُلُوبٌ كَمَا تَعَالَوْ ، وَأَشْرَقَتْ مِثْلَمَا
وَهَنَّتِ الأَعْيَادُ مِنْكَ بِمَاجِدٍ تَوَالَتْ بَدَارٌ تَعْتَفِيكَ كَأَنَّمَا (١)
وَكَانَ لَهَا الأَضْحَى إِمَامًا أَمَامَهَا وَكَمْ هَمٌّ أَنْ يَعْدُو مِرَارًا فَرُعْتَهُ
أَبِي اللّٰهِ فِي عَصْرِ تَكُونُ عَمِيدَهُ فَجَاءَكَ هَذَا سَابِقٌ جَالٌ بَعْدَهُ
وَأَعْتَبَهُ عَيْدُ الغَدِيرِ (٢) فَلَمْ نَخْلُ إِقْرَابَ التَّنَادِي أَنْ بَيْنَهُمَا فَرَقًا

خُطَاهُ بِهِ إِنْ العَلَا صَعْبَةُ المَرْقِي وَلَوْ أَنَّهُ يَدْرِي لَكَانَ النَّدَى أَبْقَى
حَنَادَسَ شِرْكٍ كَانَ قَدْ طَبَّقَ الأَقْقَا تَضِيءُ ، وَنَرْجُو أَنْ سَتَبْقَى كَمَا تَبْقَى
تَبَاهَتْ بِهِ العَالِيَا ، وَهَامَتْ بِهِ عِشْقَا تَرَى الفَجْرَ فِي لُقْيَاكَ يَا خَيْرَ مَنْ يُبْلَقَى
تَرُومُ لِفِرطِ الشُّوقِ أَنْ تُحْرَزَ السَّبْقَا فَارْهَقَهُ النُّورُوزُ (٣) يَمْنَعُهُ الرِّقَا
فَأَبْقَى ، وَلَوْلَا فَرَقٌ بِأَسِكَ مَا أَبْقَى وَسَائِسُهُ أَنْ يَسْبِقَ البَاطِلُ الحَقَّا
مُصَلِّ وَكَانَا لِلذِي تَبْتَنِي وَفَقَّا إِقْرَابَ التَّنَادِي أَنْ بَيْنَهُمَا فَرَقًا

(١) في الأصل : كلما .

(٢) النوروز : أول يوم في السنة القبطية وكانت تعطل في الأسواق وتفرق فيه الكسوة لرجال الدولة والرسوم من المال وحوامج النوروز (خطط القرزى طبع بولاق ١ / ٤٩٣)
(٣) : كان فيه تزويج الأيادي وفيه الكسوة وتفريق الهبات وعتق الرقاب وغير ذلك ، وهو من أعياد القبط المهمة ، وكان الفاطميون يحتفلون به احتفالا مشهوداً (خطط ١ / ٤٩٢)

وقوله :

[٣٤و] / خُذْهَا إِلَيْكَ بِمَاءِ الطَّبْعِ قَدْ شَرِقَتْ
 جَوَالَّةٌ بِنَوَاحِي الْأَرْضِ مُمَعِنَةٌ
 أَلْفَاظُهَا الدُّرُّ تَحْقِيقًا وَمَنْ عَجَبٍ
 لَوْ مَازَجَ الْبَحْرَ مِنْهَا لَفِظَةٌ عَذْبًا
 فِي السَّبْرِ لَا تَشْتَكِي أَيْنًا وَلَا نَصَبًا
 تُتَمَلَّى (١) عَلَى الْبَحْرِ دَرَّ الْبَحْرُ مُجْتَلِبًا
 وَقَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةِ أَوْلَاهَا :

دَعِ الْبَيْنَ تَحْدُونَا حَثَاثُ رِكَابِهِ
 سَارِكِبُ ظَهَرَ الْعِزْمِ أَوْ أَرْجَعَ الْمَنَى
 فَإِنَّمَا حَيَاةٌ يَسْحَبُ الْمَرْءُ فَوْقَهَا
 وَإِنَّمَا مَمَاتٌ فِي الْعُلَا يَتْرِكُ الْفَتَى
 فغَيْرِي مِنْ يَشْجُوهُ صَوْتُ غَرَابِهِ
 بَرَجْمَةٌ مَوْفُورِ الرَّجَاءِ مُتَابِهِ
 ذِيوَلِ الْغَنَى وَالْعِزِّ بَيْنَ صَحَابِهِ
 يُقَالُ أَلَا لِلَّهِ دَرٌّ مَصَابِهِ

ومنها :

وَأُرْوَعٌ يَشْكُو الْجُودَ طَوْلَ ثَوَائِهِ
 تَصَدُّ الْمَلُوكُ الصَّيْدُ عَنْ قَصْدِ أَرْضِهِ
 وَيَعْطِفُهَا مِيلَ الرِّقَابِ مَهَابَةً
 وَأَغْزَوْ بِأَبْكَارِ الْقَصَائِدِ وَفَرَهُ
 لَدَيْهِ ، وَيَشْكُو الْمَالَ طَوْلَ اغْتِرَابِهِ
 فَيَرْجِمُهَا مَحْرُوبَةً (٢) بِحِرَابِهِ
 وَلَمْ تَكْتَحِلْ أَجْفَانُهُ بِتَرَابِهِ
 فَأَرْجَعُ قَدْ فَازَتْ يَدِي بِنَهَابِهِ

وقوله :

أَمَّا وَجِيادِكَ الْجُرْدِ الْعَوَادِي
 رَأَوْا أَنَّ الصَّعِيدَ لَهُمْ مَالِذٌ
 / وَرَأَوْا مِنْ يَدَيْكَ قِرَى عَتِيدًا
 لَقَدْ شَقِيَتْ بِعِزْمَتِكَ الْأَعَادِي
 فَلَمْ يُحْمِ الصَّعِيدُ مِنَ الصَّعَادِ (٣)
 فَأَهْدَيْتَ الْحُتُوفَ عَلَى الْهُوَادِي [٣٤ظ]

(١) فِي الْأَصْلِ : عَلَى .

(٢) مَحْرُوبَةٌ : مَسْلُوبَةٌ .

(٣) الصَّعَادُ : جَمْعُ صَعْدَةٍ ، وَهِيَ الْقَنَاةُ الْمَسْتَوِيَّةُ .

وقوله وقد جمع ثمان تشبيهات في بيت واحد :

بدا وأرانا منظراً جامعاً لِمَا تفرَّقَ من حُسْنٍ على الخلق مُونِقَا
أَقاحاً وراحاً تحت وردٍ ورجسٍ وليلاً وصُبْحاً فوق غصن على نقَا

وقوله يصف الخمر :

معتقةٌ قد طالَ في الدنِّ حَبْسُهَا ولم يدعُها شُرَّابُهَا بنتَ عامِهَا
وقد أشبهت نازَ الخليلِ لأنَّهَا حكمتها لنا في برِّدِهَا وسَلَامِهَا
وذ كر ابنُ الزبير في كتابه أنه كتَبَ إليه مع طيبٍ أهداه :

بعثتُ عِشاءً إلى سَيدي بما هو من خُلُقِهِ مُقْتَبَسٌ
هديةً كلَّ صحیحِ الإخاءِ جرى منه وُدُّكَ مجرى النَّفسِ
فَجَدُّ بِالْقَبُولِ وَأَيُّنُ بَأَنَّ لَفَرَطِ الحِياةِ أَتَتْ في الغَلَسِ

وله يصف خيلاً :

جنائبٌ^(١) : إن قِيدَتْ فأسُدُّ ، وإن عَدَتْ

بأبطالها فهى الصَّـبَا والجنائبُ
أثارتُ بأكنافِ المصَلَّى عِجاجةً دَجَتْ وَبَدَتْ للبيضِ منها كواكبُ

وله يهجو :

وكم في زبيدٍ^(٢) من فقيهه مُصدَّرٍ وفي صدره بحرٌ من الجهل مُزْبِدُ
إذا ذابَ جسمي من حرُّورِ بلادكم عَلِقْتُ على أشعاركم أَتَبَرَّدُ

وله يصف معركة :

/ تكادُ من النعمِ المثارِ كَمَاتُهَا تنَاكُرُ أحياناً وإن قَرَبَ النَّحْرُ [٣٥]

(١) الجنائب : الخيل ، وأيضاً : الرياح الجنوبية .

(٢) مدينة باليمن أحدثت في أيام المأمون ، ولعل في هذا ما يدل على ما قلناه في التعريف به من أنه زار اليمن .

عجاجٌ يظلُّ الملتقى منه في دُجَى وإن لَمَعَتْ أسيافُه طَلَعَ الفجر
وخيل يلف النشْرَ بالتربِ عَدُوها وقتلَى يعافُ الأكلَ من هامِها النسر
ومن شعره يرثى بعض أهله :

ما كان مِثْلَكَ من تغتالهُ الغَيْرُ لو كان يَنْفَعُ من ضَرْبِ الرَدَى الحَذَرُ

ومنها :

قد أعلن الدهرُ ، لكن غالنا صَمَمُ عنه ، وأنذرنا ، لو أغنتِ النُذْرُ
يُفْرُنا أَمَلُ الدنيا ويخدعنا إن الفُرورَ بأطماعِ المني غَرَرُ

ومنها :

قد كان أنفَسَ ما ضنَّتُ يداهُ بهِ لو كان يعلمُ ما يأتي وما يَذَرُ
أغالبُ القولَ مجهودًا وأيسرُ ما لَقِيتهُ من أذاه العيُّ والحَصْرُ
وقال يرثى أباه ، ومات غريقا في البحر لريح عصفت :

وكنْتُ^(١) أهدى مع الريح السلامَ لهُ ما هبت الريحُ في صُبْحِ وإمساء
إحدى ثقاتي عليه كنتُ أحسبُها ولم أخَلُ أنها من بعضِ أعدائِي

ومن شعره في العتاب والاستبطاء والشكوى قوله :

كم من غريبةِ حكمةٍ زارتكَ من فكري فما أحسنتَ قطُّ ثوابها
جاءتكَ ما طرقتُ وفودُ جمالها أَلْأَسْماعِ إلا فُتحتَ أبوابها
/ فتمنَّيتُ إيجابًا فحين هممتَ أن تحبُو سويداءَ الفؤادِ صوابها
واقنَّكَ من حسدٍ وساسُ حكمةٍ جعلت لعينك كالشيبِ شبابها
فثنَّيتَ طرفَكَ خاشيًّا لزاهدًا ورددتها تشكو إلى ما بها

[٣٥]

(١) في المغرب : قد كنت .

وَأَرَاكَ كَالْعَيْنِ مَّ بَكَابٍ بِكْرِ وَأَعْجَزَهُ النَّكَاحُ فَعَابَهَا
وله في الغزل:

أَشَجَّعُ النَّفْسَ عَلَى حَرْبِكُمْ تَقَاضِيًا وَالسَّلْمُ يَزْوِيهَا
أَسُومَهَا الصَّبْرَ وَالْحَاطِظُكُمْ قَدْ جَعَلْتَهَا مِنْ مَرَامِيهَا
وَكَيْفَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَسْهُمٍ نَصَّالَهَا بِالْجَمْرِ رَامِيهَا

١٩ - القاضي الرشيد أحمد بن علي بن الرشيد*

من أهل أسوان الساكن بمصر

كان ذا علمٍ غزيرٍ ، وفضلٍ كثيرٍ . أنشدني الأمير نجم الدين بن مصال بن
سليم بن مصال له ، ونحن في الحميم الملكى الناصرى بظاهر بعلبك في ثانى رمضان
سنة سبعين وخمسة ، من قصيدة :

إِذَا مَا نَبَتَ بِالْحَرِّ دَارٌ يَوَدُّهَا . ولم يرتحل عنها فليس بذي حزمٍ
وَهَبْتُ بِهَا صَبًّا أَلَمْ يَدْرِ أَنَّهَا^(١) سَيَزِعُجُهْ مِنْهَا الْحِمَامُ عَلَى رَغْمٍ

(*) من أسرة أسوانية اشتهرت بالعلم والشعر ، ولد بأسوان وهاجر منها إلى مصر
فاتصل بملوكها ومدح وزراها وتقدم عندهم ، وأنقذه الخليفة الحافظ إلى اليمن داعياً له سنة
تسع وثلاثين وخمسة ، ويقال إنه حاول أن يدعو لنفسه بالخلافة هناك فضربت له السكة ، ثم
قبض عليه وأرسل إلى مصر فعفى عنه . وكان من أفراد الدهر فضلاً في فنون كثيرة من العلوم
وله رسالة (منية الأملى وبلغة المدعى) ومي مطبوعة وتدل على معرفته بالفقه والنحو واللغة والأنساب
والمنطق والهيئة والموسيقى والطب . وكان إلى ذلك شاعراً متمعاً ، وهو ابن أخت الموفق بن
الحلال كبير كتاب ديوان الإنشاء الفاطمى كما مر ، ولعل ذلك سبب العفو عنه . وقد تقدم في
عهد طلحة ابن رزيك ، وولى النظر بئر الإسكندرية في الدواوين السلطانية سنة تسع وخمسين
 وخمسة ، وقتله شاور سنة اثنتين وستين (وفى ابن خلكان سنة ثلاث وستين) ظلماً ليله
لأسد الدين شيركوه . انظر ترجمته في معجم الأدياء لياقوت ٤ / ٥١ . وابن خلكان (طبع
ديسلان) ١ / ٧٥ . والطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد طبع المطبعة الجلمالية
بمصر ص ٤٧ وشذرات الذهب ٤ / ١٩٧ و ٤ / ٢٠٣ ومعجم السلفى (نسخة مصورة بدار
الكتب المصرية) الورقة ٢٢ .

(١) فى الطالع السعيد وابن خلكان : أنه .

ولولا الأجل الكامل المَلِكُ أَرْقَلْتُ^(١) بَنِي الْعَيْسُ فِي الْبَيْدَاءِ وَالسَّفْنُ فِي الْيَمِّ
[٣٦ و] ولم تكن الدنيا تضيقُ على فتى يرى الموتَ خيراً من مقامٍ على هَضْمِ

لم يعمل بشعره ، ولم يرحل من ضُرِّه ، وهذا ممدوحه الكاملُ ولد شاوور
الذي لم ينجُ من شره ، فإن شاوورَ قتله صبراً في سنة اثنتين وستين ونَسَبَ إليه
أنه شارك أسدَ الدين شيركوه في قصده ، فكافأه مكافأة التماسح وجعل قتله له
مقام رفدِه .

وله الرسالةُ التي أودَعَهَا من كلِّ علم مُشْكَلَه ، ومن كلِّ فنٍّ أفضَلَه .
ذَكَرَهُ لِي مُحَمَّدُ^(٢) بَنُ عَيْسَى الْيَمِينِي بِيَعْدَادِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَقَالَ : وَفَدَا لِي رَسُولاً
وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ قَالَ : وَهُوَ أَسْتَاذِي فِي عِلْمِ الْهِنْدَسَةِ . وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِالْيَمِينِ :

١٠ لئن خاب ظني في رجائك بعدما ظننتُ بأني قد ظفرتُ بِنَمِصْفِ
فإنك قد قلدتني كلَّ مِنَّةٍ ملكتَ بها شُكْرِي لَدَى كُلِّ مَوْقِفِ
لأنك قد حذرتني كلَّ صاحبٍ وأعلمتني أن ليسَ في الأرضِ من يبي

وَأَنْشَدَنِي الشَّرِيفُ إِدْرِيسُ الْإِدْرِيسِيُّ الْحَسَنِيُّ بِدِمَشْقِ سَنَةِ إِحْدَى
وَسَبْعِينَ لِلْقَاضِي الرَّشِيدِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي مَدْحِ الصَّالِحِ بْنِ رَزِيكٍ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوْلَهَا :

١٥ ما للغصون تميذُ سكرًا هل سُمَّيْتُ بِالْمُزْنِ خَمْرًا

منها في المدح :

/ جَارِي الْمُلُوكِ إِلَى الْعَلَا لَكُنْهُمْ نَامُوا وَأَسْرَى [٣٦ ظ]

(١) أرقلت : أسرعت ، والكامل المذكور في البيت هو الكامل شجاع بن شاوور وقد
قتله العاضد بعد قتل والده سنة ٥٦٤ هـ .
(٢) في النكت المصرية لعامة اليمنى ص ٥٦٦ : ورد بعداد في سنة خمسين وخمسة ،
وهو فاضل مهندس ، لكن له طبع شرس ، . وترجم له العاد في الحريرة ، القسم الخاص باليمن .

سائلٌ به عَصَبَ النَّفْسِ قِ غَدَاةَ كَانَ الْأَمْرُ إِمْرًا^(١)
أَيَّامَ أَحْضَى الْتَكْرُ مَعْرُوفًا وَأَمْسَى الْعُرْفُ نَكْرًا

ومنها :

قَسِمًا بَمَنْ طَافَ الْحَجِيجُ بَيْتَهُ شُفْنَا وَغُبْرًا
لَوْلَا طَلَاعُ لَمْ نَكُنْ نَرْجُو لَمِيتِ الدِّينِ نَشْرًا

وأنشدني ابن اخته القاضي محمد بن القاضي محمد بن إبراهيم المعروف بابن الداعي من أسوان وقد وفدت إلى دمشق سنة إحدى وسبعين قال : أنشدني خالي الرشيدُ ابن الزبير لنفسه من قصيدة :

تَوَاصَى عَلَى ظَلَمِي الْأَنَامُ بِأَسْرِهِمْ وَأَظْلَمَ مِنْ لَاقِيَتْ أَهْلِي وَجِيرَانِي
لِكُلِّ امْرَأِي شَيْطَانٌ جِنَّ يَكِيدُهُ بِسُوءِ وَلِي دُونَ الْوَرَى أَلْفُ شَيْطَانِ

وقد صَنَّفَ كِتَابَ جَنَّانِ^(٢) الْجَنَّانِ وَرِيَاضَ الْأَذْهَانِ ، وَذِيلَ بِهِ الْيَتِيمَةَ ، وَطَالَعْتُ مِنْهُ جِزْءًا ، ذَكَرَ فِيهِ شَعْرًا .

٢٠ - وَلِدُهُ عَلِيٌّ * بِنِ أَحْمَدَ بْنِ الزَّبِيرِ

رَأَيْتَهُ فِي الْحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ^(٣) فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ وَقَدْ وَقَفَ يَنْشُدُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ قَصِيدَةً قَدْ أَخَذَهَا لِقَصْدِهِ ذَرِيعَةً / وَجَرَّ بِهَا وَفُودَ النَّجْحِ [٣٧ و]

(١) إمرا : شديداً أو عصبياً وفي القرآن الكريم « لقد جئت شيئاً إمرا » .
(٢) سينقل المؤلف كثيراً عن هذا الكتاب ، وهو من أهم الكتب التي ألفت عن الشعر المصري في العصر الفاطمي واعتمد عليه العماد في الحريدة ، وابن سعيد في المغرب ، وكل من كتبوا من السابقين عن شعراء هذا العصر .
(*) ذكره الإدقوي في الطالع السعيد ص ١٩٧ ولم يزد في ترجمته عما ذكره العماد .
(٣) في الأصل : السلطان .

إلى آماله في تلك الشريعة شريعة ، وكشفتُ بحواره حُوارَ^(١) أدبه ، وفصمت
بممراره سِوارَ أربه ، فما أحاطت معرفتي له بمعرفة ، ولا حصل لي من قدر قدره
مَرَقُ رَمَقٍ في مِغْرَقَةٍ . لكنني لكونه ولدَ ذاك الكبير ، أوردت من القصيدة
التي أحضرها أبياتاً تناسب عَزَفَ العبير .

مطلعها :

شَيْدَتَ بِالْبَيْضِ وَالْعَسَالَةِ الذُّبُلِ مجدداً أنافَ على النَّسْرَيْنِ وَالْحَمَلِ^(٢)

ومنها :

تَخْضَرُ^(٣) أكنافَ أرضٍ إن نَزَلَتْ وإن نازلتَ تَحْمَرُ^(٤) أرضُ السهلِ والجبلِ
مازالتُ أفرى دجى ليلِ التمامِ سُرَى ونورُ وجهك يَهْدِينِي إلى السُّبُلِ
بكل مهميةٍ يبكي الغمامُ بها خوفاً ويخفق قلبُ البرقِ من وَجَلِ
تخشى الرياحُ الدواري^(٥) من مهالكها فما تهبُّ بها إلا على مهلِ
حتى أَنْحَتُ المطايا في ذرى مَلِكِ يبشِّرُ النجحِ في تأمِله أُمَلِ

ومنها :

خدمتكم ليكونَ الدهرُ من خَدَمِي فما أَحَالَهُ عن حالاته الأَوَّلِ
إن لم تَكُنْ بكمُ حالي مُبَدَّلَةً فما انتفاعي بعلمِ الحالِ والبَدَلِ^(٦)

- (١) في الأصل : عوار ، والحوار : التناج .
(٢) النسران : كوكبان والحمل : برج في السماء .
(٣) هكذا في الطالع السعيد وفي الأصل : مخضر .
(٤) هكذا في الطالع السعيد وفي الأصل : عمر .
(٥) هكذا في الطالع السعيد وفي الأصل : الدراري .
(٦) تصنع لاصطلاحات نحوية .

٣١ - المهذب أبو محمد الحسن *

ابن علي بن الزبير

/ هو أخو الرشيد ، مُحَكَّمُ الشعر كالبناء المشيد ، وهو أشعرُ من أخيه ، وأعرف [٣٧ظ]
بصناعته وإحكام معانيه . توفي قبل أخيه بسنة ، لم يكن في زمانه أشعر منه أحد
وله شعر كثير ، ومحلُّه في الفضل أثير . أنشدني له نجم الدين بن مصال بيبطبك
في رمضان سنة سبعين من قصيدة في الصالح بن رزيك يعرضُ بشاعره
المعروف بالمفيد^(١) :

لقد شكَّ طرفي والركائبُ جَنَحُ أنت^(٢) أم الشمسُ المنيرةُ أَمَلَحُ

ومنها في الغزل :

يَظَلُّ جَنَى العُتَابِ فِي صَحْنِ خَدِّهِ عن الوردِ ماءَ النرجسِ الغضِّ يَمَسَحُ ١٠

ومنها :

فياشاعراً قد قال ألفَ قصيدةٍ ولكنها من بيته ليس تَبْرَحُ
ليهنك - لا هُنَّتْ - أن قصائدي مع النجم تسرى أو مع الريح تَمْرَحُ

أنشدني زين الحاج أبو القاسم^(٣) قال: أرسلني نورُ الدين إلى مصر في زمان

(*) هو أخو الرشيد بن علي بن الزبير ، وقد اختس بطلائع بن رزيك ، ويقول ابن
خلكان في ترجمته لأخيه الرشيد : أول شعر قاله سنة ست وعشرين وخمسة ، وقال ياقوت
في ترجمته : صنف المهذب كتاب الأنساب وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلداً ، وهو غاية
في معناه ، وقال الإدقوي : له تفسير في خمسين مجلدة ، ويقول ابن خلكان : إن الرشيد أعلم منه
في سائر العلوم ، وقد دخل اليمن كما دخل أخوه . وحصل له من طلائع مال جم . توفي
سنة ٥٦١ هـ . انظر ترجمته في معجم الأدباء ٩ / ٤٧ وابن خلكان ١ / ٧٥ وفوات الوفيات
١٢٤ / ١ والطالع السعيد ص ١٠٠ والنكت العصرية ص ٣٥ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٤ .

(١) في الأصل هكذا : الفيد ، والمفيد هو ابن الصياد أحد شعراء طلائع وسيرتجم له
العماد فيما بعد .

(٢) في الأصل : لإيك .

(٣) يلقب بأمين الدين ، وكان متولى الديوان عند نور الدين .

الصلاح بن رزيك فلقيت المهذب بن الزبير فأنشدني لنفسه :

وشادنٍ ما مثله في الجنانِ قد فاق في الحسن جميع الحسانِ
لم أرَ إلا عينه جعبةً للسيف والنصلِ وحدَّ السنانِ

[٣٨] ووجدت في بعض الكتب له / من قصيدة في مدح الصالح طلائع بن رزيك بمصر:

وتلقى الدهرَ منه بليث غابِ غَدَتْ سمرُ الرماحِ له عَرِينَا ه
تخالُ سـيوفَه إِمَّا انتضاها جداولَ والرماحِ لها غصونا
وتحسبُ خيلَه عِقبانَ دَجِنِ يرُحِنَ مع الظلامِ ويغتدينا
إِذَا قَدَحَتْ بِمِجْحِ اللَّيْلِ أَوْرَتْ سَمًا يُعْشَى عيونَ الفاطرينا
وإن جَنَحَتْ مع الإصباحِ عَدُوًّا أَثَارَتْ للعجاجِ به دُجُونَا
كَأَنَّ الشَّمْسَ حينَ تُشِيرُ نَقَمًا تَحَاذِرُ من سِطَاهُ أن تِينَا ١٠
وما كُفِّتْ بِدورِ الأَفْقِ إِلَّا أَسَى إِذْ أَبْصَرْتُ مِنْهُ الجِينَا
وما اضطربت رماحُ الخطِّ إِلَّا مَخَافَةَ أن يُحَطِّمَهَا مُبِينَا (١)
وما تَنَدَّقُ يومَ الرُّوعِ حَتَّى يَدُقُّ بِهَا الكواهِلَ والمِتُونَا
عَجِبْتُ لِمَا تَصَافِحُ مِنْ يَدَيْهِ — وَتوصِفُ بِالظَّمَا — بِحَرِّ مَعِينَا
ويورِدُها ولا يُحْطِي بِرَأْيِ نِطَافًا من دروعِ الذارعِينَا ١٥
وهل يَشْفِي لَهَا أَبَدًا غَيلُ وَقَدْ شَرِبَتْ دِماءَ الكافِرِينَا
إِذَا لَقِيتُ عيونَ الرومِ زُرْقًا حَسِبْتُ نِصَالَهَا تلكَ العيونَا
وقائِعُ في المِداةِ له تَبَارَى صَنَائِعَ في العِفاةِ المِجْتَدِينَا
ولارغامُ به أبكى عيونًا وإِنعَامُ أَقَرَّ به عيونَا

(١) هكذا في الأصل وربما كانت معرفة عن : نينا أي جماعات .

[٣٣٨ظ]

وله فيه قصيدة :

أَقْصِرْ — فَذَيْتُكَ — عن لَوْحِي وعن عَدَلِي

أَوْ لَا فَخِذْ لِي أَمَانًا مِنْ يَدِ^(١) الْمَقْلِ
 مِنْ كُلِّ طَرْفٍ مَرِيضِ الْجَفْنِ تَنْشِدُنَا
 الْحَاظِلُ «رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ»^(٢) إِنْ كَانَ فِيهِ لَنَا وَهُوَ السَّقِيمُ شِفَاءً
 فَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ^(٣) إِنْ الذِّي فِي جَفْنِ الْبَيْضِ إِذْ نَظَرْتَ
 نَظِيرُ مَا فِي جَفْنِ الْبَيْضِ وَالْحِلَلِ^(٤) كَذَاكَ لَمْ يَشْتَبِهْ فِي الْقَوْلِ لَفْظُهُمَا
 إِلَّا كَمَا اشْتَبَهَا فِي الْفِعْلِ وَالْعَمَلِ
 جَسْمِي الَّذِي بَعْدَ بُعْدِ الظَّاعِنِينَ بِي
 عَجِبْتَ مِنْ طَلَلِي يَبْكِي عَلَى طَلَلِ
 قَمِيصَ يَوْسَفَ يَوْمًا قَدُّ مِنْ قُبُلِ
 وَكَلَّ بَيْضَاءَ لَوْ مَسَّتْ^(٥) أَنْامِلُهَا
 لِحُسْنِهَا فَلَهَا حَلِيٌّ مِنْ الْعَطَلِ^(٦) يُعْنَى عَنِ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَبْسَمُهَا^(٦)
 لَهَا عَلَى الْخَدِّ آثَارُ مِنْ الْقَبْلِ بِالْخَدِّ مِثْلَ آثَارِ الدَّمُوعِ كَمَا
 مِنْ عَزْمِهِ مَا بِهِ مِنْ حُمْرَةِ الْخَجَلِ
 زَهْوًا فَيَفْتِكُ بِالْأَسْيَافِ وَالِدَوْلِ
 غَمْدَ الدَّمَاءِ عَلَيْهِ هَامَةٌ الْبَطْلِ كَأَنَّ فِي سَيْفِ سَيْفِ الدِّينِ مِنْ خَجَلٍ
 رَأَيْتَ كَيْفَ اقْتَرَانُ الرِّزْقِ بِالْأَجْلِ هُوَ الْحَسَامُ الَّذِي يَسْمُو بِحَامِلِهِ
 إِذَا بَدَأَ عَارِيًّا مِنْ غَمْدِهِ خَلَقَتْ إِذَا بَدَأَ عَارِيًّا مِنْ غَمْدِهِ خَلَقَتْ
 وَإِنْ تَقَلَّدَ بَحْرًا مِنْ أَنْامِلِهِ وَإِنْ تَقَلَّدَ بَحْرًا مِنْ أَنْامِلِهِ

(١) في الفوات والطالع السعيد : ظبا .

(٢) رواية الشطر في الفوات : (يارب رام بنجد من بني ثعل) وهذا الشطر مضمون من

قصيدة لامرئيه القيس يقول فيها :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

وبنو ثعل طائون وهم مشهورون بمجودة الرمي .

(٣) تضمين لشطر من قصيدة للعتني وصدر البيت : لعل عتيك محمود عواقبه

(٤) في الطالع السعيد : والحلل ، والحلال : جمع خلة وهي جفن السيف ، أو بطانة مطرزة بالذهب

(٥) هكذا في الطالع السعيد وفي الأصل : أمست .

(٦) هكذا في الطالع السعيد وفي الأصل : لبستها .

من السيوف التي لاحت بوارقها في أنمُل هي سُحْبُ العارضِ الهَطلِ
فجاءنا لبني رُزْبِكَ مُعْجِزُهَا بآيةٍ لم تكن في الأَعْصِرِ الأوَّلِ
| تبدو شموساً هم أقمارها وترى شُهَبَ القَنَا في سماءِ النقع لم تَقُلْ^(١) [٣٩و]
قد غايَرتَ فيهمُ السمرَ الرقاقَ رقا

٥. قُ البِيضِ خَلْفَ سُجُوفِ النَّقَعِ فِي الكَلِّ
إن عانقوا هذه في يوم معركةٍ لاحت لهم بتلظى تلك كالشُعَلِ
وقد لقوا كلَّ من غاروا بمُشَبِّهِهِ حتى لقوا النُجْلَ عند العَرَضِ بالنُجْلِ^(٢)
وضارب الرومَ رومٌ من سيوفهم وطاعنَ العُربَ أعرابٌ من الأَسَلِ
وهزَمَ لصفيل الخليل تحت صفيل البِيضِ ماهزَمَ أعطافِ القَنَا الخَطِلِ^(٣)
١٠. فالدمُ حَمَرٌ وَأصواتُ الجِيادِ لهمُ أصواتُ مَعْبَدِ^(٤) في الأَهْزاجِ والرَّمَلِ
والخيلُ قد أَطْرَبَتْهَا — مثلما طربوا —

- أفعالهم ، فهي تمشي مِشْيَةَ الثَّيْلِ
من كل أجرد نختالٍ بفارسِهِ إلى الطَّعَانِ جريحِ الصَّدْرِ والكَفَلِ
وكلُّ سَلْهَبَةٍ^(٥) للريحِ نِسْبَتُهَا لكنها لو بَغَتْهَا الرِّيحُ لم تُنَلِ
١٥. أفارسَ الماسمين أسمع فلا سَمِعَتْ عِدَاكَ غيرَ صليلِ البِيضِ فِي القُلَلِ
مقالَ ناءٍ غريبِ الدارِ قد عدمَ الأَنْصارَ لولاك لم يَنْطِقْ ولم يَقُلْ
يشكو مصائبَ أيامٍ قد اتسعتُ فضاقتُ منها عليه أوسعُ^(٦) السُّبُلِ
يرجوك في دفعها بعد الإلهِ وقد يُرْجَى الجليلُ لدفعِ الحادثِ الجَلَلِ

(١) نفل : تأفل .

(٢) النجل : الأولى : العيون والثانية : الطعنات .

(٣) الخطل : من الخطل ، وهو الاضطراب والتحرك .

(٤) مغن مشهور في العصر الأموي .

(٥) السلهبة من الخيل : ما عظم وطال عظامه .

(٦) في الطالع السعيد : واسع .

وكيف ألقى من الأيام مرزونةً . جلت ولى من بنى رزيك كل ولى .
لولاهم كنت أفرى^(١) الحادثات ، إذا نابت ، بنهضة ماضى العزم مرّيجل ؟
وكيف أخلع ثوب الذلّ حيث كفيّل الحرّ بالعزّ وخد الأيتق^(٢) الدليل
/ فما تخاف الردى نفسى وم^(٣) رضيت بالعجز خوف الردى نفسى فلم تبيل [٣٩ظ]
إنى امرؤ قد قتلت^(٤) الدهر معرفةً فإ أبيت على يأس ولا أمل^(٥)
إن يرو ما الصباعودى فقد عجمت منى طروق الليالى عوداً مكتيل
تجاوزت بى مدى الأشياخ تجر بى قدماً وما جاوزت بى سنّ مقتيل
وأول العمر خير من أواخره وأين ضوء الضحى من ظلمة الأصل
دونى الذى ظنّ أنى دونه فله تماظم لينال الجدّ بالحيل
والبدر تعظم فى الأبصار صورته ظناً ويصغر فى الأفهام عن زحل
ما ضرّ شعري أنى ماسبت إلى (أجاب دعى وما الداعى سوى طلل^(٦))
فإن مدحى لسيف الدين تاه به زهواً على مدح سيف الدولة البطل
للشعراء المهذّبين المذهّبين المذهب ، على هذا الوزن المعجز المعجب ، قصائد ،
فرائد ، قلائد . وهذا مهذب مذهبهم إذ هو وحيد الفصر ، مجيد النظم والنثر .
واستعرت من الأمير عز الدين^(٧) حسام جزءاً فيه قصيدة بخط المهذب بن الزبير
مدح بها الصالح بن رزيك سنة ثلاث وخمسين وخمسة ويصف أسطوله ونصرته
فى البحر على الزوم :

(١) فى الطالع السعيد : أفى ، ومعنى أفرى . أقطع .

(٢) الوخذ للنوق : الإسراع وسعة الخطو .

(٣) فى الطالع السعيد : وقد . (٤) فى الطالع : بلغت .

(٥) فى الطالع : ملل .

(٦) هذا الشطر للمتنبى يقول ما ضر شعره أنه لم ينظم ما نظمه المتنبى كناية عن أنه

لا يقل عنه .

(٧) هو الأمير أبو المهند حسام بن مبارك بن قضاة العقيلي الذى ترجم له قبلا .

- [٤١ و]
- أَعْلِمْتَ حِينَ تَجَاوَرَ الْحِيَانِ أَنْ الْقُلُوبَ مَوَاقِدُ النَّيْرَانِ
 / وَعَرَفْتَ أَنَّ صَدُورَنَا قَدْ أَصْبَحَتْ فِي الْقَوْمِ وَهِيَ مَرَابِضُ الْغَزْلَانِ
 وَعَيُونُنَا عِيُوضَ الْعَيُونِ أَمَدَّهَا مَا غَادَرُوا فِيهَا مِنَ الْغُدْرَانِ
 مَا الْوَحْدُ هَزَّ قِيَابَهُمْ بَلْ هَزَّهَا قَلْبِي عَشِيَّةَ سَارٍ فِي الْأَطْعَانِ
- وبمهجتي قرأ إذا ما لاح للسرائي تضاءل دونه القمران
 قد بان للعشاق أن قوامه سرقت شمائله غصون البان
 وأراك غصناً في النعيم [تميل^(١)] إذ غصن الأراك يمد في نعمان^(٢)
 للرمح نصل واحد ولقدده من ناظره إذا رنا نضلان
 والسيف ليس له سوى جفن وقد أنحى لصارم طرفة جفنان
 ١٠ والسهم تكني القوس فيه وقد غدا من حاجبيه للحظه قوسان
 ولرب ليل خلت خاطف برقه ناراً تلعغ للدجى بدخان
 كالماثل الوسنان من طول الشرى جوزاؤه، والراقص السكران
 ما بان فيه من ثرياه سوى إجمامها والدال في الدبران^(٣)
 وترى الحجرة في النجوم كأنها تسقى الرياض بجدول ملآن
 لو لم يكن نهراً لما عامت به أبداً نجوم الحوت والسرطان
 نادمت فيه الفرقدين كأنني — دون الوري — وجذيمة أخوان^(٤)
 وترفعت همي فما أرضى سوى شهب الدجى عوضاً من الخللان
 وأنفت حين فجعت بالأحاب أن ألهو عن الإخوان بأخوان
 / واعترضت من جود الوزير مواهباً أسلت عن الأوطار والأوطان
- [٤١ ظ]

(١) ساقطة من الأصل وقد زدناها من الطالع السعيد .

(٢) نعمان : واد وراء عرفة .

(٣) الدبران : منزل للقمر .

(٤) قيل : كان جذيمة الأبرش ملك الحيرة لا ينادم إلا الفرقدين تكبراً عن منادمة الناس .

(١٤ — خريدة)

ومنها يحثه على قصد شام الفرج :

يا كاسرَ الأصنام قُمْ فانفض بنا
فالشامُ مُلكك قد ورثت تراثه
فإذا شككتَ بأنها أوطانهم
أزُرمتَ أن تتلو محاسنَ ذكركم
حتى تصيرَ مُكسّرَ الصُّلبان
عن قَوْمِك الماضين من غَسَّان
قدماً فسل عن حادثِ الجولان^(١)
فاسندُ روايتها إلى حَسَّان^(٢)

منها في وصف الزلزلة :

ما زلزلت أرضُ العدا بل ذلك ما
وأقولُ إنَّ حصونهم سجدتُ ليا
والناسُ أجدرُ بالسجود إذا غدا
وتقد بعثتَ إلى الفرج كتاباً
لَبسوا الدروع ولم نخلُ من قبلهم
وتيمموا أرضَ العدو بقرّة
عشرين يوماً في المغار وليلة
حتى إذا قطعوا الجفار^(٥) بحفيل
أغرقتهم بحمى العدا فجعلته
عجّلتَ في تلك العجول قراهم
بقلوبِ أهلها من الخفقان
أوتيت من مُلكٍ ومن سلطان
لَهلاكٍ يسجدُ شامخُ البنيان
كلاسدٍ حين تصولُ في خفان^(٣)
أنَّ للبحار تحلُّ في عُذرهم
جرداء خالية من السكان
يسرون تحت كواكب الخرصان^(٤)
هو في العديد ورملةُ سيان
بسطاك بعد العزِّ دارَ هوان
— وهم لك الضيفانُ — بالذيفان^(٦)

(١) اسم إقليم في شمال شرقي الأردن مقرون باسم العساسنة كما يقترن باسم فريتهم أو مدينتهم « جابية الجولان » وكان طلائع ينسب إلى العساسنة ومن هنا قال الشاعر ما قال .

(٢) هو حسان بن ثابت الذي اشتهر بمدحه للعساسنة قبل الإسلام وخاصة جيلة بن الأيهم .

(٣) خفان : مأسدة قرب الكوفة .

(٤) الخرصان : جمع خرص وهو الرمح .

(٥) الجفار : الفلاة بين العريش ومصر .

(٦) الذيفان : السم القاتل .

[٤٠ و] / لما أبوا ما في الجفان قرينهم
 وثلت في يوم العريش غروهم
 ألفتهم للبحر لما أن جرى
 مدح الوري بالبأس إذ خضبوا الظبا
 ولأنت تحضب كل بحر زاخري
 حتى ترى دمهم وخضرة مائه
 بصوارم سلّت من الأجفان
 بشبا ضراب صادق وطغان
 منه ومن دمهم معاً بحرّان
 في يوم حربهم من الأقران
 ممن تحارب بالنجيع القاني
 كشقائتي نثرت على الریحان

في وصف الأسطول :

وكان بحر الرّوم خلق وجهه
 ولقد أنى الأسطول حين غزا بما
 أحسب إلى بها شواني^(١) أصبحت
 شهن بالغبان في ألوانها
 أوقرتها^(٢) عدد القتال فقد عدت
 فأتتك موقرة بسبي بينه
 حرب عوان حاكمك من العدا
 وأعدت رسل ابن القسيم^(٣) إليه في
 والغال يشهد باسمه أن سوف يغدو الشام وهو عليكاً فتمان
 وطفت عليه منابت المرجان
 لم يأت في حين من الأحيان
 من فتكها ولها العدا شواني
 وفعلن فعل كواسر العقبان
 فيها القنا عوضاً من الأشطان
 أسراهم مغلولة الأذقان
 في كل بكرٍ عندهم وعوان
 شعبان كى يتلاءم الشعبان
 منها في مدح نور الدين :

[٤٠ ظ] / وأراك من بعد الشهيد أباله
 وهو الذي مازال يفعل في العدا
 وجعلته من أقرب الإخوان
 ما لم يكن ليعد في الإمكان

(١) الشواني : السفن الحربية .

(٢) أوقرت : حملت .

(٣) هو نور الدين صاحب الشام في عصر طلائع وأستاذ صلاح الدين الأيوبي ومولاه .

ومنها في وصف قتله البرنس ويصف رأسه على الرمح بمعنى بديع :
 قَتَلَ الْبَرْنَسَ وَمِنْ عَسَاهُ أَعَانَهُ لَمَّا عَتَا فِي الْبَنِي وَالْمُدَوَانَ
 وَأَرَى الْبَرِيَّةَ حِينَ عَادَ بِرَأْسِهِ مَرَّ الْجَنَى يَبِيدُ عَلَى الْمُرَّانِ
 وَتَمَجَّبُوا مِنْ زُرْقَةٍ فِي طَرَفِهِ وَكَأَنَّ فَوْقَ الرَّمْحِ نَصْلًا ثَانِيًا
 فَلَيْبِنُهُ أَنْ فَازَ مِنْكَ بِسَيْدٍ أَوْفَى بِرَبْتِهِ عَلَى كَيَوَانَ (١)
 قَدْ صَاغَ مِنْ (٢) أَرْمَاحِهِ لِمَسَامِعِ الْأَمْلَاقِ أَقْرَاطًا (٣) مِنْ الْخِرِصَانِ
 وَالخَيْلُ تَعْلَمُ فِي الْكَرْيَةِ أَنَّهُ قَدْ حَطَّ هَيْكَلَهَا (٤) عَلَى الْفَرَسَانِ
 عَجَبًا لَجُودِ يَدَيْهِ إِذْ بَنَى الْعَلَا وَالسَّيْلُ يَهْدُمُ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ

[ومنها] يصف شعر الصالح :

وَلَنَارٌ فَظَنَّتْهُ تَرْيِكَ لَشَعْرِهِ عَذْبًا يُرَوِّي غُلَّةَ الظَّمَانِ
 وَعَقُودَ دَرٍّ لَوْ تَجَسَّمَتْ لَفِظَهَا مَارُصَّتْ إِلَّا عَلَى التَّيْجَانِ
 وَتَنَزَّهَتْ عَنْ أَنْ تَرَى أَفْرَادَهَا لِمَوَاضِعِ الْأَقْرَاطِ وَالْأَذَانِ
 مِنْ كُلِّ رَائِقَةٍ الْجَمَالَ زَهَتْ بِهَا بَيْنَ الْقَصَائِدِ عِزَّةَ السُّلْطَانِ
 سَيَارَةٌ فِي الْأَرْضِ لَا يَعْتَاقُهَا فِي سَيْرِهَا قَيْدٌ مِنَ الْأَوْزَانِ
 / يَا مُنْعِمًا مَا لِلنَّشَاءِ وَنُوْغَلَا يَوْمًا بِمَا تَوَلَّى يَدَاهُ يَدَانِ [٤٢ و]
 قَلَّدَتْ أَعْنَاقَ الْبَرِيَّةِ كُلَّهَا مِنْنَا تَحْمَلُ ثِقْلَهَا التَّقْلَانِ
 حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِيكَ وَأَصْبَحَ الْقَاصِي بِمَنْزِلَةِ الْقَرِيبِ الدَّانِي
 وَرَحِمْتَ أَهْلَ الْعَجْزِ مِنْهُمْ مِثْلَمَا أَصْبَحْتَ تَغْفِرُ لِّلسَّيِّءِ الْجَانِي

وأنشدني الشريف إدريس الحسني للمهذب بن الزبير من قصيدة في مدح

٢٠ ابن رزيك أيضا أولها :

(١) كيوان هو زحل وهو عند العرب مثل في الملو والبعد .

(٢) في الأصل : في .

(٣) في الأصل : أخراصاً .

(٤) الأصل : مذقط سكلها .

أَجْلِسُ فِي مَحَلِّ الْعِزِّ أَمْ فَلَاكُ هَذَا؟ وَهَلْ مَلَكَ فِي الدَّسْتِ أَمْ مَلَكَ

منها في المدح :

أَغْنَى عَيَانُ مَعَانِيهِ النَّوَاطِرَ عَنْ قَوْلٍ يُلْفَقُ فِي قَوْمٍ وَيُؤْتَفَكُ^(١)
 يَا وَاحِدَ الدَّهْرِ لَا رَدُّ عَلَى إِذَا مَا قَلْتُ ذَلِكَ فِي قَوْلِي وَلَا دَرَكَ^(٢)
 مَا كَانَ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَى فِيهِ الشَّجَاعَةُ—إِلَّا أَنْتَ—وَالنُّسْكُ
 فَالْفَعْلُ مِنْهُ^(٣) وَمَنْكَ الْيَوْمَ مُتَّفِقٌ وَالنِّعْتُ مِنْهُ وَمَنْكَ الْيَوْمَ مُشْتَرِكٌ
 يُدْعَى بِصَالِحِ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ صَالِحٌ مِنَ الْبَالِدِينَ يَمْتَسِكُ
 لَمْ تَرْضَ أَسْمَاءَ قَوْمٍ أَصْبَحُوا رِمَامًا كَأَنَّ الْقَابِهُمُ مِنْ بَعْدِهِمْ تَرُكُ^(٤)

ومنها :

وَأَفَى فَاؤْدَى رَجَالًا بَعْدَ مَا نَعِمُوا دَهْرًا وَأَحْيَا رَجَالًا بَعْدَ مَا هَنَكُوا ١٠

[٤٢ ظ] ليس في هذا البيت مدح ولا ذم ، ولا له في الثناء والإطراء سهم ، فإنه كما أحسن بالإحياء ، أساء بالإرداء ، فكفرَّ بهلاك أولئك حياة هؤلاء ، ولو قال : أردى لثامًا بعد ما نعموا ، وأحيا كرامًا بعد ما هلكوا ، لوفى الصنعة حق التحقيق ، وأهدى ثمرة المعنى على طبق التطبيق .

١٥ طَلَعَتِ وَالْبَدْرَ نِصْفَ الشَّهْرِ فِي قَرْنٍ فَأَشْرَقَتْ بِكَا الْأَرْضُونَ وَالْفَلَكَ
 وَأَسْفَرَ الْجَوْحُ حَتَّى ظَنَّ مَبْصَرُهُ بِأَنَّ لَمَعَ السَّنَا فِي أَفْقِهِ صَحِيحُ
 يَقُودُ كُلَّ مَجْنٍ^(٥) ضَمِنَ ذِي تَرَةٍ يَكَادُ مِنْ حَرِّهِ الْمَادِي يُنْسَبُ

(١) يؤتفك : من الإفك وهو الكذب والاختلاق .

(٢) الدرك : التبعة .

(٣) في الأصل : منك .

(٤) في البيت تورية واضحة .

(٥) في الأصل : مسن .

حتى أعادَ بحمدِ السيفِ مُلكَ نبي الزهراءِ واسترجَعَ الحقَّ الذي تركوا
 فلو يكونُ لم أمثالهُ عضداً فيما مضى ما غدت مفصوبةً فذلك^(١)
 لقد أبطل في هذا القول المؤتفك ، وغفل عن سر الشريعة في فذلك ،
 وفضلَ ممدوحه على السلف في الشرف ، وأدت به المبالغة في الضلال إلى السرف .
 وأنشدني الأمير مرهف بن أسامة بن منقذ للمهذب بن الزبير من أبيات :

يا ريجَ الشما ل إذا اشتملتِ الليل بُردا
 وحملت من نسرٍ الخزا مي ما اغتدى للندِ ندًا
 ونسجت في الأشجار بين غصونهنَّ هوى وودًا
 / هبي على بردى^(٢) عساهُ يزيدُ من مسرك بردًا
 أحبابنا ما بالكم فينا من الأعداء أعدى
 وحياةٍ ودمك وترُ به وصلكم ما خنت عهدا

[٤٣ و]

وأنشدني له من قصيدة أولها :

ريجَ القوادِ خلالَ تلك الأربَعِ فكأنها أولى بها من أضلعي
 منها في المدح في ابن رزيك الصالح وكان يغري الشعراء بعضهم بالبعض :
 يا أيها الملكُ الذي أوصافهُ عُرِّتْ تجلَّتْ للزمانِ الأسْفَعِ
 لا نطمع الشعراء فيَّ فإنني لو شئتُ لم أجبن ولم أتخشع
 إن لم أكن ملءَ العيون فإنني في القول يا ابن الصِّدِّ ملءُ المسمع
 فليمسكوا عني فلولا أنتي أبقى على عِرْضِي إذن لم أجزع

(١) يشير إلى ما كان من رأى أبي بكر وعمر في أن فاطمة لا ترث (فدك) التي تركها الرسول
 لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، والشيعه يرون أن
 أبا بكر وعمر أخطأ وأنه كان يجب أن يتركها لفاطمة .

(٢) بردى : نهر دمشق .

وأهم من هوى لم مدح الذي رفع القريض إلى المحل الأرفع
ولو أنه ناجي ضميري في الكرى طيف الخيال بريية لم أهجع
وإذا بدا لي الهجر لم أر شخصه وإذا يقال لي الخفا لم أسمع
والناس قد علموا باني ليس لي مذ كنت في أعراضهم من مطمع

ومنها في صفة الشعر :

[٤٣ ط] / فلا كسون علاك كل غريبة ولجت بلطف سمع من لم يسمع
ختمت بما ابتدئت به فتقابلت أطرافها بموشج ومرصع
والشعر ما إن جاء فيه مطلع حسن أضيف إليه حسن المقطع
كالورد : أوله زهر موني يأتي ، وآخره بماء ممتع

وأشدني له القاضي الأشرف أبو القاسم حمزة بن القاضي السعيد بن عثمان ،
قال أنشدني والدي علي بن عثمان الخزومي ، قال أنشدني المهذب بن الزبير لنفسه
في ابن شاور المعروف بالكامل :

وخاصمني بدر السما فخصمته بقولي ، فاسمع ما الذي أنا قائل
أتى في انتصاف الشهر يحكيك في البها وفي النور لكن أين منك الشائل !
فقلت له يا بدر إنك ناقص سوى ليلة ، والكامل الدهر كامل

وأشدني بعض المصريين له من قصيدة أولها :

أغارت علينا باللحاظ عيون لها الحسن من خلف النقاب كمين
وسلت علينا من عمود جفونها كذلك أسماء العمود جفون

ومنها :

أعز نظم شعري منك عينا بصيرة^(١) في طيه للكيمياء كمن

(١) في الأصل : وفي .

[٤٤ و] / قد شاركتنا فيه كفك إذ غدت
 تجود لنا بالبرِّ ثم تردُّه
 عليه لنا عند المطاء تمين
 لها وهو دُرٌّ بالمديح تمين
 وأنشدني له أيضاً :

لقد جرَّد الإسلامُ منك مهنِّداً
 إقامة حدِّ الله في الخلقِ حدُّه
 حديداً شبَّاهُ لا يُداوى له جرحُ
 إذا سلَّه ، والصفحُ عنهم له صفحُ

وله :

وذي هيفٍ يُدعى بموسى ، بطرفه
 وحياتُهُ أصداغه ، وعذارُهُ
 بقیةُ سحرٍ تأخذ العين والسمما
 يُحَيِّلُ لى فى وجهه أنها تسعى
 وله فى غلام له خال بين عينيه :

١٠ وسهيفٍ أسيفُ مقلته
 عيناهُ فى قلبى تنازعتا
 أبداً تُريق من الجفون دما
 فسوادهُ قد ظلَّ بينهما

وله فى غلام تفرغرت عيناه عند الوداع :

١٥ ومرنح الأعطاف تحسبُ أنه
 إن قلتُ إنَّ الوجَّه منه جنَّةٌ
 رُمحٌ ولكنَّ قدَّ قلبى قدَّه
 أصحى يكذبنى هنالك خدُّه
 ولئن ترقرق دمه يوم النوى
 فالسيفُ أظمُّ ما يكون إذا غدا
 فى الطَّرْفِ منه وما تنائرَ عقدهُ
 مُتَحَيِّراً فى صفحتيه فرندُه^(١)

وله :

مَنْ نَصَبَ عَيْنِي : أَنْجِدُوا أَوْ غَارُوا
 وَمَنْى فَوَادِي : أَنْصَفُوا أَوْ جَارُوا

(١) فرند السيف : جوهريه .

[٤٤ ط]

وهمُ مكانَ السرِّ من قلبى وإن / فأرقنهمُ وكأنهم فى ناظرى
بُعَدَتْ نوىَّ بهمُ وشطَّ مزار / تركوا المنازلَ والديارَ فالهم
مما تُمَثِّلُهُمْ لى الأفكار / واستوطنوا البيدَ القفارَ فأصبحتُ
إلا القلوبَ منازلَ وديار / فلئن غَدَتْ مصرٌ فلاةً بعدهم
منهم ديارُ الإنسِ وهىَ قفار / أو جاوروا نجداً فلى من بعدهم
فلهمُ بأجواز^(١) القلاَ أمصار / أفقوا مواصلةَ القلا والبيدِ مُدَّ
جانان : فيضُ الدمعِ والتذكار / بقلائصٍ^(٢) مثل الأهلَّةِ عندما
هجرتهمُ الأوطانَ والأوطار / وكأما الآفاقُ طراً أفسمتُ
تبدو ، ولكن فوقها أبقار / والدهرُ ليلٌ مذ تئامت دارهمُ
ألا يقر لهم عليه قرار / لى فيهمُ جارٌ يمتُّ بجرمتى
عنى ، وهل بعد النهار نهار ؟ / لا بل أسيرٌ فى وثاقِ وفاته

ومنها :

أمنازلَ الأحبابِ غيرِكِ اللى / سَمِّيَاً للدهرِ كان^(٣) منك تشابهتُ
فلنا اعتبارٌ فيكِ واستعبار / قصرتُ لى الأعوامِ^(٤) فيه فذناؤا
أوقاتهُ فجميعه أسـحـار / / يادهرُ لا يفرُّركَ ضَعْفُ تجلدى
طلتُ بى الأيَّامُ وهىَ قصار / [٤٥ و]

وله :

كَانَ قَدودهمُ أنبتتُ / على كُئِبِ الرَّمْلِ قُضبانها

(١) جوز الشيء : وسطه ومعظمه .

(٢) القلائص : جمع قلوب وهى الشابة من النوق .

(٣) فى الطالع : مرفيك . (٤) فى الطالع : بى الأيام .

حججنا بها كعبةً للسرور ترانا نُصَحُّ أَرْكَانَهَا
 فطوراً أعانقُ أغصانها وطوراً أنادمُ غزلانها
 على عاتق^(١) بنِ حَبْتِ شَمْسِنَا فضَضْنَا عَنِ الشَّمْسِ أَدْنَانَهَا
 وإنْ ظَهَرَتْ لَكَ مَحْجُوبَةً قَرَأْتُ بِأَنْفِكَ عُنْوَانَهَا
 كَمَيْتٌ مِنَ الرِّيحِ لَكِنَّا جعلنا من الروحِ فوسانها
 إذا وَجِدْتُ^(٢)، حَلْبَةَ للسرور وكان مَدَى الشُّكْرِ مَيْدَانَهَا
 يطوفُ بها بَابِيُّ الجَفُونِ تَفَضُّحُ خَدَاهُ أَلْوَانَهَا
 إذا مَا دَعَتْ سَقَمًا مُقْلَتَاهُ أَقَمْتُ بِجِسْمِي بُرْهَانَهَا
 بكأسٍ إذا مَا عَلَاها المَزَاجُ أَحَالَ إلى التبرِ مَرَجَانَهَا
 كَأَنَّ الحِجَابَ وَقَدْ قُلِدَتْهُ دُرٌّ يُفَصِّلُ عَقِيَانَهَا
 وَمُسَمِّمَةٌ^(٣) مِثْلَ شَمْسِ الضَّحَى أَضَافَتْ إلى الحِسنِ إِحْسَانَهَا
 وراقصةٌ رَقِصَتْهَا لِلْحُونِ عَرَّوْضٌ يُقَيِّدُ أَوْزَانَهَا
 ولما طَوَى اللَّيْلُ ثُوبَ النَّهَارِ وَجَرَّتْ دِيَاجِيهَ أَرْذَانَهَا
 جلونا عرائسَ مِثْلَ اللُّجَيْنِ صَنَعْنَا مِنَ النَّارِ تَيْجَانَهَا
 / وَصَاغَتْ مَدَامِعَهَا حِلْيَةً عَلَيْهَا تُوَشِّحُ جُمَانَهَا
 رَمَاحًا مِنَ الشَّمْعِ تَفْرِي الدَّجَى إِذَا صَقَلَ اللَّيْلُ خِرْصَانَهَا
 بها مَا بِأَفْتَدَةِ العَاشِقِينَ فَلَيْسَتْ تَفَارِقُ نَيْرَانَهَا
 وَقَدْ أَشْبَهْتُ رُقْبَاءَ الحَيْبِ فَمَا يَدْخُلُ العُمُصُ أَجْفَانَهَا
 وفيها دَلِيلٌ بِأَنَّ النُّفُوسَ سَ تَبْقَى وَتُذْهِبُ أَيْدَانَهَا

[٤٥ ط]

(١) العاتق : الخمر وسيفسرها هو بنفسه .

(٢) يريد فهي حلبة .

(٣) السممة : المنية .

ومن شعره ما أورده أخوه في (الجنان) وهو قوله :

لم تنل بالسيوف في الحرب إلا مثلما نلت باللواحق منّا
وعيونُ الطُّبّا ظُباً وبهذا سُمِّيَ الجفْنُ للتشابه جَفْنَا

وقوله :

وقد أنكروا قتلى بسيف لحاظه ولو أنصفوني ما استطاعوا له جحدا .
وقالوا دع الدعوى فما صحَّ شاهدُ عليها ولسنا نقبلُ الكفَّ والخدا
ولو كان حقاً ماتقولُ وتدعى على مقلتيه عاد نرَجسها وردا
وما علموا أن الحسامَ بسفكه دمَ القرنِ يوماً عدَّ أمضى الطُّبَّا حدًا

وقوله :

لقد طال هذا الليل بعد فراقه وعهدى به لولا^(١) الفراقُ قصيرُ
وكيف أرحى الصُّبحُ بعدهمُ وقد تَوَلَّتْ شمسٌ منهم^(٢) وبدور

وقوله :

[٤٦ و] / ليت شعري كيف أنتم بعدنا
بتنمُ والشوقُ عنّا لم يبينُ
أترى عندكم ما عندنا
وظعنتمُ والأسى ماظعننا

ومنها :

قل لمسرورين بالبين - وقد شقنا من أجلهم ما شقنا -
لم يهن قط علينا بعدكم مثلما هان عليكم بعدنا
ولقد كُنَّا نمرى النفس لو كنتم قبل التناي مثلنا
لم تُبالوا إذ رحلت غدوة أي شيء صنَّع الدهر بنا

(١) في القواف : قبل . (٢) في القواف : بعدهم .

سهرتُ أَجْفَانُنَا^(١) بَعْدَكُمْ فَكَأَنَّا مَا عَرَفْنَا الْوَسْنَا
لَارَأَتْ عَيْنٌ رَأَتْ مِنْ بَعْدِكُمْ غَيْرَ فَيْضِ الدَّمْعِ ، شَيْئًا حَسْنَا

ومنها :

وَأَخَذُوا الْعَيْنَ بِطَيْفٍ مِثْلَمَا تَخَدَعُ الْقَلْبَ أَحَادِيثُ الْمُنَى

وقوله :

وَيَا عَجِبًا حَتَّى النَّسِيمُ يَخُونَنِي نُحَصِّلُهُ سَلْمَى إِلَيْنَا سَلَامَهَا
وَيُضْرَمُ نِيرَانِ الْأَسَى بِهَبْوِيهِ فَيَكْتُمُهُ إِلَّا يَضُوعَ بِطَيْبِهِ

وقوله من قصيدة :

أَتَرَى بَأَىً وَسَيْلَةَ أَتَوَسَّلُ لَمْ تُجْمَلُوا بِي فِي الْهَوَى فَتَجَمَّلُوا^(٢)
/ أَشْكُو وَجُورَكُمْ يَزِيدُ وَمَا الَّذِي يُعْنَى الْمَتِّيمَ أَنْ يَقُولَ وَتَفْعَلُوا [٤٦ ظ]
إِنْ أَصْبَحَتْ عَيْنِي لَدَمْعِي مِنْهَا فَالْعَيْنُ فِي كُلِّ اللِّغَاتِ الْمَنْهَلِ^(٣)

وقوله في المديح من قصيدة :

عَصَدَتْ النَّدَى بِالْبَاسِ تَقْضَى عَلَى الْعِدَا سِيوفُكَ ، أَوْ تَقْضَى عَلَيْكَ الْمَكَارِمُ
سَحَابٌ جَوْدٍ فِي يَدَيْكَ تَضَمَّنَتْ صَوَاعِقَ ظَنُّوا أَنَّهُنَّ صَوَارِمُ
إِذَا مَا عَصَتْ أَمْرًا لَهَنَّ قُلُوبُهُمْ ضَلَالًا أَطَاعَتْ أَمْرَهُنَّ الْجَاجِمُ

ومنها :

وَعَزَّ عَلَى غَزِّ جِيَادٍ كَأَنَّمَا قَوَائِمُهَا يَوْمَ الطَّرَادِ قَوَادِمُ^(٤)

(١) في الأصل : أجفانكم .

(٢) تجمل : بتشديد اللام تكلف الجميل ، ولم تجملوا : أى لم تضمنوا الجميل .

(٣) هنا تورية واضحة .

(٤) قوادم الطير : مقادير ريشه وهي عشر في كل جناح .

إذا ابتدروا في مَأْفِطٍ^(١) فَرِحَتْ بِهِمْ

صدورُ المذاكي^(٢) والقنا والصوارم

ومنها في صفة السهوف :

تريك بروقاً في الأكف تدلُّنا

على أنَّ هاتيك الأكف غمامٌ

ومنها في صفة الرماح :

وُسْمِرٍ عوَالٍ زَيَّنَتْهَا أَكْفُهُمْ

فقد حَسَدَتْ مِنْهَا الكعوبَ اللهازم^(٣)

إذا عقلوها خِلْنُهُمْ مُتَوَشَّحِي

سلوخٍ وفي الأيمانِ منهم أرقام

تلوحُ نجومًا ، في النحورِ غروبها

إذا جَنَّبَهَا ليلٌ مع النقعِ قاتم

ومنها في المدح :

إذا صُلَّتْ قال الدينُ والعدلُ : منصفٌ

فإن جُدَّتْ قال الجودُ والمالُ : ظالمٌ

[٤٧ و] / وقوله :

مَالُهُ مِنْ فَتْكَ رَاحَتِهِ

كأعاديهِ على وَجَلٍ

أبدًا تَلُوهُ وَاهِبُهُ

خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ^(٤)

وقوله في الوزير رضوان^(٥) بن ولحشى :

إذا قَابَلْتَهُ ملوكُ البلا

دِ خَرَّتْ على الأرضِ تيجانُها

ولله في أرضه جَنَّةٌ

بمصرَ ورضوانُ رضوانها

(١) المَأْفِطُ : ميدان القتال .

(٢) المذاكي : من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان .

(٣) اللهازم : الأعلى .

(٤) هذا الشطر اقتباس من القرآن الكريم .

(٥) هو رضوان بن ولحشى وزير الحافظ (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) وقد قتله عام ٥٤٣ هـ

إذ استولى على شئون الدولة وحجر على الحافظ فندس عليه السودان فقتلوه (النجوم الزاهرة :

٢٨١/٥) .

وقوله من قصيدة في المدح :

وَقَبْلَ كَفِّكَ - لَازَلْتَ مُقَبَّلَةً - ما إن رأينا سحابًا قَطْرُهُ بِدَرٍ^(١)
أَحْيَتْ وَأَرَدَتْ فَمِنْ أَنْوَانِهَا أَبَدًا صوبُ الندى والردى في الناسٍ مُنْهَمِرٍ
أُعْيَتْ صِفَاتُكَ فِكْرِي وَهِيَ وَاضِحَةٌ كالشمسِ يَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِهَا الْبَصَرُ

وقوله من قصيدة :

جَمَعَ الْفَضَائِلَ كُلَّهَا فَكَأَنَّمَا أَخْحَى لِشَخْصِ الْمَكْرُمَاتِ مِثْلًا
مَا كَانَ يُبْقِي عَدْلُهُ مَتَظَلِّمًا لَوْ كَانَ يُنْصِفُ جُودُهُ الْأَمْوَالَ
لَا يَرْضَى فِي الْجُودِ سَبْقَ سَوَالِ مَنْ يَرْجُوهُ حَتَّى يَسْبِقَ الْأَمَالَ

وقوله من المراثي في كبير ، عقب موته نزول مطر كثير :

١٠ / بِنَفْسِي مِنْ أَبْكِي السَّمَوَاتِ مَوْتَهُ^(٢) بَشِيْثٍ ظَنَّاهُ نَوَالَ يَمِيْنِهِ [٤٧ ظ]
فَمَا اسْتَمْتَبَرْتُ إِلَّا أَسَى وَتَأْسُفًا وَإِلَّا فَمَاذَا الْقَطْرُ فِي غَيْرِ حِينِهِ ؟

وقوله :

١٠ فَإِنْ تَكُ قَدْ غَاظَتْ بِجُودِ أَكْفَانِكُمْ عِيُونَ ، وَفَاظَتْ بِالْدموعِ عِيُونَ
وَخَانَتِكُمْ - وَالدهرُ يُرْجَى وَيُتَّقَى - حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَقِي وَتُخَوِّنُونَ
فَلَا تَيَأْسُوا إِنَّ الزَّمانَ صُرُوفُهُ وَأَحْدَاثُهُ مِثْلُ الْحَدِيثِ شُجُونِ

وقوله من قصيدة :

هو الدهرُ ، فَاظْرَهُ أَيْ قَرْنَ تَحَارِبُهُ وَقَدْ دَهَمْتَنَا دَهْمُهُ وَأَشَاهِبُهُ^(٣)
لِيَالٍ وَأَيَّامٍ يُغَرُّ بِهَا الْوَرَى وَمَا هِيَ إِلَّا جُنْدُهُ وَكُتَابُهُ

(١) البدر : جمع بدرة وهي البصرة من القنود .

(٢) في القنود ومعجم الأديب : فقهه .

(٣) يريد الليالي والأيام على التشبيه بالحيل .

ومنها :

وما سُمِّهُ غيرُ الكرامِ كأنما منا قبهُمُ — عند الفخارِ — مثالبه

ومنها :

لقد غابَ عن أفقِ العلا كلُّ ماجدٍ إذا ذكرتهُ النفسُ بتُّ كأنني
وكم ليلةٍ سهرتُ أنجمَ أفتها يطولُ على الليلِ حتى كأنما
وقد أسلمَ البدرُ الكواكبَ للدحي [٤٨ و] / يُخَيَّلُ لِي أَنَّ الظلامَ عِجاجةٌ (١)
وأَنَّ البروقَ اللامعاتِ سيوفهُ
له حاضرُ المجدِ التليدِ وغائبه
أسيرُ عدا سُدَّتْ عليه مذاهبه
إذا غابَ عني كوكبُ لاح صاحبه
مشاركةً للناظرين مغاربه
وفاءً لبدرٍ أسلمتهُ كواكبه
وَأَنَّ النجومَ السارياتِ مواكبه
وَأَنَّ الغيوثَ الهامعاتِ (٢) مواهبه

ومنها :

فقلْ ليالي بعد ما صنعتُ بنا ألا هكذا فليَسَلِّبِ المجدَ سالبه

وقوله في العتاب والمهجاء من قصيدة :

خليلٌ إن ضاقتُ بلادَ برُحْبِها
يفظنُّ رجالٌ أنني جئتُ سائلاً
وما أنا ممن يُسْتَفَرُّ بِمَطْمَعِ
ولكنني أَصْفَيْتُ قوماً مدامحي
فإن كنتُ لا أُلْفِي على المَنعِ ساخطاً
محاسنُ لي فيهمُ كثيرٌ عديدها
ورأى فما ضاقَ الفضاءُ أماميا
فأسخطني أنْ خابَ فيهمُ رجائيا
فِيخْلِفُهُ منه الذي كان راجيا
فأصبحَ لي تقصيرُهُمُ بي هاجيا
كذلك لا أُلْفِي على البَدَلِ راضيا
ولكنها كانتُ لديهم مساويا

(١) العجاجة : غبار الحرب . (٢) الهامعات : الهاملات .

تَقَلَّدْتُمْ مِنْ دُرِّ نَحْرِي قَلَانِدًا وَلَوْ شِئْتُ عَادْتُ عَنْ قَلِيلِ أَفَاعِيَا
ومنها :

وَلَوْ كُنْتُ أَنْصَفْتُ الْمَدَائِحَ فِيهِمْ لَصَيَّرْتُهَا لِلْأَكْرَمِينَ مَرَاثِيَا
وقوله :

لَا تَرَجُ ذَا نَقْصٍ ^(١) وَلَوْ أَصْبَحْتُ مِنْ دُونِهِ فِي الرِّبَةِ ، الشَّمْسُ
كَيَوَانُ ^(٢) أَعْلَى كَوْكَبٍ ^(٣) مَوْضِعًا وَهُوَ — إِذَا أَنْصَفْتَهُ — نَخْسُ
/ وقوله في ذم الزمان :

[٤٨ ظ]

كَمْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ وَالْيَوْمَ بِالْخَبْرِ أَسْتَعْنِي عَنِ الْخَبْرِ

ومنها :

تَشَابَهَ النَّاسُ فِي خَلْقِي وَفِي [خُلُقِي] ^(٤) تَشَابَهَ النَّاسُ وَالْأَصْنَامُ فِي الصُّوَرِ
وَلَمْ أَبْتِ قَطُّ مِنْ خَلْقِي عَلَى ثِقَةٍ إِلَّا وَأَصْبَحْتُ مِنْ عَقْلِي عَلَى غَرَرٍ ^(٥)
لَا تَخْدَعَنِي بِمَرْتِيٍّ وَمُسْتَمْعٍ فَمَا أَصْدَقُ لِاسْمِي وَلَا بَصْرِي
وَكَيْفَ آمَنُ غَيْرِي عِنْدَ نَائِبَةٍ يَوْمًا إِذَا كُنْتُ مِنْ نَفْسِي عَلَى حَدَرٍ
تَأْبَى الْمَكَارِمُ وَالْمَجْدُ الْمُؤْتَلُّ لِي مِنْ أَنْ أُقِيمَ ، وَأَمَالِي عَلَى سَقَرٍ
إِنِّي لِأَشْهَرُ فِي أَهْلِ الْفَصَاحَةِ مِنْ شَمْسٍ وَأَسْبِرُ فِي الْآفَاقِ مِنْ قَمَرٍ

(١) في القوافي : نخس .

(٢) كيوان — في رأى العرب كما قدمنا — أبعد الكواكب علواً وفي الوقت نفسه

يجعلونه كوكب النخس والشؤم .

(٣) في الأصل كوكباً .

(٤) ساقطة من الأصل والآيات غير موجودة في المراجع التي بين أيدينا وقد زدنا الكلمة

ملائمة للسياق .

(٥) الغرر : الخطر .

وسوف أرمى بنفسى كلَّ مهلكة
إِذَا الْعُلَا ، وَإِلَيْهَا مُنْتَهَى أَمَلِي
تَسْرِي بِهَا الشَّهْبُ إِنْ سَارَتْ عَلَى خَطَرِي
أَوْ الرَّدَى ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى الْبَشْرِ

وقوله :

لَا تُتَكَّرَنَّ مِنَ الْأَنَامِ تَفَاوُتًا
فَالنَّاسُ مِثْلُ الْأَرْضِ مِنْهَا بُقْعَةٌ
إِذَا كَانَ ذَا عَبْدًا وَذَلِكَ سَيِّدًا
تَلْتَقِي بِهَا خَبْنًا وَأُخْرَى مَسْجِدًا

وقوله :

ومن نكد الأيام أنِّي كما تَرَى
أَمِنْتُ عِدَاتِي ثُمَّ خِفْتُ أَحَبَّتِي
أُكَابِدُ عَيْشًا مِثْلَ دَهْرِي أَنْكَدًا
لَقَدْ صَدَقُوا ، إِنْ الثَّقَاتِ هُمُ الْعِدَا

[٤٩ و] / ومن شعره في عدة فنون قوله :

لَا تَطْمَعَنَّ فِيَّ أَرْضٌ أَنْ أُقِيمَ بِهَا
حَيْثُ اغْتَرَبْتُ فَلَئِنْ عَفَى وَطَنٌ
لَوْلَا التَّنْقُلُ أَعْيَا أُنْتَ يَبِينُ عَلَى
فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ مِنْ نَسَبِ
أَوْى إِلَيْهِ وَأَهْلٌ مِنْ ذَوِي الْأَدَبِ
بَاقِي الْكُوكَبِ فَضْلُ السَّبْعَةِ الشُّهْبِ

وقوله في شمة :

ومصفرةٍ لا عن هَوَى غير أنها
شجونًا وسُقْمًا واصطبارًا وأدْمَعًا
إِذَا جَمَّسَتْهَا^(١) الرِّيحُ كَانَتْ كِمَقْصَمِ
تَحْوِزُ صِفَاتِ الْمَسْتَهَامِ الْمَعْدَبِ
وَحَقَّقًا وَتَسْمِيدًا وَفِرْطَ تَلْهَيْبِ
يَرُدُّ سَلَامًا بِالْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ

وقوله :

لئن زادني قُرْبُ الْمَزَارِ تَشَوُّقًا
فَمَا أَنَا إِلَّا مِثْلُ سَاهِرِ لَيْلَةٍ
للقياك ، آذَى فِقْلَهُ عَدَمُ الْحَسِّ
بدا الفجرُ فازداد اشتياقًا إلى الشمسِ

(١) التجيش : الملاعبة والمغازلة .

٢٢ - القاضي أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن محمد الفهرى

وأصله من دمياط وذكره أبو الصلت في رسالته وقال : محمود بن إسماعيل
الدمياطى كاتب الإنشاء بالحضرة المصرية . قال القاضي الفاضل توفى سنة إحدى
وخمسين ، وأنشدني له أشعاراً محكمة النسيج / كالدُرِّ في الدرّج . علق بحفظي من [٤٩ ط]
قصيدة هائية هذا البيت :

أُتِرُ المشيبِ بفَوْدِهِ وفَوَادِهِ أَلْجَاهُ أَنْ يَبْعَى لَدَيْهَا الْجَاهَا
وأنشدني له في ابن الزبير وكان أسود :

يا شـبـه لـقـمان بلا حـكـمة وخاسراً في العـلم لا راسخا
سلخت أشعارَ الورى كلِّهم فصرت تُدعى الأشودَ السانطا
وأنشدني الأمير مرهف بن مؤيد الدولة أسامة بن منقذ لأبي الفتح
ابن قادوس في رجل كان يُكَبِّرُ كثيراً في الصلاة :

وقارِ النِّيَةِ عَيْنَيْهَا مَعَ كَثْرَةِ الرُّغْدَةِ وَالهِزَّةِ
مُكَبَّرٌ سَجِّينَ فِي مَرَّةٍ كَأَنَّهُ صَلَّى عَلَى خَمَزَةٍ

وأنشدني قوله أيضا :

ولأثم يلو منى يريد منى توبى
يقول لى : الموتُ غداً قلت : هذا حُجَّتِي

وأنشدني قوله أيضاً في طيب :

عليه منه على حالي خاسرٍ يَحْضُلُ
تُوخَذُ مِنْهُ دِيَةٌ وَبَعْدَ هَذَا يُقْتَلُ

(*) في حسن المحاضرة للسيوطى ١/ ٣٢٤ : كاتب الإنشاء بالديار المصرية وشيخ القاضي
الفاضل وكان يسميه ذا البلاغتين

[١٣٥ د] / وأنشدني قوله في المجدو:

قد كنت عاقماً نفيّاً سمحاً تجودُ بنفسك
إذ جاءك الحظُّ فافخرْ على أبنائك جنسك
وإنْ تذكَّرَ قومٌ حديثَ أمسِكَ أمسِكَ

وله من قصيدة:

قَمْ قَبْلَ تَأْذِينِ النُّوَاقِيسِ وَأَجَلُ عَلَيْنَا بِنْتُ قَسَيْسِ
عَمْرُوسَ دَنْ لَمْ يَدْعُ عِنْتُهَا إِلَّا شَعَاءًا غَيْرَ مَلُوسِ
تُجَلِّي عَلَيْنَا بِاسْمَا تُعْرُهَا فَلَا تَقَابِلُهَا بَتَقَيْسِ
مُذْهَبَةُ اللُّونِ إِذَا صَفَّتْ مُذْهَبَةُ اللِّحْمِ وَالْبُوسِ
نَارًا إِلَى النَّارِ دَعَا شُرْبُهَا وَشَرَّدَتْ بِالْعَقْلِ وَالْكَيْسِ
لَا عَمْرَؤَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ رِيَّةِ لِأَنَّهَا عُنُصْرُ إِبْلِيسِ
لَيْسَ لَهَا عَيْبٌ سِوَى أَنَّهَا حَسْرَةٌ أَقْوَامِ مَفَالِيسِ
فِي رَوْضَةٍ كَانَتْ أَزَاهِيرُهَا كَأَنَّهَا رِيشُ الطَّوَاوِيسِ
فَاغْتَنِمِ اللِّذَاتِ فِي دَوْلَةٍ صَافِيَةٍ مِنْ كُلِّ تَمَكِّيسِ
بَقِيَتْ فِي عَمْرٍِ فَيْسِحِ الْمَدَى مِنْ كُلِّ مَا تَخْذَرُ مَحْرُوسِ

وله من قصيدة:

خَلَعْتُ عِذَارِي وَالتَّقَى فِي هَوَاكُمُ فَأَصْبَحْتُ فِيكُمْ مُعْجَبًا بِذُنُوبِ
/ وَمَا يَمِثُّ هَذَا الْحَبَّ يُحْمَلُ بَعْضُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي فِي الْهَوَى كَقُلُوبِ

وله:

لَمَّا تَعَلَّقَ ظِييَّةً رُوداً^(١) وَظِييًّا أَهْيَفًا^(٢)

(١) الرود: الشابة الحسنه . (٢) أهيف: ذو هيف، وهو ضمور البطن ورقة الحاصرة.

وتألفا بفؤادِهِ صار الفؤادُ (١) مُصَحَّفًا

وله :

وليلةٌ كاستماضِ الطَّرْفِ قَصَّرَهَا
 وَصَلُ الحَيْبِ ولم تُقْصِرْ عَنِ الأَمَلِ
 بِنَيْنًا نَجَادِبُ أَهْدَابِ الظَّلامِ بِهَا
 كَفَّ الملامِ وَذَكَرَ الصَّدِّ والمَلَلِ
 وكَلِمًا رَامَ نَطْقًا فِي مَعَانِي
 سَدَدْتُ فَأَهْ بِطَيْبِ اللِّثْمِ والقُبَلِ
 وَبَاتَ بَدْرُ تَمَامِ الحُسْنِ مُفْتَنِي
 والشَّمْسُ فِي فَلَكِ الكاساتِ لم تَقَلِ

ومنها البيت الذي سار له :

فَبِتُّ مِنْهَا أَرَى النَّارَ التي سَجَدْتُ
 لها الجوسُ ، من الإبريقِ تَسْجُدُ لِي
 رَاحَ إِذَا سَفَكَ النَّدْمَانُ مِنْ دَمِهَا
 ظَلَّتْ تَقَهُّهُ فِي الكاساتِ مِنْ جَدَلِ
 قُفْلٍ لَمَنْ لَامَ فِيهَا إِنِّي كَلِفُ
 مُعْرِى بِهَا مِثْلًا أُغْرِيَتْ بِالْعَدَلِ

وله :

أَأَحْدُكُمْ لَكَ عِنْدِي يَدٌ
 كَمَا انبَعَثَ المَاءُ مِنْ جِلْمَدِ
 قَصَّرْتُ عَلَى شُكْرِهَا مَنطِقًا
 رَطِيبَ اللِّسانِ نَدِي (٢) النَّدِي (٣)
 فَلَا تَقَطِّعْنَهَا فَإِنِّي أَخافُ
 تَطْئِرُ قَوْمٍ بِقَطْعِ اليَدِ

[١٣٦ و]

/ وأنشدني الأمير مرهف بن أسامة بن منقذ له :

أَكْرِمُ قَلْبِي لِلأَحْبَةِ مَنْزِلًا
 رَبَّعُوا (٤) بِهِ أَمْ أَرَمَعُوا مَرَحَلًا
 جادتهُ أنواءِ الدموعِ فما أُغْتَدِي
 يَوْمًا لِمِنَاتِ الحَيَا مُتَحَمَّلًا
 حَفْظِي لِعَهْدِ الغادِرِينَ أَضاعَ لِي
 قَلْبًا أَقامَ غرامُهُ وَتَرَ حَلًا

(٢) في الأصل : ند .

(٤) ربوعوا به : وقوا .

(١) تصحيفه قواد .

(٣) الندى : الصوت .

- لا يَبْعُدُنْ زَمَنٌ مَضَى لَوْ تُشْتَرَى
أَيَّامَ أَغْصَانِ الْقُدُودِ ، قَطُوفُهَا
ومَهْفَهِ لَوْلَا سَهَامُ جَفُونَهُ
كَالْبَدْرِ وَجْهًا وَالْفَزَالِ تَلْفُتْنَا
ويكادُ من طيبِ الْمَقْبَلِ يَذْمُنِي
إن كان يحكى البدرَ وجهًا إنه
ولقد أُدِيلُ من الصبابة همتي
وأصونُ عقدَ بلاغَةٍ نَظْمَتُهُ
يا من تساوتُ في العلاءِ أقسامُهُ
أَرْضٌ سَعَتْ قَدَمَاكَ فِيهَا لَا تَزَلُ
ونداك ، كلُّ مؤمِّلٍ ما أمَّلا
مَلِكٌ يَلِاقِي الطَّيْفَ وَهُوَ مُدْرَعٌ
ساعاتُهُ بالعمرَ أجمعَ ما غَلَا
تُجْنِي ، وَأَقَارُ المِلاحةِ تُجْتَلِي
تُضْمِي لِأَدْرَكَ عَاشِقٌ ما أمَّلا
والْحِمْفُ (١) رَدْفًا وَالْقَضِيبُ تَمَثُّلا
عود الأراك من الثنايا مُبَدَّلا
يحكيه أيضًا في البروج تنقلًا
وأشيمُ (٢) من شَيْمِي عليها مُنْصَلَا
عن أن يُرَى بسِوَى عَلاكِ مُفَصَّلا
وسما بهمته فكانَ الأفضَلَا
لذوى الممالكِ قِبَلَةَ وَمُقَبَّلا
إلا تَجَهَّمِ للعُفْقاءِ وَأَمَّلا
سَرْمًا ، وَيَقْتَنِصُ الفُوراسِ أَعْمَلَا

/ وَأُنشِدُنِي أَيضًا ابْنَ قَادُوسِ فِي الرَّشِيدِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَكَانَ أَسْوَدُ :

[١٣٦ ظ]

- إِن قَتَّ مِنْ نَارِ حُفَاةٍ
قلنا صدقتَ فما الذي
تَ وَفُقَّتْ كُلُّ النَّاسِ فِهُمَا
أطفاك حتى صرْتَ فخماً ؟

وله :

- مَلِكٌ تَدَلُّ الحادِثاتُ بِعِزِّهِ
وكم كَرِبَةٍ يَوْمَ النَّزَالِ تَكشَفَتْ
تَسِيدُ بِناءِ الحمدِ وَالْجَدِّ بِيضُهُ
رِقاقُ الطُّبَّاءِ تَجْرِي بِأَجالِ ذِي الوَرَى
يُمِيدُ وَيُبْدِي وَاللَّيالي رِواغُ
بِحَمَلاتِهِ وَهِيَ الفِواشِي العَواشِمُ
وهنَّ لآساسِ المِوادِي هِوادِمُ
وأرزاقِهِمْ ، فَهِيَ القِواشِي القِواشِمُ

(٢) شام سيفه : استله .

(١) الحف : العوج من الرمل .

[ومن قصيدة] في صفة زاهد :

إذا قَامُ السيفِ اثْنِي فِي مُلْمَةٍ عن الفعل أغنى وحده وهو قَامُ
فما صَدَرَتْ عن موردِ النفسِ خِلْتَهَا بأغمادها وهي العواري العوارم
ومنها مخاطباً للزاهد :

صحائفُ أعداها الشبابِ بصبغةٍ فهل أنت ماحٍ ما تخطُّ المآثم

ومن محاسن ابن قادوس ، في شعره العلق بالنفوس ، ما استخرجته من ديوانه

قوله في صفة كتاب :

مدادُهُ فِي الطَّرْسِ لَمَّا بَدَا قَبْلَهُ الصَّبُّ وَمَنْ يَرَهُدُ
كأَمَّا قَد حَلَّ فِيهِ اللَّيُّ أَوْ ذَابَ فِيهِ الحِجْرُ الأَسْوَدُ

[١٣٧ و]

١٠ وقوله :

مَنْ عَاذِرِي مِنْ عَاذِلٍ يَلُومُ فِي حُبِّ رَشَا
إِذَا نَكَرْتُ حُبَّهُ قَالَ كَفَى بالدَمْعِ شَا
أى شاهد .

وقوله في صبي لم يدرك :

سَامُ الفِكرِ مِنْ تَخَالُجِ شَكِّ مُصْبِحُ الرأى فِي المَلَمِّ البَهِيمِ
يُوجُّ الليلَ فِي النَهارِ مِنْ الحَا طُّ بلفظِ كَشْرَقَاتِ المَجُومِ

وله من قطعة :

لقد كان جامي عريضاً بكم فلم صار كالخط لا عرض له
وكم من يد لك مشكورة ومالي فيها ولا أنملة

وقوله في ابن العالاني المعري :

هذا ابن عالانيكم ، شِعْرُهُ ينوب في الصيف عن الخيش
إن لم يكن مثل امرئ القيس في أشعاره فهو امرؤ الفيش

وله في ألقف :

وقيتَ قفاك من وقعِ القوافي وألغازِ خفافِ كالخفافِ
متى تُرْجى لنفجٍ أو لدفعٍ وقلبك مثل . . . في غلافِ

[١٣٧ ظ] / وله :

لام العواذل مغرماً في حبِّ مُلهيةٍ وقينته
ولو أنهنَّ رأينَّ تأثيرَ الغرام به وقينته

وله في مرثية :

يا فجمةً هي في الجنانِ مسرَّةٌ لقدومه تحتال في غرقاتها
إن كان في الدنيا عليه ماتم فأراه عُرسِ الحورِ في جناتها

وله :

يا من يكرُّ على جريحِ اللحظِ منه مُجهزٌ^(١)

ديباجِ خديهِ بسندسٍ عارضيه مُفروزٌ^(٢)

ومخدهِ خالٍ لدا ثيرةِ الملاحةِ مَرَكزُ

قل لي ولحظك صارمٌ في أيِّ دِرْعِ أبْرزُ

أبدأً بسطانِ الجما ل وبالهموى يتعززُ

(١) مجهز : من أجهز عليه أي قضى . (٢) ثوب مفروز : له تطايف .

ويقول غِرًّا بالتجنى وهو فيه مُبْرَزُ
ويَسُومنى مالا يجو زمن الأذى فأجوزُ
لولا الوزيرُ وعدله لم يُغن فيه تحرزُ
عدلٌ يفيض وهمةً تنهى العذولَ وتحجزُ

• وله :

[١٣٨ و]

/ يا أُمرداً أُرمد العينَ من دماءِ الجراحِ
يقول طرفي شاكٍ صدقتَ ، شاكٍ^(١) السلاحِ

وله يهجو شاعراً :

لو كان ينصفُ حين يندُ شعرهُ وَسَطَ اللَّلا
صفوه عِدَّةٌ كلُّ حرٍّ في فيه لكنَّ جَمَلًا^(٢)

١٠

وله يهجو :

إذا قال لا يعدو كلامَ ابنِ فاعلٍ
وليس كلاماً ما يقول وإنما
على أنَّ مَحْضَ الجَهْلِ حَشْوُ دماغِهِ
يجيب الصِّدا من رأسه من فراغه

وله في جارية سوداء :

وعاذلٍ محتفلٍ مجتهدٍ في عاذلي
يلومني في ظبيمة مخلوقة من كحل
إنَّ السَّوَادَ عِلَّةٌ من نورِ هذى النُّل
والحجرُ الأسودُ لم يُخلقَ لغيرِ القُبَلِ
والقارُ—مذ كان—وعا السلسيلِ السِّلْسَلِ

١٥

(١) شاكى السلاح : له شوكة وحد في سلاحه .

(٢) حساب الجمل : تدبير للحروف المجاثية بأرقام تختلف باختلاف الحروف .

وله :

فإن عدتُ إلى وصلك فالألطافُ مرَجُوةٌ
وإن ليجَّ بك الهجرُ فلا حولَ ولا قُوَّةُ

[١٣٨ ظ] / وله :

• حوله اليومَ أناسٌ كلُّهمُ يزُهي برأيه
وهو مثلُ الماءِ فيهمُ لونهُ لونُ إنائه

وله :

ابنُ فلانٍ رجلٌ صالحٌ فامتحنوه وأقبلوا رأى
ارموهُ في البحرِ لكي تنظروا فإنه يمشی على الماءِ

وله في ذم السواد :

أهونُ بلونِ السوادِ لوناً ما فيه من حُجَّةٍ لناسِبٍ
لستَ ترى هُمرةً نلحدُّ فيه ولا خُضرةً لشارِبٍ

وله في فرس يستعمل في الماء :

أأردتها تبتقى وقد كَلَّمْتَهَا بِالماءِ قُوتاً
لكنَّ لشدَّةِ ضَمَّتِهَا ما كان فيها أن تموتاً

وله يهجو :

عرسُ هذا الفعيل مذ غرس النافا كهُ فيها . . . وفي مباحة
أتمرت رأسه قروناً طوالاً إنَّ هذا لمن غريب الفلاحة

وله :

يقظانُ ملتهبُ الندَى فكأنه مُغرَى بِإِتلافِ النَّضارِ مُسَاطُ
ومن شعره (١) :

ذو عارضٍ كالغرابِ لوناً وشاربٍ مثل ريشِ بَبغا
وله يهجو أنفاً كبيراً :

أنفُ الشريفِ دونه الأنافُ كأنما الدنيا له غِلافُ
ومن شعره :

قل لمن قد محضتُهُ خالص الحبِّ فلم يَجْزني على قدر حُبِّي
قد قنعنا بمنظرٍ يُطِنني ووجَدَ ولفظٍ يُلهي القواد ويُضي
ما أحبُّ الوصالَ إلا لهذا فبقلبي أحبكم لا

وله في رجل كبير الأنف :

عليك لالك أنفٌ ظلَّ مُسترفاً حتى غداً بنجوم الأفقِ مُلتصفاً
فلا تقلُ خلقهُ الله ازدريتَ بها فقد يعادُ به من شرٍّ ما خلَقا

وله في المعنى :

كأنه السدُّ الذي بيننا وبينَ يأجوجٍ ومأجوجِ

وله في المعنى أيضاً :

ورُبَّ أنفٍ لصديقٍ لنا تحديدهُ ليس بمعلومِ
ليس على العرشِ له حاجبٌ كأنه دعوة مظلومِ

(١) هنا في الأصل خرم ، وقد أكلنا الترجمة من مختصر الحريدة .

٢٣ - الموفق أبو الجواج برفسف* بن محمد المعروف بابن الخلال

هو ناظر ديوان مصر وإنسان ناظره ، وجامع مفاخره ، وكان إليه الإنشاء ، وله قوة على الترسل يكتب كما شاء ، عاش كثيراً وعطل في آخر عمره وأضر ، ولزم بيته إلى أن تعوض منه القبر ، وتوفي بعد تملك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين . وأنشدني مرهف بن أسامة بن منقذ ، قال أنشدني الموفق بن الخلال لنفسه .
من قصيدة :

عَدُبْتُ لَيْلَ بَانَغْدَيْبِ حَوَالِي وَحَلَّتْ مَوَاقِفُ بِالْوَصَالِ حَوَالِي
وَمَضَتْ لَذَاذَاتٍ تَقَضَى ذِكْرُهَا تُضْهِبِي الْحَلِيمَ وَتَسْتَهِيمُ السَّالِي
وَجَلَّتْ مَوَرِدَةُ الْخُدُودِ فَأَوْتَقَتْ فِي الصَّبَابَةِ الْخَالِي بِحُسْنِ الْخَالِي
قَالُوا سِرَاءُ بَنِي هَلَالٍ أَصْلَاهَا صَدَقُوا كَذَاكَ الْبَدْرِ فَرَعَ هَلَالِ ١٠

ونقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان من شعر ابن الخلال قوله :

وَأَغْنَى سَيْفُ لِحَاطِهِ يَفْرَى ^(١) الْحَسَامَ بِجِدَّةِ
فَضَحَ الصَّوَارِمَ وَاللِّدَانَ بِقَدِّهِ وَبِقَدِّهِ
عَجَبَ الْوَرَى لِمَا حَيَّتْ ^(٢) وَقَد مَنِيَتْ بِيَعْدِهِ ^(٣)

* سقط أول هذه الترجمة في الحرم المذكور وقد جئنا به من ابن خلكان إذ نقل عبارة العماد بلفظها ، ورجعنا إلى المغرب وقد نقلها هو الآخر كما رجعنا إلى المختصر بحيث رم النص هنا . وابن الخلال آخر رؤساء ديوان الإنشاء في العهد الفاطمي ، وتتردد في سبج الأعشى رسائل له كما يتردد اسمه . ولم يزل في ديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن الحركة وتسلم مقاليد الأمور أسد الدين شيركوه ، فاقطع في بيته ، وتولى الديوان القاضي الفاضل ويقال إنه كان يرعى له حق تخرجه ، إذ كان أستاذه وعلى يديه تخرج في صناعة الرسائل ، فكان يجري عليه كل ما يحتاج إليه إلى أن توفي سنة ٥٦٦ هـ . انظر ترجمته في وفيات الأعيان وفي المغرب نسخة الجامعة العربية الورقة ١١٣ وشذرات الذهب ٤ / ٢١٩ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٤

(١) في ابن خلكان : يفري (٢) في المغرب : بقيت

(٣) في المغرب : بصدّه

وبقاء جسمى ناحلا يضلى بوقدة صدّه^(١)
 / كبقاء عنبر خاله في نارِ صَفْحَةٍ خَدّه
 [١٣٩ و] وقوله في شمعة :

وصحيفة بيضاء تَطَّلَعُ في الدجى صبغاً وتشفى الناظرين بدائها
 شابت ذوائبها أوانَ شبابها واسودَّ مَفْرِقُها أوانَ فنائها
 كالعين في طبقاتها ودموعها وسوادها وبياضها وضيائها
 وقوله في الشمعة أيضاً :

وصعدة لدنة كالنبر تفتق^(٢) في جنح الظلام إذا ما أبرزت فلما
 تدنو فيخرق بُرْدَ الليل لهذمها فإن نأت رتق الإظلام ما فتقاً
 وتستهلُّ بماء عند وقديتها كما تالِقُ برقُ الغيثِ فاندققاً
 كالصَّبِّ لوناودمعا^(٣) والتظاوضنا وطاعةً وسهاداً دائماً وشقاً
 والحجب أنسا وليناً وأستورا وشذاً وبهجةً وطروقاً وأجتبالاً ولقماً

وقوله :

أما اللسان فقد أخفى وقد كتما لوأصكن الجفن كفَّ الدمع حين هما
 أصبتمُ بسهامِ اللحظِ مُهَجَّتُهُ فهل يلامُ إذا أجرى الدموع دماً
 قد صارَ بالسقم من تعذيبكم علماً ولم يبيحْ بالذي من جوركم علماً
 فما على صامتِ أبدى بصدكم فما في كلِّ جارحة منه السقام فما
 وقوله في مرثية بالعضات مثرية^(٤) :

/ شيمُ الأيامِ صندُّ بعد ودِّ والليالي عهدُها أهونُ عهدِ
 [١٣٩ ظ]

(١) إلى هنا ينتهي النقل من ابن خلكان والقارئة على غيره مما ذكرناه
 (٢) في القرب : تفتق
 (٣) هكذا في القرب وفي الأصل : ولما
 (٤) في الأصل : مثرية

إن أعانتُ عدلتُ أو خذلتُ سَلَبْتُ أو وجدت راعت بفقْدِ
 أفَّ للذُّنيا فكم تحدعنا من حِيَاهَا^(١) بِمَعَارٍ مُسْتَرَدِّ
 ما وَقَتُ أعوامُ قُرْبٍ بالذي جَنَّتِ اللوعةُ من ساعة بُغْدِ
 يا أبا العِرَّةِ حَسْبُ الدهر من عِظَةِ المَرورِ ما أصبح يُبْدِي
 تؤثرُ الدنيا فهل نلتَ بها لحظةً تخلصُ من همٍّ وكَدِّ

٢٤ - الشيخ أبراهيم بن علي بن الحسن المؤدب

قرأت في مجموع له :

وأهيفُ كالقضيبِ مُعْتَدِلًا باتَ بروضِ الجِمالِ مَنرُوسًا
 أمْرٌ بالشمسِ والظلامِ وهل يجتمع الصبْحُ والحناديسا
 سُمِّيَ باسمِ المسيحِ وهوَ على ضدَّ الذي كانَ فاعلاً عيسى
 فذاك يُحْيِي وذا يميتُ ضَنَا صبًّا عليلًا لديه لا يُوسَى
 تحكُّمُ في النشوسِ يملكها مثلَ سليمانَ عرشَ بلقيسا
 يتقفُ السحرَ سحرُ ناظره كأنما لحظةً عصا موسى

وله في ذم العذار :

انقعَ غليلَ الأسي بدمعٍ تُقْرِحُ أسرابُهُ الجفونا
 / محاسنك السمرُ من خدودِ أثبتَّ في صحنها شجونا
 ما دبَّ في عارضيكِ حتى بذلتَ من نفسك المصونا
 فلا عدمننا اللحي فإنَّا بها نروضُ الفتى الحرونا

[١٤٠ و]

(١) الحياء : العطاء

٢٥ - الشريف أبو الحسن

علي بن محمد الرؤففس المغربي الشاعر

كنت أسمع التجار من أهل مصر وغيرهم من أهل الشام يصفونه ويُظرونه ،
وعلى من بمصر من الشعراء يقدّمونه ، فإذا استنشدهم أحدٌ شعره قالوا ما نحفظه .
لكننا لقبوله بمصر بعين الفضل نلحظه ، حتى أنشدني الشريف أحمد^(١)
ابن حيدرة الزيدى الحسيني شعره ، فوجدت موافقا لخبره خبره . أنشدني له من
قصيدة في المنبوز بالآمر^(٢) :

مَتَى دِمَنَ السَّقْحِينَ لِلْقَطْرِ صَيِّبُ وَحَيَّا رَبِّي حَيَّ رَبًّا فِيهِ رَبِّ رَبِّ
فَهَلْ لِي إِلَى شَهْدِ اللِّوَاعِسِ مَشْهَدٌ وَهَلْ لِي إِلَى شَيْبِ الْأَحْيَةِ مَشَقَبٌ
وَمَا لِي عَنِ شَرِّ الصَّبَابَةِ مَشْرَعٌ وَمَا لِي إِلَّا مَذْهَبَ الْحَبِّ^(٣) مَذْهَبُ
وَفِي الْحَيِّ رُودٌ فِي عِذَابٍ وَرُودِهَا عَذَابٌ يُذِيبُ الْعَاشِقِينَ وَيَعْدُبُ
عَلَى نَحْرِهِ يَطْفُو عَلَى الْمَاءِ جَوْهَرٌ وَفِي خَدِّهِ تَسَعَى عَلَى النَّارِ عَقْرَبُ
إِذَا غَرَبَتْ فِي فِيهِ شَمْسٌ مُدَامَةً فَشَرَقَهَا مِنْ خَدِّهِ حَيْثُ تَغْرِبُ
بِرُوضِ بَدِيعِ الْحَسَنِ أَمَا شَقِيقُهُ فِخْدٌ وَأَمَا الْأَخْوَانُ فَأَشْنَبُ^(٤)
سَمَاءَهُ كَلًّا لِلْمَاءِ فِيهِ سَجْرَةٌ وَلِلرُّودِ شَمْسٌ وَالشَّقَائِقِ كَوْكَبُ

[١٤٠ ط]

(١) سيعرف به العباد فيما بعد وهو مدني الأصل مصري اللولد رحل إلى العراق .

(٢) الأصر : السابع من خلفاء مصر الفاطمية تولى من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤ هـ .

(٣) في الأصل : الحد

(٤) الأشنب : الثغر فيه رقة وبرد وعذوبة

كَأَنَّ غُصُونَ الْأَيْكِ عَادَتْ مَنَابِرًا
 وَغَنَّتْ عَلَى الْأَوْرَاقِ وَرُزْقُ كُنْهَآ
 بِإِيلٍ مِنَ الْبَدْرِ الْمَنِيرِ مَفْضُضٍ
 تَعَسَّفَتْهُ لَمَّا تَنَصَّلَ بِالضُّحَى
 وَهَجَّرَتْ الرِّمَاضَ وَالْآلُ مَأْمَحٌ (١)
 وَقَدْ زَجَلَتْ (٢) جُنُّ الْفَلَاةِ بِمَهْمِهِ
 إِلَى ذُرُورِ النُّورِ الْمَلَائِي (٣) إِنَّهُ
 وَأُنشِدُنِي لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوْلَاهَا :

مَتَى يَشْتَقِي الْمَشْتَاقُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَسَى
 وَدَائِي دَوَائِي ، وَالْأَسَى مَعْدِنُ الْأَسَا

١٠

ومنها :

غَزَالٌ كَحِيلِ الْطَرَفِ أَحْوَى (٤) مُفْلَجٌ
 وَيَقُولُ كِتَابَ السَّحْرِ مِنْ لَحَظَاتِهِ
 تَدَّرَعُ جَلْبَابَ الْمَلَاخَةِ وَكَتَمَى
 كَأَنَّ لَدَيْنَ السَّحْرِ فِيهَا مُدَرَّرَسَا

ومنها :

أَلَا فَاتَّخِذْ تِلْكَ الرِّيَاضَ مَنَازِحًا
 وَكُنْ بِظَبَاءِ الْإِنْسِ صَبًّا مَتَبًّا
 لَهُ اسْمٌ مَتَى مَا شِئْتَ كَشَفَ غِيُوبَهُ
 فَإِنَّ أَمِيرَ الْغَيْثِ فِيهِنَّ عَرَسَا (٥)
 بِأَشْنَبَ مَعْسُولِ الثَّنِيَّاتِ (٦) أَلْعَسَا (٧)
 كَمَا يَكْشِفُ الصَّبْحُ الْمَبْلُجُ حِنْدِسَا

(١) الآل : السراب ، ومأخ : من ماح الدلو إذا ملاًها ماء

(٢) زجلت : غنت (٣) في الأصل : الفلاني

(٤) أحوى : أسود الشفة (٥) التعريس : النزول ليلا

(٦) الثنيات : جمع ثنية وهي الأسنان في مقدم الثغر .

(٧) اللعس : لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد .

/ مُدَامٌ وَحُورٌ ثُمَّ مِسْكٌ وَدَمِيَةٌ فهذا اسم^(١) ظليّ جلّ أَنْ يَتَقَيَّسَا [١٤١ و]
 وَأُنشِدُنِي لَهُ فِي وَوَلَدِ تَقِيْبِ الْعَلَوِيِّينَ بِمِصْرَ الْمَلَقْبِ بِأَنْسِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ مَقْدَمًا
 عَلَى الشُّعْرَاءِ لِنَسَبِهِ ، وَشِعْرُهُ نَازِلٌ :

سَمَتْ بِابْنِ أَنْسِ الدَّوْلَةِ الرَّتْبُ الَّتِي تَطَاوَلُ قَرْنَ الشَّمْسِ حَتَّى تَطُولَهُ
 يَحَاوِلُ قَوْلَ الشُّعْرَايَةِ جُهْدِهِ وَتَأْبَى لَهُ أَعْرَاقُهُ أَنْ يَقُولَهُ
 وَكَمْ قَائِلٍ لَمَّا ذَكَرْتُ انْتِسَابَهُ لَأَلِّ رَسُولِ اللَّهِ هَاتِ دَلِيلَهُ
 فَقُلْتُ لَهُمْ أَقْوَى دَلِيلٍ أَقْتَهُ عَلَيْهِ بَأَنَّ الشُّعْرَ لَا يَنْبَغِي لَهُ
 وَأُنشِدُ أَيْضًا الْأَمِيرَ أَسَامَةَ بْنَ مَنقَذِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَقَالَ : كُنْتُ فِي خِدْمَةِ ابْنِ
 عَمِّهِ وَهُوَ يَنْشُدُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، وَأُنشِدُنِي لَهُ فِي الْعِذَارِ بَيْتَيْنِ أُغْرِبُ فِي مَعْنَاهُمَا
 عَلَى الْإِبْتِكَارِ :

وَكَأَنَّ الْعِذَارَ فِي مُجَرَّةِ الْخُدِّ عَلَى حُسْنِ خَدِّكَ الْمَنْعُوتِ
 صَوْلَجَانٌ مِنَ الزُّمُرُودِ مَعْطُوفٌ عَلَى أُكْرَةٍ مِنَ الْيَاقُوتِ
 مَا أَحْسَنَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، لَوْلَا أَنَّهُ ذَكَرَ الْخُدَّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مَرَّتَيْنِ . أَقُولُ :
 الشَّرِيفُ الْأَخْفَشُ ، بِسَمَاعِ شَجَرِهِ مَيِّتُ الْحَسِّ يَنْعَشُ ، وَخَلَى الْقَلْبَ يَدْهَشُ ، فَهُوَ
 كَالدِّيْبَاجِ الْمَنْقَشِ ، وَالْبِسْتَانَ الْمَعْرَّشِ ، مَذْهَبُهُ فِي / التَّجْنِيسِ مُذْهَبٌ ، وَنَظْمُهُ فِي [١٤١ ظ]
 سَمَاءِ الْفَضْلِ كَوَكْبِ ، وَاسْتِنْقَالِي بِتَكَرُّرِ الْخُدِّ فِي وَصْفِ الْعِذَارِ كَمَا حُكِيَ عَنْ
 ابْنِ الْعَمِيدِ أَنَّهُ اسْتَنْقَلَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ :

جَوَادٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَمَتَى مَا لُمْتَهُ لُمْتَهُ وَوَحْدِي
 فَقَالَ : تَكَرَّرَ أَمْدَحُهُ ثَقُلُ رُوحٌ ، وَقَابِلُ الْمَدْحِ بِاللُّومِ وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يُقَابَلَ
 بِالْهَجَاءِ وَهَذَا نَظْرٌ دَقِيقٌ .

(١) يُشِيرُ إِلَى أَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدٌ .

ونقلت من بعض التعليق بدمشق من قصيدة للأخفش في عبد المجيد المنبوز

بالحافظ بمصر :

ذَكَرَ الدَّوْحَ بِشَاطِئِ بَرْدَى وَحَبَابًا فِيهِ يَطْفُو بَرْدَا
وَالصَّبَا تَمْرُحُ فِي أَرْجَانِهِ فَتَصَوِّغُ المَوْجَ مِنْهُ زَرْدَا
يَتَمَنَّى القَرْنَ أَنْ يَلْبَسَهُ بَيْنَ أَبْطَالِ الوَعْيِ لَوْ جَمَدَا
رَكَدَتْ سَارِحُهُ الرِّيحَ بِهِ فَجَرَتْ خَيْلًا وَمَرَّتْ سَرْدَا
يَنْثُرُ البَدْرُ عَلَيْهِ فَضَّةً وَتَذِيبُ الشَّمْسُ فِيهِ عَسْجَدَا
رَشَاءٌ لَوْ لَمْ تَكُنْ رَيْفَتُهُ قَهْوَةً صَافِيَةً مَا عَرَبَدَا
تَحْجِبُ الكَلَّةُ مِنْهُ قَمْرًا وَيَحْوِزُ الدَّرْعُ مِنْهُ أَسَدَا
قَمْرٌ إِنْ هَزَّ رَمْحًا فِي الوَعْيِ هَزَّ مِنْ عَظْمِيهِ غَضَنًا أَمْلَدَا
لَيْتَهُمْ إِذْ مَنْطَقُوا أَعْطَافَهُ بِالثَّرِيَا قَلْدُوهُ القَرْقَدَا
طَافَ بِالرَّاحِ التِّي لَمْ تَدَّرِعْ بِحَسَامِ المَزْجِ إِلَّا زَبَدَا
فَعَلَاهَا دُرَّةٌ يَاقوتَةٌ ذَابَ سَقَمًا جِسْمَهَا فَاطَّرَدَا

[١٤٢ و] / ومنها في المديح ، وقد أفضى به الغلو إلى الكفر الصريح :

صِرْفُ جِرْيَالٍ يَرَى تَحْرِيمَهَا مِنْ يَرَى الحَافِظَ فَرْدًا صَمَدَا
بَشَرٌ فِي العَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ طَرِيقِ العَقْلِ نُورٌ وَهَدَى
جَلَّ أَنْ تَدْرَكَهُ أَعْيُنُنَا وَتَعَالَى أَنْ تَرَاهُ جَسَدَا
فَهُوَ فِي التَّسْبِيحِ زُلْفَى رَاكِعٍ سَمِعَ اللهُ بِهِ مِنْ حَمْدَا
تَدْرِكُ الأَفْكَارُ فِيهِ نَبَأً كَادَ مِنْ إِجْلَالِهِ أَنْ يُعْبَدَا

واقبصرت على هذه أتمودجا لشركه ، وأخرت الباقي من سلكه ؛ وأنشدت

له مطلع قصيدة :

عوجا بمنعرج السفحين أو رُوْحًا فقد قضى مَزْبَعٌ كُنْتُمْ له رُوْحًا
وللشريف الأخص من قصيدة يمدح فيها الشريف القاضي المفضل إمام
ابن حيدرة بن علي قاضي بليس - كان - وأولها :

لنجران ، فالبرقُ الحجازيُّ أْبْرَقًا وعُشْمَان ، فالزُّنُّ اليمانيُّ أودقًا^(١)
ومن جملتها :

شريفٌ يدُ الشرع انتقت منه قاضيًا فكان لهذا الدين أفضلَ مُنتَقَى
خلائقُهُ في العدلِ تَرْضَى وترْتَجِي وسطوته في الحقِّ تُخَشَى وتُنْتَقَى
إذا ما تَعَدَّى ماردٌ لسائه أعدَّ له نجمًا من القَدْفِ مُحْرِقًا
/ يُثَبِّتُ مَنْ لَمْ يَرَقْ في ذروة العُلَا ويَدْحَضُ عن عَرشِ المعالي مَنْ أَرْتَقَى [١٤٢ ظ]
وسَبَّاقُ غَايَاتِ بَاطِءٍ وَتُبَّيْ ولم يُبْطِ بالتثبيتِ إلا ليسبقا
هو الغيثُ يَمْمُهُ إذا كان مُمَطَّرًا وخُذْ حذرًا منه إذا كان مُصْعِقًا
وما أصفَرَ لونُ التبرِ عند اجتماعه بكفيه إلا خيفةً أن يُفْرَقَا
وآخر هذه القصيدة :

فلا طَمَحَتْ بي نحو غيرك عَزْمَةٌ ولا باتَ بابٌ منك دوني مُغْلَقًا

١٥ ومن شعراء بني رزبك :

٢٦ - الخطيب المفير أبو الفاسم* هبة الله بن برر المعروف بابن الصياد

وجدت له في مجموع ألفه الجليس بن الحباب^(٢) في شعراء ابن رزبك
والمداح فيه ، من قصيدة أولها^(٣) :

(١) في الأصل : أبرقا ، وأودق اللزن : نزل .

* ترجم له ابن سعيد في المغرب نسخة دار السكتب المجلد الثاني الورقة ١٧١ ولم يزد
في ترجمته عما ذكره الهاد .

(٢) في الأصل : الجنان وهو تحريف .

(٣) نقل ابن سعيد نص هذه العبارة فقال : « ذكره صاحب الخريدة وقال : وجدت له
في مجموع ألفه الجليس بن الحباب في مدائح شعراء ابن رزبك قوله من قصيدة في ابن رزبك الخ » .

بسمي عن التَّعْدَالِ فِيكَ تَصَامُمٌ فُجْهِدِي عَصِيَابِي إِذَا لَامَ لِأَمِّمْ
منها يصف عدوه :

ولما رأى الغدَّارُ قُرْبَ حُلُولِهِ تَيَقَّنَ أَنَّ الْمَوْتَ مَا مِنْهُ عَاصِمٌ
ولو كان ذا حَزْمٍ لَمَا حَامَ قَبْلَ أَنْ يَرَى الْخَلِيلَ بَلْ مِنْ قَبْلِ تَبْدُؤِ الصَّوَارِمِ
أَمَسْتَخْبِرُ هَلْ مِنْ قَدَارٍ^(١) لَرِيْشَةٌ عَلَى هَزِّ بَحْرِ مَوْجُهُ مِتْلَاطِمِ •

[٦٧ و] / وله فيه من قصيدة :

كَأَنَّ اخْتِطَافَ الْهَامِ عِنْدَكَ بِالظُّبَا ابْتِهَاجًا بِهِ يَوْمَ الْوَعْيِ ثَمَرٌ يُجْنَى
غَدَاةً جَعَلْتَ الْبَيْضَ أَعْمَادَهَا الطُّلَا وَخَيْلَ الْعِدَا تُقْنَى وَسُمَرَ الْقَنَا تُقْنَى^(٢)
وله من قصيدة يذكر فيها قتله أرناط^(٣) مقدم خيل الفرنج :

عَنْ سَيْفِ دِينِ اللَّهِ سَلُّ أَرْنَاطَا حَيْثُ الْمَنِيَّةُ كَاسُهَا يُتَعَاطَى ١٠
وَالْمَشْرِفِيَّةُ قَدْ حَكَّتْ فِي جَيْشِهِ فِي الْعَلِّ وَالنَّهْلِ الْقَطَا الْفُرَاطَا^(٤)
قَدْ شَامَ طَيْرُ الْكُفْرِ مِنْهُ مِنْسَرًا أَشْفَى^(٥) وَعَيْنٌ مِجْلِبًا عَطَاطَا^(٦)
هُوَ مُلْبَسٌ جُثَّ الْعِدَا فِي الْحَرْبِ مِنْ حُلِّ النَّجِيعِ مَجَاسِدًا وَرِيَاطَا^(٧)
فِي يَادِهِ تُشْكُو مِزَاحِمَةَ الْقَنَا وَتَرْدُ خِرْصَانَ الرِّمَاحِ سِيَاطَا
هُوَ فَارِسُ الْإِسْلَامِ يَحْفَظُ بِالظُّبَا مِنْ دِينِهِ الْأَطْرَافَ وَالْأَوْسَاطَا ١٠

(١) قدار : قدرة .

(٢) تقنى الأولى من الاقتناء ، والثانية مخففه من تقناً أى يصحح لونها فائماً .

(٣) انظر حروب طلائع في الروضتين ١/١١٥ ، ١/١٢١ .

(٤) الفراط : المتندم إلى الورد .

(٥) المنسر الأشفى : المنسر لسباع الطير هو المنقار أفيها ، والأشفى : الذى تختلف

أسنانه طولاً وقصراً وتسمى العقاب الشفواء (٦) عطاطا : حادا يشق شقاً .

(٧) الرياط : الثياب البينة الرقيقة ، والملاءة ، والمجاسد : الثياب التى تلى الجسد .

كم قد أنارَ من الأسيْنَةِ أنجما
فتخاله ملكاً رمى بشهابه
لما أثار من العجاج غطاطاً^(١)
في الرّوعِ شيطانَ الحروبِ فشاطا
وله من أخرى :

شردّتهم حتى لقد قاسوا على
سيئوا العذابَ وذكّرهم حالهم
تلك العقابِ^(٢) أليم كلِّ عقابِ
حفظت أيامٍ سلّقت عذاب
هابوك فاندعروا ومن أعدارهم
أن السّوام تهابُ ليث الغاب
وله من أخرى :

الله أنت على أقبّ مطهم^(٣) /
نهدي^(٤) بجوزاء السماء مُشَنَّفِ^(٥) [٦٧ ظ]

ومنها :

أضرمّت في أكبادهم من بعده
فقواد^(٦) ذى الجأشِ الربيطِ مخافةً
بالنصل نارَ تأشفٍ وتلَهفُ
يحكى جناحَ الطائرِ المترفرفِ
وله من أخرى :

وشردّها إشفاقها منك فاغنتد
فذلّوا كأنّ العزّ ما كانَ بينهم
تري الأرضَ خوفاً وهي من ضيقها فترُ
وصاروا كأنّ الفقرَ عندهم قَبْرُ
وله من أخرى :

أضحت لواتة^(٧) شردّا من بأسه
فلدتهم سعةُ الفضاءِ مَضيقُ

(١) الغطاط : بقية من سواد الليل والسحر .

(٢) العقاب : جمع عقبة وهي المراقى الصعبة .

(٣) الأقب : من الخيل الضامر ، ومطهم : عظيم الوجنات .

(٤) النهدي : الفرس الجسيم الوسيم (٥) مشنف : من الشنف وهو القرط

(٦) في الأصل : فقوادى

(٧) لواتة : قبيلة مغربية ، ومعروف أن الجيش الفاطمي كان جزء كبير منه ، من المغرب .

لم يضر بوا طنباً^(١) لظوفهم فهم مثل الوعل إذا حواها النيق^(٢)
 إن غاب فيهم وجهه فخاله ليلاً كما هو في النهار طروق
 لو هبت الريح اغتدى لساعها قلب الشجاع القلب وهو خفوق
 جعلوا الهزيمة عنه برّاً إذ لهم لسواه في شقّ العصى عقوق

- وسمعت أن هذا ابن الصياد كان من شعراء الصالح بن رزيك . وكان سريع الخاطر في النظم لا يقف قلمه ، ولا يتنضع فيه علمه ، ويفريه الصالح بجلساته يهجوم وكانوا يتعرضون به وسمعت أن ابن الحباب كان كبير الأنف وكان ابن الصياد [٦٨ و] مولعاً بأنفه قد هجاه بأكثر من ألف مقطوعة وما كان / يصدده شيء عنه حتى انتصر له أبو الفتح بن قادوس فقال فيه :

١٠ يا من يعيب أنوفنا الشم التي ليست تعاب
 الأنف خلقه ربنا وقرونك الشم اكتساب

٢٧ - ابن قيسر * من أهل الاسكندرية

كان كثير المنظوم ، قليل الجيد منه .

قرأت في مجموع : كتب الفقيه الرشيد أبو الحسن علي بن قيسر في جواب

١٥ كتاب :

وصل الكتاب فلا عدمتُ يدًا نثرت عليه جواهر الكلم
 وعجبت كيف ترى لها أثرًا وبناتها يهنل كالديم

(١) الطنب : الحبال تشد بها الخيام (٢) النيق : أرفع موضع في الجبل .

* عرف به السلفي في معجمه (نسخة دار الكتب المصرية) الورقة ١٩٣ وقال : هو

أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الأزدي كان من أهل الأدب والفقه ويعرف بابن قيسر وكان كثيراً ما يحضر عندي وعلقت عنه مقطعات كثيرة .

ووجدتُ له في مجموع شعراء ابن رزيك قصيدة فيه أولها :

الصبرُ عن بانِ الحمى وعقيقه في حقِّ ساكنه أجلُّ عُقوبه
ظبيُّ ظُبا الحَاظه فتَّاكةٌ تُعنيه يومَ الروعِ عن إبريقه
لوقال يوم الأُنس :

• سيانِ عندي الحمرُ في إبريقه أو ما حواه ثمره من ريقه
أين هذا من قول ابن حَيوس :

فعلُ المدامِ ولونها ومدافها في مُقلنتيه ووجنتيه وريقه
تمام قصيدة ابن قيسر :

لا فرقَ بين خياله ووصاله في سرِّد^(١) ماطله وفي تحقيقه

١٠ / ومنها :

[٦٨ ط]

والله ما للشمس في إشراقها وضياءً بهجتها كبعض شروقه
كالرُّثمِ حالَ نفاذه ، والبدر عند كماله ، والغصنِ عند بسوقه
لا تجعلِ المجرانِ بعضَ عقوبتي فتكلَّفَ السُّلوانَ غيرَ مطيقه
وأرفقُ فمن دينِ المرؤةِ في الهوى وعداته رفق الهوى برفيقه
والله ما صدقَ الملامُ ولا جرى ١٠
كلُّ الجوارحِ في يديه فأياها يُضغى لزورِ العذلِ أو تنميقه
فَدَرِ الملامِ فبذاه لذكوره فيه ، ملامِ الصبِّ في معشوقه^(٢)
يا راكبِ المهريِّ أضحى ظلُّه في عُرْضةِ البَيْداءِ من مسبوقة
بلنَّ إلى المَلِكِ الهمامِ أمانةً تليغها للحرِّ من توفيقه

(١) سرد : نسج وصوغ .

(٢) الشطر في الأصل : فيه قلوب الصب من معشوقه

حَتَامَ حَظَلِي فِي الْحَضِيضِ ؟ وَإِنَّهُ فِي الْفَضْلِ عِنْدَ النَّاسِ فِي عَيْشِ وَقْتِهِ
مِثْلُ بَمَصْرَ وَأَنْتَ مَالِكُ رِقَّةٍ مِثْلُ الْعُقَابِ مُفْرَدًا فِي نَهْقِهِ (١)

ومنها :

وَاللَّهِ حَلْفَةً صَادِقٍ بَرٍّ بِهَا يُضْطَرُّ سَامِعُهَا إِلَى تَصَدِيقِهِ
لَوْ كُنْتُ أَرْضَى الشَّعْرَ خَطَّةً فَاضِلٍ لَجَمَلْتُ عِرْضَكَ رَوْضَةً لِأَنْيَقِهِ .

ومنها :

إِنَّ الْحَدِيثَ صَلَاحُهُ بِصَلَاحِ مَنْ هِيَ كَذَاكَ فُسُوقُهُ بِفُسُوقِهِ
[٦٩ و] / وَالصِّرْفِيُّ يَبِينُ عِنْدَ مُحْكَمِهِ كَمْ بَيْنَ خَالِصِهِ إِلَى سِتْوَقِهِ (٢)
وَلَقَدْ أَشَاعَ النَّاسَ أَنْكَ فِي الْوَرَى مِنْ لَيْسَ يَنْفَقُ بَاطِلٌ فِي سَوْقِهِ
أَبْطَلُ بَنُورِ الْعَقْلِ سُلْطَانَ الْهَوَى وَأَعْمَلُ بِكُلِّ الْجَهْدِ فِي تَطْلِيْقِهِ .

فأجابه الصالح بن رزيك بقصيدة منها :

نَفَقَ التَّادِبُ عِنْدَنَا فِي سَوْقِهِ وَبَدَا الْيَقِينُ لَنَا بَلَمَعِ بَرُوقِهِ
أَهْدَى لِي الْقَاضِي الْفَقِيهُ عِمْرَانًا فِيهَا بَدِيعُ الْوَشْيِ مِنْ تَنْمِيقِهِ
فَأَجَلْتُ طَرْفِي فِي بَدِيعِ رِيَاضِهِ مِنْ وَرْدِهِ وَبِهَارِهِ وَشَقِيقِهِ
فَكَأَنَّمَا اجْتَمَعَ الْأَحْبَةُ فَانْبَرَتْ يَدُ عَاشِقٍ تَهْوِي إِلَى مَعْشُوقِهِ
أَدَبٌ سَعَى مِنْهُ إِلَى غَايَاتِهِ وَأَتَى فَسَدَّ عَلَيْهِ مَرَّ طَرِيقِهِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ فَضْلَكَ سَابِقُ يُعْتَدُّ مَنْ جَارَاهُ مِنْ مَسْبُوقِهِ
فَلَذَا اقْتَصَرْتُ وَلَمْ أَرِ الْإِمْعَانَ فِي شَأْوِ امْرِئٍ أَصْبَحَتْ غَيْرَ مَطِيقِهِ
وَأَرَى الزَّمَانَ جَرِي عَلَى عَادَاتِهِ فِي جَمْعِهِ طَوْرًا وَفِي تَفْرِيقِهِ
وَالشُّوقُ فِي قَلْبِي تَضَرَّمَ وَهَجُّهُ فَتَى أَرَاهُ يَكْفُ عَنْ تَحْرِيقِهِ .

(٢) الستوق : الزائغ .

(١) النيق : أعلى مكان في الجبل .

والدمعُ من عيني يسحُ فهل يرى من بجره يوماً نجاةً غريقه
 ترهتُ في بستانِ نظمك ناظري فحظيتُ من زهرِ الربِّي بأنيقه
 يا من تدلُّ فنونُ ما يأتي به من حلي منطِقِه على توفيقه
 أنت امرؤٌ من قال فيك مقالةَ الغالي^(١) فكلُّ الخلقِ في تصديقه
 / وأنا أرى تقديمَ حاجةٍ صاحبي من دون حاجاتي أقلَّ حقوقه [٦٩ظ]
 وكذا الكريمُ فهملُ لأموره لا مهملُ أبداً أمورَ صديقه
 هذا النجاحُ ، فكل ما قد رُمتهُ قد تمَّ^(٢) فانظرُ منه في تحقيقه

٢٨ - محمد بن هانيء*

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مفضل الأزدي الأندلسي موضعه مع شعراء الأندلس واتفق إيرادها هنا وينسب إلى ابن هانيء الغربي الأندلسي .
 كان في العصر الأقرب ، وهو معروفٌ بالنظم المهدب ، وتوفى في آخر أيام الصالح بن رزيك قبل سنة ستين ، على ما سمعته من المصريين ، وطالعت ديوانه بمصر فنقلت منه ما انتقدته ، وعقلت ما عقده ، ونسخت ما نسخ السحر ، ونسج الزهر ، وانحلت العقودُ الصحيحةُ لنسيم شمال أسحاره ، وتمثلت العقول الصاحيةُ لتسليم^(٣) شمولِ عقاره . ووجدت له على قافية الممزة من قصيدة :

سدلتُ غداً شعرياً أسماءَ وسرتُ فما شعرتُ بها الرقباءُ
 والليلُ تحت سنا الصباحِ كأسودٍ وضحتُ عليه عمامةٌ بيضاءُ

(١) التالي : المرق في مديحه (٢) في الأصل : عم

* عرض له ابن ظافر في كتابه بدائع البدائيه (طبع بولاق) ص ٢٢٤ وروى أنه هجا الموفق بن الخلال فاضطعن ذلك له واتهمز فرصة لإنشاده للحافظ الخليفة الفاطمي ذات مرة ، فلما سأله عنه نوه به ، إلا أنه تأسف لشعره في هجاء الحافظ ، ألغى للموقف على البديهة ، فكان ذلك سبباً في قطع صلته وكاد أن يفرط الحافظ في عقوبته ولم يحصل له انتعاش من جهته — كما يقول ابن ظافر — طول مدته . (٣) التسليم : الاملاء

زارتُ نَعَامَاهَا^(١) وزارَ خيالها
 ومشتُ تَمِيسُ بِجُرِّ فَضْلِ ذِيولها
 هُنَّ المَاهَا بِحَوِي كُنَاسُ قلوبنا
 يُوحِشُنَّ أَفئدةً وهنَّ أوانِسُ
 وتحولُ دونَ قبابها هنديةً
 بيضاء ، أو يَزَنِيَّةُ سمراء

ومنها في المخلص :

لأُزِقَنَّ حشا الدُّجَنَةِ نحوها
 في متن زنجيٍّ الأديمِ كأنما
 وكانَ محمَّرَ البروقِ صوارمُ
 أو يَثْنِيَّتِي لا أزرُ خيامها
 والليلُ قد دَهَمَتْ به الدهناء^(٤)
 صَبَقَتْهُ مما خاضها الظلماء
 سُحِّحَتْ على صفحاتهنَّ دماء
 ولأسعدَ القاضى الأشمُ مضاء

ومنها في المدح وتقريره بالقضاء :

قاضي له دينٌ وصدقُ شهادةٍ
 وعدالةٌ حَفِظَتْ بعقلٍ راسخٍ
 ذو الجاه فيها والضعيفُ سواء
 لا تستميلُ جنابهُ الأهواء

وله من أخرى أولها :

لمن الأنساتُ وهى ظباه
 والشموسُ التي لوينَ غصوناً
 واليعافيرُ^(٥) حُجْبُها السَّيراء
 لمَ تَرَنِّحُ خصورها صهباء
 فاختنى في القُدودِ أرى^(٦) وراح
 وبدا في الحدودِ نارُه وماء

(١) النعamy : ربح الجنوب (٢) تيماء : مدينة في شمال الحجاز .

(٣) السيراء : نوع من البرود فيه خطوط صفراء ويخالطه حرير .

(٤) الدهناء : القلاة ، ودهمت : أسودت من الدهمة وهي السواد .

(٥) اليعافير : جم بغير وهو الظبي الأورق أو الرمادي . (٦) الأرى : العسل

[٧٠ظ] / تنثنى قامةً وتَجْرَحُ طَرْفًا ففَى السَّمْهَرِيَّةِ^(١) السَّمْرَاءِ
طَرَقَتْ وَالْكَبَاءِ^(٢) وَالْمَنْدَلِ^(٣) الرُّطْبُ عَلَيْهَا وَحَلِيمَا رُقَبَاءِ

ومنها :

وَدُوَيْنَ الْفَتَاةِ أَيْضُ رُقْرَا قُ الْحَوَاشِي وَوَلَامَةٌ خَضْرَاءُ
وَفَتَى لَاحَ فَوْقَ أَدْهَمِ نَهْدٍ قَرَأَ فِي عَنَّانِهِ ظِلْمَاءُ
وَكَأَنَّ تَجْلُو الْأَسْنَةَ شُهْبًا وَدُجَاهَا الْعَجَاجَةُ الشَّهْبَاءُ
تَصْدُرُ الْمَرْهَفَاتُ عَنْ مُورِدِ الْهَاءِ مِ كَمَا ضَرَّحَ الْخُدُودَ حَيَاءُ
يَا لِحَى اللَّهِ رَيْبَ دَهْرٍ خُوُونٍ سَادَ فِيهِ كِرَامَةُ الْوُؤَاءِ !
وَرِمَانًا نَجْبَهُ ! فَكَأَنَّا حِينَ يَسْطُوبُنَا - لَهُ أَعْدَاءُ

١٠ ومنها في الخُصِّص :

بِالْعَلَا يُعْرَفُ الْكِرَامُ وَلَكِنْ عُرِفَتْ بِالْمُؤَفَّقِي الْعَلِيَاءِ
مَاجِدٌ لَوْ عَرَا اللَّيَالِي دَاءً كَانَ فِي رَأْيِهِ لَهْنٌ شَفَاءُ
رَاحَةٌ لَا تُرَاحُ مِنْ هَدْمِ جُودٍ بَيْنَانٍ لَهَا الْمَعَالِي بِنَاءُ
هَدْمُ الْجُودِ لَيْسَ بِتَقْرِيطٍ ، وَإِنَّمَا الْمَدْحُ لَوْ قَالَ مِنْ هَدْمِ الْمَالِ بِالْجُودِ .

١٥ فَهُوَ وَالِدُهُرُ حِنْدِسِيٌّ بِهَيْمٍ غُرَّةٌ فِي جَيْبِنِهِ زَهْرَاءُ
وَلَوْ أَنَّ الصَّبَا لَهَا مِنْهُ عَزْمٌ نَهَضَتْ بِالْجِبَالِ وَهِيَ رُخَاءُ
طَوْدٌ حِلْمٌ رَسَتْ بِهِ الْأَرْضُ لَمَّا شَمَخَتْ مِنْهُ ذِرْوَةٌ شَمَاءُ

/ ومنها :

[٧١و]

ذِكْرُكَ الرَّاحُ وَالْمَذَكَّرُ سَاقٍ وَكَأَنَّ الْمَسَامِعَ الثَّدْمَاءُ

(١) السهمرية : الرماح الصلبة

(٢) الكباء : عود البخور

(٣) المنديل : عود الطيب .

فلذا ما أديرَ حمدك صِرْفًا هزَّ أعطافنا عليك الثناء

وله في جارية رقاصة :

ولطيفة في الرقص يُعْطَفُ قَدُّهَا كَتَعَطَّفِ الْبَزْنَیَّةِ السَّمَاءِ
تَخْتَصُّ بِالْحَرَكَاتِ مِنْهَا سُرْعَةً كَتَخْضُصُّ الْأَرْوَاحَ بِالْأَعْضَاءِ
خَفَّتْ فَلَوْ رَقِصْتَ بِأَعْلَى لُجَّةٍ مَا بَلَّ أَحْمَصَهَا حَبَابُ الْمَاءِ

[الباء] وله :

وَأَغْيَدَ خَدَّهُ بِنَدَى فَيَجْرِي عَلَى وَرْدِيَّةِ الدُّرِّ الْمَذَابِ
صَنَا مَاءِ الشَّبَابِ بِوَجْنَتَيْهِ فَلَاحَ عَلَيْهِ مِنْ عَرَقِ حَبَابِ

وله في الأوصاف :

نَدِيمِي أَفَقٌ فَالْفَجْرُ قَدْ لَاحَ ضَوْؤُهُ كَمَا سَالَ نَهْرٌ أَوْ كَمَا سُلَّ مِقْضَبُ
وَذَا فَلَكِ سَاقٍ يَدِيرُ كَوُوسَهُ نَجُومًا إِذَا وَافَتْ فَمَ الْغَرْبِ تُشْرَبُ
وَقَدْ شَاخَ زَنْجِيُّ الدُّجَى وَالَّذِي بَدَأَ بِهِ مِنْ هَلَالٍ حَاجِبٌ لَاحَ أَشْيَبُ

وله من قصيدة :

أَوْدَعُوا الزُّهْرَ (١) حُدُوجًا وَقُبَابًا وَسَرَّوْا فِي شَعْرِ اللَّيْلِ فِشَابًا
وَلَوَى الطَّرْفُ سَنَاهُمْ فَانْبَرَى يَحْسِبُ الْجُرْدَ الْيَعَابِيبَ (٢) الرَّكَابَا
/ صَيَّرُوا الْجَنَحَ سَنَا الصَّبْحِ وَمَا سَقَرُوا عَنْ غُرْرِ الْعَيْدِ نِقَابًا [٧١ظ]
إِذْ تَوَارَى الْفَجْرُ بِاللَّيْلِ كَمَا وَلَجَ السِّيفُ الْيَمَانِيُّ الْقِرَابَا
وَحَنَى قَوْسَ هَلَالٍ رُبَّمَا طَرَدَتْ سَهْمًا رَأَيْنَاهُ شَهَابَا

(١) في الأصل : الزمر .

(٢) اليعبوب : الجواه السريع ، والأجرد : ذو الشعر القصير .

إِنَّمَا وَدَّعَ قَلْبِي جَـلْدِي يَوْمَ وَدَّعْتُ سُـلَيْمِي وَالرَّابَا
ومنها:

حُجِبَتْ فِي نورها وَجَنَّتْهَا فرأيتُ الشمسَ للشمسِ حِجَابَا
وَجَنَّةٌ حمراءُ تَنَدَى عرقاً مثلما رَفَرَقَتِ الرَّاحُ الحِجَابَا
نفختُ رِيحُ الصَّبَا جَمْرَتَهَا فانبرتُ تُظْهِرُ فِي المَاءِ التَّهَابَا
وجرى الصَّدْغُ على أَوْلَاهَا مثلما طَرَزَتْ بِالسَّطْرِ الكِتَابَا
وله في العذار:

وأستمرُّ ذَنْبِي للعواذِلِ حُبُّهُ وذلكُ ذَنْبٌ لستُ (١) منه بتائبِ
عُدَلْتُ على حُبِّي له حينَ ذَبَلْتُ له الشَّفَةُ العِياهُ خُضْرَةَ شاربِ
وقد كنتُ أهوى الحَاجِبِينَ الَّذِي لَهُ (٢) فكيف وقد صارتُ ثلاثَ حواجِبِ
وله:

ألا كلُّ شيءٍ للأَنامِ مُحَبَّبٌ إلىَّ بغيضٌ ، والحبيبُ حَبِيبٌ
أما عجباً أن هامَ فِيهِ رَقِيبُهُ وأنى على ذاكِ الرَقِيبِ رَقِيبٌ
ومما برى جِسْمِي وأرَّقَ ناظِرِي وعلمَ قَلْبِي فِيهِ كيفَ يذوبُ
/ حبيبٌ أراه سائِفاً (٣) ، كلَّ ساعَةٍ ينالُ سِوَايَ وَصَلَهُ وَأَخِيبُ [٧٢ و]
فوا أسفًا لي إنني لَيْتُ غَابَةٌ ويظفرُّ دوني بالفريسةِ ذِيبٌ
وله من قصيدة في أثنائها:

أغارُ على ذيلها بالصَّـبَا إذا شمَّرتُ منه ما سَحَّبَا
وأخشى على جَمْرَتِي خَدَّهَا بِمِرِّ النَّوَاسِمِ أن تُلَهَّبَا

(١) في الأصل: ليس (٢) في الأصل: الذي

(٣) في الأصل: سائفاً

تَعَالَى النِقَابُ سَنَا وَجْهَهَا فحَلَّتْ النِقَابُ بِهِ مُنْقَبًا
 وما احمرَّ من صبغةٍ لونهُ ولكن بوجنتها خُضْبًا
 مشى وهو في خدِّها عَقْرَبًا فَشَلَّ في وردةٍ عَقْرَبًا
 سقى اللهُ ليلتنا بالعَذِيبِ غمامَ من أَمْنِهِ عُدْبًا
 فكَمِبتُ بين مِرَاحِ الظَبَاءِ تَجاذِبُنِي ، وَصَفَاحِ الظُّبَا
 وقد لاح لي بدرها مَشْرَعًا لَمَحَتْ على مائه (١) طُحْلُبَا
 إلى أن جَرَى صُبْحُهَا أَشْقَرًا فطارَدَ من فِجْرِهِ أَشْهَبَا
 ولاعبَ فضيَّ بَرْدِ الغَمَا مِ بَرَقَ فَصَيَّرَهُ مُذْهَبَا

ومنها :

١٠. عجاجُ الوغى ودُخانُ الكُتُبَا ويمنعُ شمسَهُمُ أنْ تلوحَ

وله من قصيدة :

قانى الغلالةِ كالهندى مُحتَضِبِ زارَ العقيقَ (٢) بِجَدِّ غيرِ مُنتَقِبِ
 كذلكِ البدرُ يسرى غيرَ مُحْتَجِبِ / بدرٌ تمزَّقَ عنه الليلُ حينَ سرى
 ولَبَّيةٌ قُلِّدَتْ بِالْحَلِيِّ من شُهْبِ ذو غُرَّةٍ قُنِعَتْ بِالْحَسَنِ من قَمَرِ
 سحرٌ تدرَّعَ فيه الماءُ باللهبِ خدُّ أَلَمَّ لريعانِ الشَّبَابِ به

ومنها في المخلص :

فإنَّ في الجسمِ عقلاً غيرَ مُعْتَرِبِ لا تُضغِرُنِي لكونِ الجسمِ مُعْتَرِبًا
 حيثَ استقرَّ وعن أمِّ له وأبِ يَغْنَى اللَّيبُ بعقلٍ منه عن فِطَنِ
 وللسديدِ يدٌ تَسْطُو على الثُّوبِ وهل أخافُ من الأيامِ نائِبَةً

(٢) العقيق : موضع بالمدينة

(١) في الأصل : ما به

ومنها في المدح :

لو كنت إذ تُوزن الأعمال سائلهُ
ما حاز من صالح الأعمال لم يُجبِ
يا مُبغضَ الذهبِ المحبوبِ راحته
حتى كأنَّ ذهبَ الحمدِ في الذهبِ

وله في العذار من قطعة :

ولما أشاعَ الحبُّ في الناسِ ملةً
وجلا الحُسنُ للعشاقِ وجهكِ قبلةً
وقادَ قلوباً كيف شاءَ وألباباً
وصوّرَ فيه من عذارِيكِ محراباً

وله من قصيدة :

[التاء]

تلكِ البـدورُ العامريّاتُ لها من الأنصـلِ هـاماتُ
بدورُ أسدافٍ تَدنّي بها في السـيْرِ قُضْبُ بـشـريّاتُ
/ تشكو نواهنَّ قلوبٍ وما لها سواهنَّ سـمـاواتُ
كِدْنُ يَكِدُنُ القُضْبَ لو بَدَلتُ أوراقيهنَّ الذهبِيّاتُ
كلُّ عَقيقِيّةٍ خَدِي لها فروعُ فَرَقِي سَبَجِيّاتُ^(١)

[٧٣ و]

ومنها :

ويُرْعَشُ الرِّدْفُ كأنَّ الذي لَاعَبَهُ مِنْهُنَّ حَيَاتُ
يا شَرَكاً صيدَها طائرُ القَلْبِ أما مِنْكَنَّ إِفلاتُ
كمْ فَتَكَتْ بي يَوْمَ جِرْعِ اللّوى بِيضٌ وَأَنْتِنَّ الحِمالاتُ^(٢)
أَسْنَى من الصبـحِ على ناظري لو أَنْكَنَّ الحَلَكيّاتُ

ومنها :

حَمَلتِ جِسمًا خَلتُهُ سائلاً إذ مَوَجَّتْ عِطْفِيهِ لَباتُ

(١) سبجيات : سوداء (٢) الحلمات : علائق السيف

رَفَّ بِهِ الْعَصْبُ^(١) الْيَمَانِي كَمَا
 كَأَمَّا أَمَلَهُ - طُوقَتْ -
 رَفَّتْ عَلَى الْمَاءِ خَمِيلَاتُ
 أَسِنَّةُ الطَّعْنِ خَضِيبَاتُ
 هَلْ تَخْبِرِينَا وَالْهَوَى صَارِمٌ
 لَنَا بِهِ عِنْدَكَ ثَارَاتُ
 بَأَى ذَنْبٍ خُضِبْتُ مِنْ دَمِي
 تَلِكِ الْبَنَانُ الْعَنَمِيَّاتُ^(٢)
 كَيْفَ تَرُومِينَ دَمًا لَمْ تَزَلْ
 تَعْجِزُ عَنْهُ الْيَزِينَاتُ

ومنها في الافتخار :

يَرِي بِهَا الْمَعْرَكَ مَنِي فَتِي
 / يُقَدِّمُ فِي الْمَوْتِ كَمَا أَقْدَمْتُ
 [٧٣ ط]
 إِنْ لَمْ تَكُنْ ذِي الْأَرِيحِيَّاتِ لِي
 لَوْ أَنَّ لِي فِي الدَّهْرِ مِنْ قُوَّةِ
 وَالدَّهْرِ إِنْ أَذْهَبَ قُوَّتِي فَلِي
 تَرْهَبُ ذِكْرَاهُ الْمَنِيَّاتِ
 عَلَى النَّدَى مِنْهُ سَجِيَّاتُ
 لِمَنْ تَكُونُ الْأَرِيحِيَّاتُ ؟
 دَرَّتْ عَفَاةً مَا الْمُرَوَّاتُ
 مِنْ جُودِ إِسْمَاعِيلِ^(٣) أَقْوَاتُ

[الجيم] وله من قصيدة مطلعها :

لَنَا بَيْنَ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ مُعْرَجُ
 وَفِي مَلْتَقَى ظِلِّ الْأَرَاكِ وَمَاءِهِ
 وَتَصْفِيقُ أَمْوَاهِ لِرَقْصِ أَمَالِدِ
 وَقَدْ نَسَجَ الثَّوَارُ بِالغَيْمِ أَبْرُدًا
 بَمِثْ الْغَضَارِيَّانُ وَالظَّلُّ سَجَسَجُ^(٤)
 نَسِيمٌ بِأَنْفَاسِ الرَّبِّي يَتَأَرَّجُ
 عَلِيهِنَّ أَصْوَاتُ الْحَامِمْ تَهَزِّجُ
 وَلَمْ أَحْسَبِ الْأَبْرَادَ بِالغَيْمِ تُنْسَجُ

(١) في الأصل : العصب ، والعصب اليماني : ضروب من البرود ناصعة البياض يصغونها

بمختلف الألوان .

(٢) العنميات : نسبة إلى العنم وهو شجر لين الأغصان تشبه به بنان الجوارى .

(٣) هو الظافر إسماعيل بن الحافظ الذي ولي الخلافة الفاطمية من سنة ٥٤٤ إلى

سنة ٥٤٩ هـ .

(٤) سجسج : لا حار ولا بارد

ودارَ على الأغصانِ زهرٌ كأنها قدودٌ عليهن ألاءُ المدبجِ
 خليلي من قحطانَ حاجٍ لي الأسي حمامٌ بأفنانِ الفصونِ مُهَيِّجِ
 ومنها:

أحِنُّ إلى البرقِ اليمانيِّ لآئِنَه كقلبي خفاقُ الجناحِ مُوهَجِ
 وقد ضَرَجَ الدمعَ الذي كان ناصعاً بعينيِّ ، خدُّ بالحياءِ مُضَرَجِ
 بدا في بياضِ للشبابِ وُحْمَرَةٍ كأنَّ عليه النارَ بالماءِ تُمزَجِ
 فأما سوادُ القلبِ مني فَحَازَهُ من الغادةِ الحسناءِ وسنانُ أدْعَجِ

[٧٤ و]

/ومنها:

وليلٍ تركتُ البرقَ خلفي عاثراً وتحتَ غباري راسحُ العطفِ دَيْرَجِ^(١)
 ولا ناصرٌ إلا قناةٌ وصارمٌ ولا صاحبٌ إلا فتاةٌ وهودَجِ
 وقد لَمَعَتْ زُرْقُ الأسنَةِ أنجماً وما إن لها غيرُ القنا اللدَنِ أبْرَجِ
 فأيقظَ جننَ الحىِّ مني صاهلٌ ورَوَّعَهُ شَخْتٌ^(٢) الصفيحينِ أبلَجِ
 وقالت هزبرُ الغابِ زارَ خيامها وما زارها إلا كميِّ مُدَجَجِ
 وأسمرُ مَيَّادٌ وَعَضْبٌ كأنما يلوحُ عليه الزُّنْبُقُ المُتْرَجِرُجِ
 ومنها في الخلص: ١٥

أتأنفُ أن نسري إليها بصفانٍ إلى جودِ إسماعيلَ يسري ويُدَلِّجِ
 وله:

ومزَنِرٌ^(٣) كالصبحِ يحملُ لِمَةً سحباءَ مظلمةً كليلِ داجِ

(١) في القاموس: الديرج من الخيل معرب ديزه.

(٢) الشخت: الضاحر البطن.

(٣) مزَنِرٌ: يلبس الزنار وهو حزام كان يشده النصارى.

يجلو الظلام بكأسه فكأنما يسعى على نُدْمائه بِسِرَاجٍ

[الحاء] وله :

ومهفهفٍ لما رآني ناظراً
أهوى لبسمه البنان مُسَلِّماً
منه إلى وجهٍ كضوءِ صباحٍ
فكأنما أومى لقطفِ أفاقٍ

وله من قصيدة في الأوصاف والتشبيه :

قلّ لنسيمٍ زار عند الصباح
عرجٌ على جسمٍ كأن الضنا^(١)
من حَلَكِيَّاتِ الرُّبَى والبِطَاحِ
عقدٌ عليه وهو فيه نصاح^(٢)
أما ترى النجمَ جُيُئياً وقد

[٧٤ ظ]

والفجرُ قد مدَّ خليجاً فلو
كأنما شَمَّرَ عن مِعْصَمٍ
تنكسرُ الظلماءُ عنه لساح
كأنما الروضُ بإشراقه
مُحْضَبٌ راحتهُ بالصَّبَاحِ
كأنما نرجسُـهُ مُحْجِرُ
وجهُ كريمٍ فوقهُ البشرُ لاح
كأنما جاذِبَنَ من دَوْحِهَا
ضاعَ عليه نومُهُ حين طاح
ذوائبَ الأغصانِ أيدي الرياح
رَنَّحها النِّيمُ بكاساتِ راح
كأنَّ أعطافَ أماليدها

١٥

ومنها :

كأنما الآسُ على وردهِ
كأنما الجدولُ نشوانُ لا
سُمُرُ العوالى وخذودُ المِلاخِ
ينفكُ من نشوته غيرَ صاح

منها :

كأنما الشَّخْبُ رَعَالٌ^(٣) بها
للخيلِ في كلِّ مَقَارٍ جِجَاحِ

(٢) النصاح : السلك والحيط .

(١) في الأصل : الصبا

(٣) الرعال : جمع رعاة وهي القطعة من الخيل .

كأنَّ أطرافَ بروقٍ هَفَّتْ راياتُ صُفْرٍ ومواضٍ صِفاحُ
 كأنما الرعدُ كَمِيٌّ سَطَا على كَمِيٍّ حينَ ولى فِصاحُ
 كأنما الديمةُ^(١) مُنْهَلَةٌ يمينُ إسماعيلَ يومَ السِباحِ

وله من أخرى :

• /أشاقكَ بالأسوي بَرَقُ الأَحا فجُنَّ به جَنانُكَ حينَ لَاحَا
 هفا هفوا اللواءَ الوَرْدِ أرْحَى ذوائبُهُ فِلاعينَ الرِياحا
 كأن البرقَ في الظلماءِ سِرٌّ تَضَمَّنَ غيرَ كاتِمِهِ فِباحا
 وقاسمى صَدُوحُ البانِ شَجْوَى فأجريتُ الدموعَ لَهُ وناحا

ومنها في الخروج إلى المدح :

١٠ وكَم تَعِبَ بزورَةٍ ذى نَوَالِ ولوزارَ الموفِّقَ لاسْتِتراحا
 ومنها في المدح :

وبين بَنانِهِ والفَيْضِ خُلْفُ وما نرجو نُخْلِفُهُما اصطِلاحا
 وله في الحمر :

١٥ قَم فاستَقِنِي والغربُ يطوى ليلَهُ والشرقُ ينشُرُ رايَةَ الإِصباحِ
 شَفَقًا علاه من المِزاجِ كواكبُ لكنَّهُ شَفَقٌ دَعَوُهُ براحِ
 حلَّ المِزاجِ بها فَشَعَشَعَ نورها فَعَلَ السَّلِيطِ^(٢) بِشَعَلَةِ المِصباحِ

وله في ذم صاحب :

٢٠ ياربُّ أنتَ مَلأتَ عَقْدَ^(٣) مصاحبِي سَقَمًا فهُل سَبَبٌ إلى تصحيحِهِ
 فبا جعلتَ الطَّوَدَ يُشْبِهُهُ ثِقَلُهُ في رُوحِهِ بل رأسُهُ في رِيحِهِ
 فأجعل ثقالةَ رُوحِهِ في عَقْلِهِ الخاوى وخَفَةَ عَقْلِهِ في رُوحِهِ

(١) في الأصل: الديمة

(٢) السليط: الزيت

(٣) العقد: العزيمة والنية.

وله في مليح :

[٦٠ ظ] لئن أذلتَ خَدَكَ وهو ليلٌ
وكانت مسحةً للحسن فيه
فلم أعزّتَ وجهك وهو صبحُ
فصار من العذار عليه مسحٌ^(١)

[الدال] وله من قصيدة مطلعها :

نسيمٌ سرى والفجرُ يَنْضُو مُهَيَّداً
ومنها :
فقلِّدَ جِيدَ الغصنِ من جوهرِ النَّدى

وخِلْنَا الصَّبَا حَاكَّتْ من النَّهْرِ لَأَمَّةً
فله نشوانٌ بغيرِ مُدَامَةٍ
وهزَّتْهُ هنديةً وصاغَتْهُ مِبْرَدَاً
سقاءِ براحِ الحسنِ راحُ شِبابِهِ
قويمٌ فلولاً النطقُ خِلْنَاهُ أُمْلَدَاً
فعرِبدَاً من أجفانه وتَأوَدَاً

ومنها :

وشبَّ بماءِ الراحِ نارَ مُدَامَةٍ
فجلاها عروساً عاطلاً فتخفَّرتُ
فذوّبَ في الطَّاسِ اللجينيَّ عَسَجَدَاً
ومنها في الأوصاف والتشبيهات :

وليلٍ دجوجيٍّ الجناحِ كأنما
كأنَّ الثريا فيه للبدرِ عاشقُ
أمدٌ بموجِ البحرِ أو صار سرمداً
مرقتُ^(٢) به^(٣) في متنِ أدهمِ صاهلٍ
يمدُّ إلى توديعِ محبوبه يداً
كأن الذي في وجهه وإهابه
أغرَّ إذا أبرقتُ بالسيفِ أرعداً
ظلامٌ ضلالٍ فيه ضوءٌ من الهدى

وله من قصيدة خبيبية :

[٦١ و] / ما البرقُ يلوحُ توقُّدهُ
ترتاعُ فليلك سرمدُهُ

(١) المسح : ثوب من الشعر غليظ

(٢) في الأصل : له

(٣) مرق النهم من الرمية : خرج .

هَفُو فِي مَنِّ غَمَامَتِهِ كَالْجُحْفَلِ تَخْفُقُ أَبْنَدُهُ
وَالغَيْهَبُ كَالزَّنْجِيِّ سَطَا وَبِيَاضُ الصَّبْحِ مُهَنَّدُهُ

ومنها :

أَرْدَى بِالصَّارِمِ أَخْوَرَهُ وَسَطًا بِالضَّيْفِمْ أَعْيَدُهُ

ومنها :

أَبْصَفِحَةَ خَدِّكَ طُلَّ دَمِي فَتَعَصْفَرَ مِنْهُ مُسَوَّدُهُ
أَمْ لِحْطُكَ أُذْرَجَ فِي كَبْدِي فَسَوَادُ جَنَانِي إِثْمَدُهُ

ومنها في المخلص :

مَا بَالُ زِمَانِي يُجْهَدُنِي وَأَذُمُّ^(١) عَلَايَ فَأُحْمَدُهُ
وَإِذَا لَمْ يُغْفِضِ أَخْوَجَلَدِي لِلْجُودِ فَأَيْنَ تَجَلَّدُهُ
أَيَجُورُ الدَّهْرُ عَلَى بَشْرِي وَنَدَى ابْنِ^(٢) سَلَامَةَ يَعْضُدُهُ
وَيَلِينُ الْحَقُّ عَلَى أَحَدِي وَيَأْسِمَاعِيْلَ تَشَدُّدُهُ
يَخْتَالُ الدِّينَ لِنِ رُبَيْتِ^(٣) بَعَالِي الْمَخْلَصِ أَبْرُدُهُ

ومنها :

لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ لَهُ كَلِمٌ لَتَكَلَّمَ أَنْتَ أَوْحَدُهُ

وله من قصيدة :

أَدْرَهَا كَمَا مَجَّ النَّدَى وَرَقَ الْوَرْدِ / وَأَشْرَقَ جِيدُ الْجُودِ فِي أَوْلُو الْعِقْدِ [٦١ ط]
حَبَابٌ عَلَى صَهْبَاءِ رَاحٍ كَأَنَّهُ / فُتَاتٌ مِنَ الْكَافُورِ فِي الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
تَخَيَّلْتُهَا مَصْرُوعَةً فِي مِزَاجِهَا / بِمَا مَلَأَتْ فَاها مِنَ الزَّبِيدِ الْجَمْدِ

(١) هكذا في الأصل ولعلها معرفة عن : ويندم .

(٢) ستأتي ترجمته وكان كاتباً في الديوان الفاطمي (٣) في الأصل : رمقت .

كواها سِنَانُ الْمَاءِ طَعْنًا فَذَرَعَتْ
نَجِيعِيَّةً حَمْرَاهُ ضُمٌّ زَجَاجُهَا
إِذَا قَرَعَ الْإِبْرِيْقُ جَامًا تَطَايَرَتْ
لَهَا لَمَعَانُ الْبَرْقِ وَالْكَأْسُ دُونَهَا

ومنها:

وَعَمْدٍ زُجَاجٍ مِنْ بَنَانِي نَجَادُهُ
نُجْرَدٌ مِنْهُ كُلٌّ مَاضٍ مُخَضَّبٍ
إِذَا جَالَ فِيهِ جَوْهَرٌ مِنْ حَبَابِهِ
نَقَلْنَاهُ لِلْأَجْسَامِ مَنًّا كَأَنَّمَا
يَشُقُّ جَيُوبَ اللَّيْلِ عَنَّا أَنْقَادُهُ

ومنها:

غَزَالٌ لَوْرِدِ الْكَأْسِ فِي نُدْمَائِهِ
تَلْتَنُ بِهِ رَاحُ الصَّبَا تَحْتَ بُرْدِهِ
وَأَبْدَى مِنَ الْجَمْرِ الْمُضْرَمِ وَجَنَّةٍ
/ وَأَبْقَى عَيْبَرَ الْخَدِّ مَسْكُ عِدَارِهِ [٦٢ و]
وَحَارٌ سَوَادُ الْقَلْبِ فِي نَارِ حُبِّهِ
وِظَلٌّ يُسْقَى كُلَّ ذِي صَفْوَةٍ أُخٍ

ومنها في المديح:

وَلَا يَمْنَعُ الْعُرُوفَ عَنْ مُسْتَحِقِّهِ
كَمَنْ يَحْبُبُ الْخَيْرَانَ عَنْ طُرُقِ الرِّشْدِ

ومنها:

إِذَا خَانَتِ الْأَيْدِي جِبَالَ تَمَسَّكُوا
بِحَبْلِ إِلَى السَّرِّ الْإِلَهِيِّ مُمْتَدِّ

ومنها في وصف كتابته وبراعته :

عجبتُ لِطَرَسِ مَنْكَ لَمْ يَغْدُ مُحْرِقًا
وقد حُلَّ مِمَّا شَبَّ فِكْرُكَ مِنْ وَقْدِ
ومن أُلْسِنِ إِنْ قَلَّتْ كَلَّتْ كَأَنَّمَا
جَدَّنَ بِمَا فِي نَظْمِهِ مِنَ الْبَرْدِ

ومنها في وصف صداقته :

ونعمَ خَلِيلُ الْمَرْءِ مِثْلِي يَرَى الَّذِي
صَفَا مِنْ وَدَادِ الْخَلِّ أَغْنَى مِنَ الرَّقْدِ
إِذَا لَمْ أَجِدْ عِنْدَ الصَّدِيقِ تَجَلُّدًا
عَلَى حَمْلِ ثِقَلِي كَانَ وَاجِدَهُ عِنْدِي

وله في وصف مغنيين :

وَمُغَنِّيَيْنِ يُقَرِّبَانِ لِنَدَى الْهَوَى
مَا شِئْتَ مِنْ مَغْنَى الْهَوَى الْمُتَبَاعِدِ
نَظْمًا لَنَا بِلَطَافَةٍ وَتَوَافُقٍ
فَكَأَنَّمَا نَظْمًا بِصَوْتٍ وَاحِدِ

وله من قصيدة في القاضي يحيى^(١) بن قادوس :

أَمِنَ الْأَهْلَةَ وَالشَّمْسَ خَدُودُ /
ومن الذوابل والغصونِ قُدُودُ [٦٢ ظ]
وعلى معاطفِ كُلِّ أَهْيَفٍ نَاعِمٌ
— من مثل مانَسَجِ الرَّبِيعِ — بُرُودُ
أَغْصَانُ بَانَ مَا تَمِيدُ بِهَا الصَّبَا
وتمرُّ أَنْفَاسِي بِهَا فَتَمِيدُ

ومنها :

مَقْلٌ يُضِئْنَ مِنَ الْجَفُونِ كَأَنَّهَا
يَبِيضُ الصَّوَارِمِ وَالْجَفُونُ غُمُودُ
أَحْدَاقُهُنَّ الزُّرْقُ زُرْقٌ لَمَعٌ
يَوْمَ الْكِفَاحِ ، وَسُودُهُنَّ أَسُودُ
لَوْلَا دِمَاةُ الْعَاشِقِينَ سَفَخَهَا
مَا أَحْمَرَّ فِي وَجَنَاتِهَا التَّوْرِيدُ
لَمْ أَدْرِ قَبْلَ شِفَاهِهَا وَثَعُورِهَا
أَنَّ الشَّقَاتِقَ حَسُوهُنَّ عَقُودُ

(١) في القصيدة ما يدل على أن اسم المدوح محمود وإذنه فهو أبو الفتح محمود بن قادوس

الذي تقدمت ترجمته ، ولعل الخطأ من الناسخ .

ومنها :

وارْفُضَّ من عَرَقِ الحَيَاءِ جُأْنُهُ فتَقَلَّدَ الدَّرِينِ منها الجيْدُ
رَقَّتْ مَعَاقِدُ أُرْزِهِ فَكَأَنَّمَا تلكَ المَعاظِفُ ما بها تَجَسِيدُ
نِشْوَانُ تُجْرَحُ مَقْلَتَاهُ قَلُوبَنَا فهو النَزيفُ وَحَظُّهُ العَرِيدُ
ومنها في الخِلاصِ :

إِنْ كَانَ مَذْمُومَ الأَذِمَّةِ فِي المَلا زَمِنُ فمَحْمُودُ العُـمَـلا مَحْمُودُ
وله من قِصيدةِ :

أَما وَقَواِمِ الأُمِّـلِـدِ المِتاوِدِ يَجاذِبُ من أَعْطافِهِ دِعْصُهُ النَّدِي
لَقَدْ رَقَصَ البانُ المُرْتَجِحُ بالصَّبَا فغَنَّتْ لهُ الأَطيارُ أَلْهانَ مَعْبِدِ

[٦٣ و] / ومنها في وصفِ فرسِ :

وكائِنَ أَخْوضِ الليلِ من مِثْلِ شِعْرها إليها على رَخْوِ العنانينِ أَجْرِدِ
كَانَ عَقيقاً جِسمُهُ وَكأنَّمَا سَنابِكُهُ مَخْلُوقَةٌ من زَبْرَجِدِ
كَانَ خَدودَ الغانِياتِ أَعْرَنَهُ من الحِسنِ ما في كلِّ لونٍ مُورِدِ
حَمَلَتْ بِها سِمْراءَ خَطِّ لَوِ أُنْها رَأَتْها قَدودُ البانِ لَم تَتَأَوِدِ
وَعَضْبًا صَقِيلًا مازَجَ النارَ ماوَهُ عَلِيهِ فَلَم تَتَخَمَدُ ، وَلَم تَتَوَقَّدِ
مِضارِبُهُ تُسَدِي وتُرْدِي كَأَنَّمَا أَسَدُ تَبْعَرَنَ خِلالاً من سِجايَا مُحَمَّدِ

[النَّالِ] وله :

يا أَميسَ الأَغْصانِ من أوراقيهِ بُرْدُ الحَريرِ مُحَبَّبِ وَاللَّادِ
مَهلاً على دَنِيفِ تُقَدُّ بِصارِمِ اللِّحْظَاتِ مِنْهُ لِقَلْبِهِ أَفْلاذِ
أَفنى مِدامِتهِ عَلِيكَ تَأْسِفاً مَذ بِنْتِ دَمْعِ وابلٍ وَرِذاذِ

وَأَلَانَ حُبُّكَ مِنْهُ قَلْبًا قَاسِيًا كَالنَّارِ لَانَ لِحْرَّهَا الْفَوْلَادُ

[الراء]

وقال من قصيدة مطلعها :

سَفَرَنَ وَوَجْهَهُ الصَّبْحُ يَلْتَمِحُ ^(١) مُسْفِرًا فَكَنَّ مِنَ الْإِصْبَاحِ أَسْنَى وَأَنْوَرًا

وَمِسْنَنَ كَأَغْصَانِ الْخَمَائِلِ بَدَلْتُ مِنْ الزَّهْرِ الْفَيْنَانِ وَشَيْئًا مُجَبَّرًا

أَبْحَنَ لِمَشَاقِ خُدُودِهَا دَوَائِمِيَا وَلَكِنْ حَمَاهَا كُلُّ وَسْتَانٍ أَحْوَرًا

/ وَجَرَدَنَ مُحَرَّمًا الْأَثَمَ عَنْهَا وَإِنَّمَا شَقَّقَنَ عَنِ الْوَرْدِ الشَّقِيقَ الْمُعْصِرَا [٦٣ ط]

ومنها :

وَكَمْ نَمَّ عَنْهَا فِي الدُّجَى نَفْسُ الصَّبَا فَبِتْنَا نَحَالُ اللَّيْلِ مِسْكًَا وَعَنْبَرًا

وَكَمْ أَرَهَفْتَ عِطْفًا فَوَ خَيْرَانَةً تَمِيلُ بِعِطْفٍ مَيْلَهَا لَتَكْسِرَا

تَرَى خَصْرَهَا يَعْينَا بِحَمْلِ وَشَاحِهَا وَيَحْمِلُ مِنْ كُثْبَانِ يَبْرِينِ ^(٢) أَعْفَرَا

١٠

ومنها :

وَلَيْلٍ رَكَبْنَا مِنْهُ أَدَمَّ حَالِكًا فَصَارَ بِنُورِ الْفَجْرِ أَبْلَجَ أَشْقَرَا

إِلَى أَنْ أَطَلَّ الْفَجْرُ فِيهِ كَأَنَّهُ حَسَامٌ تَلَالَا أَوْ خَلِيجٌ تَفَجَّرَا

وَفَضَّضَ نُورُ الصَّبْحِ تَبْرَ نَجْوِمِهِ فَذَرَّهَمَ لِلظُّلْمَاءِ مِرْطًا مُدْنَرَا ^(٣)

وَاللِّزْنَةَ الْوُطْفَاءِ دَمْعٌ كَأَنَّمَا يَمْدُّ عَلَى الْبَطْحَاءِ بِالنُّورِ أَعْقَرَا ^(٤)

وَوَخَلْنَا لَشَخْصِ الرِّيحِ رَاحًا وَأَنْمَلَا تَحْوِكُ عَلَى زُرْقِ الْمِيَاهِ السَّنَوْرَا ^(٥)

١٥

ومنها في الخلص :

أَسْلَفَةٌ مَنَا النُّجَيْعَ مُجَجَّرَا مَتَى أَصْبَحَ السِّيفُ الْيَمَانِيَّ مُجَجَّرَا

(١) يلتاح : يبدو .

(٢) يبرين : موضع يازاء الإحصاء في البحرين

(٣) مدنرا : متلاثا .

(٤) الأعقر : السحاب المستمر مطره

(٥) السنور : ثوب كالدرع .

ألا فاعمدى صمصام لحظي سلته
 كما سلّ رضوان^(١) الحسام المظفرا
 مليك له غضب إذا شام برقه
 رأيت المنايا بين غزبيه جوهرا
 علت ماءه نار فلولها التها بها
 لسال ولولا ماؤه لتسعرا
 وأزهفه حب الطلأ فهو ناكل
 ولولا وصال دائم دق أن يرى
 / وكان يقود الخليل يعثرن بالظبا
 فينفضها في مقلة الشمس عثبرا [٢٠ و]
 ولولا النجيع المهيم في مجالها
 صبغن سواد الليل بالنقع أغبرا
 ومنها :

يضم كريما منهم كل سابع
 فتلع غدانا تضمن أبحرا
 ومنها :

١٠ قفل للموك الروم أين فرارها
 إذا ملك الإسلام في الله شمرأ
 وكيف تنال البعض من غمضها وقد
 سرى رعبها فيها سنين وأشهرأ
 ومنها في صفة القلم والرمح :

سَطَوَتْ بَسَّالَيْنِ فِي كُلِّ مُشِكَلٍ
 أَرْتَنَا صَفَاءَ الْعَيْشِ لِمَا تَكْدَرَا
 يراعان هذا يملأ الطرس حكمة
 وذاك يُذيقُ الحُتْفَ لَيْثًا غَضَنَفَرَا
 ١٥ وإن ظمأ أضناهما يردا على

نفوس العدا — من غير إذن — ويصدرا
 فيشرب هذا أسود الليل حالكا
 ويشرب هذا قاني الدم أحمرأ
 وله من أخرى :

لعل نسيم الروض من خلل الزهر
 يصافحني بين الخميعة والنهر

(١) هو رضوان بن ولحي وزير الحافظ وسبق التعريف به .

فقد شاب زنجي الدجى حين أشرقت
 وسال ندى مُزني على أفتوانة
 وما لاح دُرٌّ فوق وشي وإنما
 / وفوق احمرار الوردِ رشح كأنما
 فله روضٌ لفَّ أطرافَ دوحه
 وسندسٌ نبتت تحت زهره كأنه
 وأوراق آسٍ زعزعت من غصونها
 شمالية الأمواه معلولة الصبا
 مذانبها زرقُ النطافِ كأنما
 يجول شعاعُ الشمس فوق صقالها
 ولما سررنا بالرسوم التي بدت
 تنسنت رياء زهرة فوق نُصرة
 ولاحت ذكلاء في جناحي غمامة
 ودَارَ بغُضنٍ نرجس فكأنه
 ١٠
 ومنها :

وأعلنت أشواقٍ وناحت حامة
 فلم أدر حقاً أينا العاشقُ العذري

ومنها :

لأدرعنَّ الليل نحو خيامها
 على ظهرِ خوار^(٣) العفانين مُزورِّ
 بوهنٍ كأن البدر تحت جناحه
 مُحياً فتاةٍ لاح في غسق الشعر

(١) العذر : بتعريك النال جمع عذار وسكن الذال للشعر

(٢) الكلة : الستارة (٣) خوار : ضعيف ، ورقيق .

[٢١ و] / وملٌ يميني بحرٌ سيفٍ تموجتْ / مياهُ النايَا بينَ غريبه والأثر^(١)
سرى روعُهُ في السلمِ والحربِ مثلما / سرى ذِكرُ إسماعيلَ في البرِّ والبحرِ
وله من قصيدة :

يا وردَ خدي خاله عنبرُ / وغدَّ جفني سيفه أهورُ
ما خالك النَّدُ وماذا الذي / ضرجَ من وجنته مجمرُ
لكنه أسودُ عيني وقد / فاض من الدمع دمُ أحمُرُ
ما تبعثُ الموتَ يمانيةً / وإنما يبعثُهُ المخجِرُ
ومنها :

ناشدتك الله قضيبةً النقا / أما بوصلي أبداً تُعمرُ
هجرانك الليلُ ، وما ينجلي / ووصلك الصبحُ ، وما يُسفرُ
خُفقتَ ماءً وأحال^(٢) الهوى / جسمي ناراً فلذا تهجرُ
لو لم يكن ثغرك في ساكنٍ / عذب لقلنا إنه جَـوهرُ
زعزعتَ موجَ الردفِ في مِزرٍ / يكادُ فيه يَفترقُ المِزرُ
وله :

لائمي في قمرٍ بثُّ له / ساجداً إذ لاح في ليلِ الشَّعرِ
لك دينٌ ولناسٍ غيرهُ / ولبعضِ الناسِ أديانُ أخرُ
وكما للشمسِ قومٌ سجدوا / فكذا يسجدُ قومٌ للقمرِ

[٢١ ظ] /وله من أخرى :

عطفَ القضيبةِ على الكتيبِ الأعفرِ^(٣) / وجلا الظلامِ على الصِّباحِ المُسفرِ

(٢) في الأصل : وأجال .

(١) الغرب : حد السيف ، والأثر : فرندة

(٣) الأعفر : الأحمر

ومنها:

أتميسُ قامتهُ ويعبثُ طرفهُ بِدَمِي كعادَتِ الوَشِيحِ^(١) الأَسْمَرِ

ومنها:

أجرى لنا عصرُ الصِّبَا في جسمه وأراك منه الوَشْيَ في حُللِ القَبَا
وبدا الماءُ الوردِ في أبراده وألأحَ تحتِ مراشفِ بمباسمِ
فعلتُ لما خضتُ في بحرِ الهوى أنَّ المراشفَ من بحارِ الجوهرِ

ومنها في المدح:

ما زلتَ تبلغُ في المُدَاةِ خَطَابَةً أَشْمَمَتَهُمْ عَرَفَ الحِمامِ بِمِجْمَرِ
وَبسَطتَ من كَفِّكَ عَشْرَ أَسْنَةِ في الحربِ، بل في السلمِ عَشْرَةَ أبحرِ

وله من أخرى:

مَشَتْ فحَكَتْ مِشِيَةَ الجُوذِرِ^(٣) وَأشْبَهتِ الصِّبَحَ في المَنْظَرِ
وماسَتْ وقد جاذبتُها الصِّبَا ذيولاً من السندسِ الأخضرِ
/ فقلتُ قُضيبُ النَّقا يانِعُ يَمِيسُ على حِقْفِهِ الأَغْفَرِ

ومنها:

لقد فَضَلتُ كلَّ ممشوقةٍ تَتِيهُ على القمَرِ المَقْمِرِ

(١) الوشيج: شجر الرماح

(٢) الطرف: الكرم من الخيل

(٣) الجوذور: ولد البقرة الوحشية.

كما فضل الناس في مجدهم أبو جعفر بن أبي جعفر
فتي إن دجا حدث حالكُ فراه كالفلق المسفر

وله :

لله درُّ عشيَّةٍ نادمتها والعيش من (١) مقل الشبية ينظر
غزاه ضعف نورها فكانما أمسى يشعشعها صباح أنور
خطَّ البهارُ بها بمقلةٍ وشبه (٢) خدَّ الغمام فبات وهو معصفَرُ
ما كان أحسنها بضمة (٣) بركة بيضاء جال بها الربيع كأنه
طاف الربيعُ بمائها فكانه ذوبُ اللجين جرى عليه الجوهر
خدَّ أطاف به عذارُ أخضر

[السين] وقال من قصيدة مطاعها :

يا حادي العيس من نجد قف العيسا وأجعل لنا بمغان الأيك تعريسا

ومنها :

فاجنح بهن إلى حيث الربيع كسا مناكب الأرض من نور طياليسا
والهضب تحت ذبول المعصرات (٤) كما عايدت في الحلق البرد الكرايسا (٥)
[٢٢ ظ] / والسرح تحت موسى النور تحسبها إذا نظرت إليهن الطواويسا
وفي بروج القباب الحر شهب ميا صيرن أفلاكها البزل القناعيسا (٦)

(١) في الأصل : في

(٢) في الأصل : سمه بدون واو .

(٣) الصفة : الموضع المظلل ، ومنه أهل الصفة لأنهم كانوا يبيتون في موضع مظلل من

مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) المعصرات : السحب

(٥) الكرايس : جمع كرايس بالكسر وهو ثوب من القطن الأبيض ، فارسي معرب .

(٦) البزل القناعيس : الإبل الكبيرة الضخمة .

وله :

ومنهف أبدى الشباب بخدهِ صدغاً فرقرق ورده في آسه
تتلهب الصباه في وجناته فتسير من عينيه في جلّسه
حتى إذا ملأ الزجاجه خدهِ نوراً وفاح الخمر من أنفاسه
خال الزجاجه أفعمت بمدامه فدنا ليشرب نوره من كاسه

وله ، وأحسن ، وأتى بتشبيهه في تشبيهه ، يعجز عن مثله كل ذي روية وبديه .

ومُعذّر أجفانه وعذاره يتعاضدان على فناء الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس كانت خمائل غمده من آس

[الصاد]

وله في ذم الصبح حين فرق بينه وبين محبوبه :

عَشَقْتُ الظلامَ وَعِفتُ الصبَاحَ (١) إذا كان أَفَلَتَ مِنِّي قَنَصُ
كَانَ الدُّحَى وَجَهُ زنجيَّة مليحٌ بدا الصبُحُ فيه برَصُ

١٠

[الضاد]

وله :

يا من يريد على الإساءة ودنا طرّف الوداد عن السوء غَضِيضُ
ليس الوداد عن الإساءة ظاهراً كالماء ليس عن الضرام يفيض
أنت الحبيب لنا بكونك محسناً فإذا أسأت لنا فأنت بغيض

١٥

[٢٣ و]

وله من قصيدة :

ومحجوبة لو أبرزت دون مرطها رأيت عليها من سنّا نورها مرطاً
تحال هلال الأفق نصف سوارها إذا لاح والجوزاء في نحرها سيمطاً
وتحمل بدر التّمّ وجهاً وشئفها سماً كاً وشهباناً (٢) الثريا لها قرطاً

(١) في الأصل : الصلاح . (٢) في الأصل : سهبان .

ويضحى بماء الوردِ وردى خدَّها
فينثرُ منه لؤلؤاً عدَّ جامداً
ولمَّا مزَجَ الساقى لندمانه أَسْفِنَطاً^(١)
بصولجٍ لامٍ لاحٍ بالصُدغِ مُخْتَطّاً

[العين] وله من قصيدة :

خليلى عوجا باللوى ، ها هو الجزعُ
نشِمٌ بارِقاً بالرقمتين له لَمْعُ

ومنها :

أشارَ علينا بالسلامِ فكلُّنا
وأسهرنى لما سرى البرقُ موهِناً
وما شاقنى إلا تأوُدُ بانهٍ
وطيفُ خيالٍ حين كاد يزورنى
فما للهوى بل ما لدرِّ مدامى
وما للمطايا الراسماتِ^(٢) كأنما
[٢٣ ط] / ظعنٌ بمن عندى وإن نَزَحَتْ لها
له بَصْرٌ يدنو فيحسدهُ تَمْعُ
حامٌ بأفنانِ الفصونِ له سَجْعُ
ومرٌّ نسيماً لا طُلُولٌ ولا رَنعُ
بدا لعمودِ الفجرِ فى ليله صَدْعُ
٩٠ تحوّلَ مرجاناً وعهدى به دَمْعُ ؟
لوصلِ السهوبِ الفيحِ^(٣) من وجدها قَطْعُ
هوَى بين أحناءِ الضلوعِ له لَدْعُ

ومنها :

غلاميةٌ مال الشبابُ بعطفها
تفوح بلا طيبٍ كما أن جِيدها
وتكسرُ أحياناً محاجرَ نَرَجَسِ
فلم يكُ للصهباءِ فى مثله صنْعُ
١٥ تجلّى بلا حَلِيٍّ ، وفعلها طَبْعُ
كأن الذى ما بين أهدابها^(٤) الجزعُ

ومنها فى الخُلق :

يضاهين من رضوانِ سيفاً مؤيداً
يُرى فوقِ أعناقِ الأعدى له وَقَعُ

(١) الإسفنت : الحمر .

(٢) رسمت الناقة رسماً : أثرت فى الأرض أثناء سيرها .

(٣) الفيح : الواسعة .

(٤) الجزع . الحزب اليماني فيه سواد وبياض ، وتشبه به العيون .

ومنها في وصف السيف :

وللنصرِ مَثْوَى فوقَ حَدِّ حُسَامِهِ
وليس الذي يبدو عليه فِرْنْدُهُ
إذا حَانَ من هَامِ الكِمَاةِ به فَرَعُ
ولكنَّهَا الأرواحُ فِيهِ لها جمع

وله :

وقائلةٌ مالى أرى الحظَّ وافرًا
فقلتُ لها : لا يُتَحَفُّ الدهرُ ماجدًا
بكلِّ دَبِيٍّ فى الرجالِ وضعِ
ويُحْرَمُ منه الرىَّ كلُّ رفيع
يضيقُ بماءِ النيلِ مُنْخَفِضُ الثرى

وله من قصيدة في الفراق :

لولا الفراقُ لما بكيتُ نبيعًا
ولما حنيتُ على ضرامِ تشوقِ
ولما حرمتُ المقلتين هجوعا
يا أبى الجمودِ ، جوانحا وضلوعا
فقد استحال مع الفؤاد دموعا [٦٤ و]
ولكم دعوتُ ، فادعوت سميعا
مَ وداعه قلباً به مفعوجا
أستودعُ الرحمنَ مَنْ ودَّعتُ يو
ولكم شكوتُ ، فاشكوت لراحمِ
أما العزاه لأجلِ مَنْ فارقتُهُ
فأشكوت لراحمِ

وله :

لو أنَّ يوماً قَتيلَ الحَبِّ طالَبَهُ
ها استمانا على قتلى فصار لنا
بالتَّأرِّ منه طَلَبْتُ اللَّحْظَ وَالصَّدْغَا
لم تبلغِ البيضُ والسمرُ النحافُ على
قدَّ الفؤادِ ، وهذا صلُهُ لَدَغَا
يا حاملَ اللحظِ والأصداعِ أسلحةً
أيدى الفوارسِ متى ماها بَلَّغَا
ويا مُرَبِّقَ دى ظلمًا وجاجِدَهُ
مات الكىُّ فلا تُحَدِّثُ عليه وَغَى
هل لُونُ خَدِّكَ إلا من دى صَبِغَا

[الغين]

قد يعلمُ الله أني غيرُ مُنعمٍ
 ويعلمُ الليلُ أن الشوقَ هيجني
 سعى إليك بي الواشي فأبعدني
 وفاز منك بما قد كنت أحرصه
 ألقاك ذا لثغ في القول من دهش
 أنت الذي لو رآه الفصن ما انعطفت
 لم يبدُ غيرك شخصٌ في الوري حسنٌ

[٦٤ ظ] / وله من قصيدة :

[إفاء] ماست بدعص نفاً يجاذبُ أهيقاً
 خود حوت مقل المهاة وجيدها
 بيضاء ترفل بالكذب مهياً
 أبدى الوداع لنا برخص بنانها
 ولوت عليه الخيزرانة معطفا
 وحوى الشاح له هضيمًا مخطفًا
 والبدر أنور والقضيب مهينها
 عنما ببعض دم القلوب مطرفًا^(٢)

منها في المخلص :

مالتي طمعت وتتخذ القنا
 مررت على صد الوفاء بينها
 والبيض سجنًا بالكاة مسجنًا
 كمرور إسماعيل في طروق الوفا
 وله من قصيدة :

أما وحميًا الكأس هزت لنا عطفًا
 وساق يكاد السكر يُسقط نصفه
 ومخضوبة قبلتها ولثمته
 وخلق له مثل الحميا ووفرة
 وبدر تمام الحسن يسى بها صرفًا
 مزاحًا ويبقى في مآزره النصفًا
 فأتبع ثغر الراح من ثغره رشفًا
 تمازج أرواح الندامى به لطفًا

(٢) مطرفًا : مخضبًا .

(١) في الأصل هكذا : صفا .

وَغُضُنْ قَوَامٍ يَحْمَلُ الْحَيْفَ نَاعِمًا
 وَخَصِرٍ كَأَنَّ الظَّمَأَ يَهْوَى فِكْلًا
 وَخَدْرٍ إِذَا مَا حُطَّ عَنْهُ لُثْمُهُ
 وَشَمْلَةٍ رَاحٍ كَمَا شَابَ تَبْرَاهَا
 / وَمِيدَانٍ لَهْوٍ رَاهَتُنِّي كَمَا تَهُ
 وَشَادٍ يَرُوقُ السَّمْعَ حَلٌّ وَرَبِيهٍ
 لَقَدْ نَسِمَ الإِصْبَاحُ عَنْ نَعْرِ أَعْيَدٍ
 وَرَنَّ حَامُ البَابِ حَتَّى كَأَنَّمَا
 كَأَنَّ عَلِيلَ الرِّيحِ فِي العُضُنِ هَاشِقٌ
 ١٠. كَأَنَّ الدَّجِي يَخْشَى رَقِيبًا جِسْمُهُ
 وَمِنْهَا :

كَأَنَّ الحَدِيقَاتِ لِلنُّوْقِ (١) نَوْرُهَا
 كَأَنَّ قُنُو (٢) الوَرْدِ فَوْقَ غُصُونِهِ
 كَأَنَّ عَيُونََ النُّجُوسِ النُّضَّ قَلَمَتْ
 ١٥. كَأَنَّ بِهَا تَفْتِيرَ أَجْفَانٍ وَلَمَقٍ
 كَأَنَّ الذِّي مِنْ سَوَسَنِ النُّورِ بَيْنَهُ
 كَأَنَّ شَدَا الحَيْرِيَّ ، مَرَّ ، مَحْدَثٌ
 كَأَنَّ ثَمُورَ العَامِرِيَّاتِ كَمَا
 كَأَنَّ شَقِيقًا ، يَحْمَلُ الطَّلَّ ، أَعْيُنُ
 ٢٠. كَأَنَّ غُصُونَ الآسِ تَحْتَ اخْضَارِهَا

(١) النوق : الصنف (٢) الدرناك : جمع درنوك وهو ضرب من البسط والياب .

(٣) قنو : احمرار

[٦٥ ظ] / كأن البراع^(١) النَّضْرَ أوراقه قنًا
 له العذب^(٢) الخلفاق يسغانف الرخفا
 فدرع أجنادًا وجدلها صفا
 وداع خليط ذر من دمه وكفا
 كأن خليج الماء أوجس طفنة
 كأن اعتناق القضب والعيم دالج
 كأن اخضرار الدوح، والنهر ضاحك
 كأن رياض النهر مدحى باسط
 له الحسن الوهاب يوم الندى كفا

وله :

كل من أعرفه يظلمني
 وسوى ذاك فعني ينصف
 فعدوى كل من أعرفه
 وصديقي كل من لا أعرف

[القاف] له من قصيدة مطلعها :

١٠ ليتها إذ قاسمتك العناقا
 علمتك الصبر لا الاشتياقا

ومنها :

لِنَسَائِلِ مِفْصَمَيْنَا فَإِنَّا
 ما نطقنا مذ عرفنا الفراقا
 كم على جبدٍ وخصرٍ أُدِيرَا
 مرّة عقداً وأخرى نطاقا

ومنها :

١٥ وكان الحُسن آلاتُ خَرَطِ
 أبرزت في الصّدرِ منها حِقاقا
 سَقَرَتْ عن بدرٍ تيمّ فلما
 نُقِبَتْ كان التّغلبُ المِحقاقا

ومنها :

[٦٦ و] / وجرت في قر الخدّ منها
 عبرة كانت عليه انشقاقا

ومنها في المدوح وهو قاص :

٢٠ حاكمٌ أظهرَ للعَدْلُ فينا
 كلّ ما لاقَ بعقلٍ وراقا

(١) البراع : القصب (٢) العذب : شجر .

حكمة لو عاقنا الدهرُ عنها كان عن حكمة لثمان عاقا
نثر التأويلِ دُرًّا ولكن غاصَ من علمٍ بحارًا دقاقا

ومنها:

يَدُهُ لِلْمَالِ إِفٌّ غَضُوبٌ كلما واصلَ شاء افتراقا
تَأْبِقُ الْأَمْوَالُ عَنْ رَاحَتِيهِ بندى عَمَّهِنَّ الإِبَاقا

وله من قصيدة مطلعها:

سَرَى وَقَدْ عَنَّ لِعَيْنِي الْأَرْقُ وَأَشْمَطًا^(١) بِالْفَجْرِ قَدَّالٌ لِلنَّسَقِ
مَزْنٌ يَهْزُ الْبَرْقُ فِي أَرْجَائِهِ مثلَ الْبَيْمَانِيَّاتِ فِي أَيْدِي الْأَفُقِ
بِكِي فَلِلنُّوَارِ مِنْهُ ضَحِكٌ كَهْزِءِ مَعْشُوقٍ [بِحَبِّ^(٢) قَدْ] عَشَقِ
وَالزَّهْرُ^(٣) مِثْلَ الزَّهْرِ فِي أَغْصَانِهِ أو كَالغَوَانِي تَحْتَ أَبْرَادِ السَّرَقِ^(٤)

وله من قصيدة:

لَكَ اللَّهُ مِنْ بَرْقِ بِنَعْمَانَ أَبْرَقًا وصَافِحَ رِيثًا بِالْكَثِيثِينَ وَالنَّقَا
أَلَا حَ وَعَمْرُ الْفَجْرِ فِي أُخْرِيَاتِهِ فَادَرَ لِلظَّلْمَاءِ جَيْبًا مُشَقَّقَا
سَرَى، وَظِلَامُ اللَّيْلِ يَجْلُو صِبَا حَهُ فَلَاحَ إِبِينَا أَدْمُ اللَّيْلِ أَبْلَقَا
/ وما هاجني إلا رنينٌ مطوقٍ أقَامَ عَلَى الْأَغْصَانِ يَدْعُو مُطَوَّقَا [٦٦ ظ]
وَلله نَشْوَى جاذبِ الدَعْصِ خَصْرَهَا هَضِيمًا بَمَا دُونَ السُّوَارِ مُنْمَطَقَا

ومنها في المدح:

وَيُنَشِّي لَدَيْهِ الْيَأْسَ مِنْ حَيْثُ يُرْتَجَى وَيُرْجَى لَدَيْهِ الْجُودُ مِنْ حَيْثُ يُتَّقَى
مُحْيَا يَرِيكَ الشَّمْسَ نَوْرُ جَبِينِهِ فَكُلُّ مَكَانٍ حَلَّهُ كَانَ مَشْرِقَا

(١) اشط الشعر: اختلط أبيضه بأسوده

(٢) ساقطة من الأصل وزدنا الكلمة ملائمة لسياق

(٤) السرقة: الحرير.

(٣) الزهر: النجوم

ومنها :

وَإِنَّكَ لَوْ أَوْمَأْتَ دُونَ مَجَسِّهِ إِلَى الْحَجَرِ الْقَاسِي بِيَمَانِكَ أَوْرَقًا
إِذَا مَامَلَكْتَ الْمَالَ مَلَكَتَهُ الْوَرَى كَأَنَّكَ لَمْ تُرْزَقَهُ إِلَّا لِإِرْزَقًا

ومنها في القلم :

تَهَزُّ بِرَاعًا كَالرِّدِينِيِّ ذَابِلًا يُقَلُّ سَنَانًا حِينَ يَسْطُو وَنَحْفَقًا^(١)
تَرَى الْعَلَقَ الْقَانِي مَدَادًا لَخَطَّهُ وَجَانِحَةَ الْقِرْنِ الْمُدَجِّجِ مُهْرَقًا
صَحَائِفُهُ تَنْفَرِي الصَّفَائِحَ كُلَّهَا نُشْرَنَ ، وَتَحْكِي الرُّوْضَ فِيهَا مَنْمَقًا
فَلَوْلَا حَظَّتْ عَيْنُ ابْنِ^(٢) أَوْسٍ مَتَوْنَهَا رَأَى أَيُّهَا كُتِّبًا مِنَ السَّيْفِ أَصْدَقًا

يعني ابن أوس حيث يقول : السيف أصدق إنباء من الكتب

وله من قصيدة مطلعها :

عَزَّ الْمَنَامُ فَجَفَنِي جَائِلُ الرَّمَقِ وَبَاتَ قَلْبِي لَا يَشْكُو سِوَى الْخَدَقِ

ومنها^(٣) :

كَالْحَيْزْرَانَةِ مَا لَاحَتْ لَهَا وَرَقٌ إِلَّا مِنَ الْوَشْيِ بَيْنَ التَّبْرِ وَالْوَرِقِ
فَالْفَصْنُ مَا مَاسَ رِيْعَانَ الشَّبَابِ بِهِ سُكْرًا وَغَيْرُ مَدَامِ الْحَسَنِ لَمْ يَذُقِ

ومن قصيدة :

يَنْثُرُ الطَّلَّ كَمَا يُنْثَرُ مِنْ وَجَنَةِ الْمَعشُوقِ رَشْحُ الْعَرَقِ

ومنها :

ذُو وَقَارٍ مَازَجَ الْبَشَرَ كَمَا مَازَجَ الْعُشْبَحَ عَبُوسُ الْعَسَقِ

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي

(٢) الخفق : السيف العريض .

(٣) هنا خرم وقد نقلنا بقية ترجمة ابن هاني وعنوان ترجمة ابن جوشن من مختصر الحريرة

وأصلحنا النص في مواضع كثيرة .

ومن شعره :

يا من أراه الخير بكم ضده^(١) خذت عليه من حياء روثق
احذر مكايد وجنة محمرة فالجر محرء الفلانة محرق

[الكاف]

ومن شعره :

يحكي الغنم جوده وربما قصرت عن المحكي فعالم الحايكي
ماباله يهب الندى متبسمًا والمفصرات^(٢) كأنهن بواكي

[اللام]

ومن شعره :

لها لصال حليها ولثامها هذا يعاقها وذاك يقبل
ومنها :

ولقد يجيش الشوق راكد عبرتي فكأنه لهب وجفني مرجل
تجدية وأفاك من لحظاتها نظرت بسفح دم القلوب موكل

ومن شعره :

ومهند سبج الفرند بصفحه وطفا فيحسب مُفمدا مسلولا
وله في الخلال :

يا ناظرًا في خد أغيد مائس خالًا يرق نضارة وجمالا
سكن الفؤاد وحل بعض سواده في ورد جنته فسوى خالا

وله في صفة الروض والنهر :

وناصع ماء كان كالبلدر مائلا ولثمة ظل فلاح هلاله
وله في ذم الحجر :

فأيسر ما فيها لدى العقل أنها إذا ولجت في رأسه خرج العقل

(١) يريد أن خيرا يحمل شرًا وسيفسره . (٢) المفصرات : السحب

[الميم] ومن شعره :

قَمْ فَاسْتَقِنِي بِالْكَأْسِ إِنْ أَمْكَنْتُ كَأْسٌ وَإِلَّا فَاسْتَقِنِي بِالْقَمْرِ
أَمَا تَرَى النَجْمَ الَّذِي كَانَ كَالدِّينَارِ قَدْ أَصْبَحَ كَالدَّرَمِ
وَالنَّجْمُ فِي رَوْضِ الدُّجَى جَدُولٌ سَارَ لِهَيْتِي زَهْمَرُ الْأَنْجَمِ

ومن شعره :

فَصَيْبُ لُجَيْنٍ نَوَّرَ الْوَرْدُ فَوْقَهُ وَلَكِنَّهُ مَاشَقَّ عَنْهُ كَامَهُ
أَرَى الْحِبَّ دِينًا وَالْحَبَّيْنِ أُمَّةٌ وَصُدَّغِيهِ نَحْرَابًا وَقَلْبِي إِمَامَهُ
لَدَى وَجَنَةٍ قَدْ حُطَّ لِلشَّعْرِ فَوْقَهَا مَجْنٌ عَلَى نُونٍ يَمَانِقُ لَامَهُ

ومن شعره :

١٠ قد غارت^(١) الصهباء منك بوجنة خجلا فعاتت للبنان من القم

ومنها في المدح :

إِنَّا لَنَطْلُبُ مِنْ سِوَاهُ سَمَاحَةً كَالشَّهْدِ يُطَلَّبُ فِي مَجَاجِ الْعَلَمِ
وَإِذَا رَجَوْتَ مِنَ الْبَخِيلِ يَدًا فَقَدْ طَالِبْتَهُ بِلُزُومِ مَالٍ يَلْزَمُ

ومن شعره :

١٥ يَا كَبِيَّةَ لِي خَالِمَا^(٢) حَجَرٌ لَوْ أَنِّي أُسْمِعْتَلِمُ

ومن شعره :

رَشَاءٌ تَعْلَقُ^(٣) خَضْرُهُ مِنْ رِذْفِهِ فَهُوَ الظُّلُومُ وَخَضْرُهُ المَظْلُومُ

ومنها :

لَا نَسْتَبِينُ كَأَنَّمَا أرواحها خُلِقَتْ وَمَا خُلِقَتْ لهنَّ جِسْمٌ

(١) غارت : من الغيرة .

(٢) في الأصل : يا كبة حسن خالك لي ، وهو تحريف . (٣) في الأصل : يهلوب .

[النون]

ومن شعره في وصف الفرس :

هل يُدْنِيَّيْ من جَنَابِ خِيَامِهَا بَرَقَتْ تَقَلَّدَ جِيْدَهُ بَعْنَانِ
ومنها في صفة السيف :

ومَهْنَدٍ مَمْتَوِجٍ مَقْضَرِّمٍ من صَفْحَتِيهِ بِعَمْدِهِ فَجَرَانِ
عَضْبٌ تَرَقُّقَ مَاوِهِ فِي نَارِهِ فَمَجِبْتُ كَيْفَ تَأَلَّفَ الضُّدَّانِ
يَنْدَى وَيَدْمَى تَارَةً فَكَأَنَّمَا لَمَسْتُ مِضَارِبَهُ يَدَا رِضْوَانِ
ومنها :

وتَسَلُّ أَيْدِي الدَارِعِينَ قَوَاضِبَنَا مثل الجداولِ سِلْنِ من عُذْرَانِ
ومن شعره :

وأَحْسَنُ من قُنُوِّ خَضَابِ خَوْدِ دَمٌ يَحْمَرُّ فِي زُرْقِ السَّنَانِ
ومن شعره :

فإن كان بعضُ الناسِ مُشْتَبِهًا بِهِ فذَا مَلِكٌ هَادٍ وَذَلِكَ شَيْطَانُ
وله في كبير الأنف :

أَعْجِبْ بِنِ إِنْ حَلَّ فِي بَيْتِ لِه فَلْأَنْفِهِ فِي الدَارِ يَنْتُ نَانِ
وتَكَادُ تُخْفِيهِ ضَخَامَةُ أَنْفِهِ فَكَأَنَّهُ أَنْفٌ بِلَا إِنْسَانِ
ومن شعره :

[الباء]

أَقُولُ وَالسَّبْرُ لِمَاعٍ يَمَانِي أَجْدُولٌ أَمْ صَفِيحٌ هِنْدَوَانِي
والفجر يسى على آثار غيبيه مثل المُدَافِ (١) سَمَى يَتْلُوهُ بَارِي
والشمسُ في المزنَةِ الحمرَاءِ تحسبها خَدًّا حَوَاهُ قَنَاعُ أَرْجُوَانِي

(١) المداف : غراب كبير .

ومنها :

أهوى ببغداد من بالخييف منزله فالحب منى حجازي عراقي

ومنها :

تخوي المعالي ويحويك الزمان بها كالقلب يحوي المعاني وهو تحوي

- ووجدت في ديوانه قصيدة لكنها في ديوان ابن خفاجة الأندلسي فيها :

ومشى النسيم يجر فضل ردايه بين الحدائق مشية الخيلاء
نشوان يعبث بالنصون وينثني مرحا فيعثر في غدير الماء

ومنها :

قمر يمد من الثريا راحة ضمت على قدح كنجم سماء
يسقي فاسقيه فيشرب حسنه عقلي ويشرب راحه أعضائي

١٠

ومنها في العذار :

كأن لها حب يدور بها كما دار السوار بمعصم الحسناه
صفراء نم بها الزجاج كأنها شمس محجبة بجسم هواء

ومنها :

١٥ سمح يوجل بالخطوب سماحه إن الدواء موكل بالداء

ومنها :

وتراه أصدق من رأيت مواعدا والصدق بعض مواهب الكرماء
تندى أنامله ويشرق وجهه فيجود بالآلاء والألاء

٢٩ - ابن جوشن

من شعره (١) :

[٥١ و] لعلّ الذي أثنى بما هو أهله / وتوجّخني من كلِّ فخرٍ بتاجه
 سيقبلُ عُذري في الجواب لأنني / غدوتُ كمن ضاهى اللّجين بماجه
 رأني وأياه كشمسٍ قرارةٍ / وموجٍ خضمٍ يرتى بارتجاجه
 لقد زارني منه كلامٌ كأنما / تمثّل فيه الروض عند ابتهاجه
 ومعنى تجلّى تحت مصقول لفظه / كإلاحٍ صرّفُ الراح تحت زجاجه
 وإني بالبرِّ اليسيرٍ مواجِهٌ / وإنك بالفضل الكثير مواجِه

٣٠ - الشريف أبو محمد الحسن بن الشريف الجليس

وجدت في ديوان أبي عبد الله بن هاني مكتوباً قطعة كتبها إليه ابن الشريف
 الجليس في جواب شعره :

أهديت لي منك شعراً كما تجلّت عقودُ
 فلست أدري بماذا أجزيك عما تجود
 لأنّ رفدي إذا ما أجزأت شيئا سيبيدُ
 وإنّ شركك فضلٌ مع الزمانِ خلودُ
 على كلّ مزيدٍ وما عليك مزيدُ

تمّ شعره .

(١) إلى هنا ينتهي الحرم والنقل عن المختصر .

٣١ - / أبو التقي صالح بن الخصال

وجدت له في ديوان أبي عبد الله بن هاني قصيدة كتبها إليه وهو مؤعوك

يقضى زيارته ، منها :

يا ناقضاً في قوافيه عرى النقضِ يُنير مسودّها منه بمبيضٍ
قل لابن هاني عن ابن الخصال محتسباً مما يؤديه نقلُ القول للفرضِ
أمسيت بدرِ نجومِ الشعرِ أجمعِ مُذْ أصبحت لي نيرَ الآدابِ في الأرضِ
فاجنحْ لزورةِ شلوٍ مُشحنٍ وصبياً ألهى انتظاركُ بعضاً منه عن بعضِ
لا ترجُ لي في تلافى مهجةٍ سبباً فإنه إن تراخى خفتُ أن أفضي

ومنها :

أخى لا تتقاضاني مكافأةً على يدٍ عُضِلتَ عن مُنتهى النهضِ

ومنها :

إن القطوعَ إذا استوتَ على أحدٍ رمته في سائرِ الأحوالِ بالبُغضِ
سل كاسراتِ صروفِ الدهرِ هل سلّمتَ جنوبها حينِ عَضَّتني من العَضِّ
إن النوائبَ لما آثرتِ عَرَضِي ساحتُهنَّ بهُ بقياً على عَرَضِي
لا تَأْمَنني وإن دارتِ دوائرُها على بالجرورِ أن أفضي كما تمضي
/ أقسمتُ لو يَمَّتْ حُمَيّ منكَ حمي ماخاضَ إنسانُ عيني جَدُولَ الغُضِّ
لا يُخزِجَنَّك تحريكِي للأزرةِ نسيمُ برقِ عُلاها صادقُ الوَمضِ
فالعُضْبُ للهزِّ قبلِ الضربِ مُفْتَقِرٌ والسهمُ يحتاجُ قبلِ الرمي للنبضِ

إذا أنبساطي لم يُجِدْ مُجَادِبَةً للقبض منك وهبت البسط للقبض
هب ذنب عتبيك للحمي فإن لها وساوساً لدواعي المس قد تُنْضِي
فأجابه أبو عبد الله بن هاني عنها بقصيدة منها :

لييك لبيك من داعٍ إلى فَرَضِ يدعو فأقضى وفرض الحج ما أفضى
إن كان جننٌ ودادي عنك غَمَّضَه ما قد زعمت ، نَبَا جفني عن الغمض
لكن أصابك أمرٌ لو علمتُ به مضتْ تَعُودُكَ رُوحِي قبل أن أمضِي
فكيف أصبحت من عَظٍّ^(١) الزمان فقد أصبحتُ بين نيوب المم في عَضٍّ^(٢)
ومنها :

الله يعلم أني مذ علمتُ بما حَمَلتْ أُنْبَكِي^(٢) بقلب فيك مُرْفَضٍ^(٣)
كأنما الأرض ضاقت بي مذاهبها وهِيَ الرحيبَةُ بين الطول والعرض
أُمْسِي وَأُصْحِي وَلَا أَنْفَكُ مُضْطَرَّبًا كَأَنَّ جَسْمِي عِرْقٌ خَافِقُ النَّبْضِ
قد فُضَّ جَمْعُ غُرَامِي فِيكَ عن كبدِي فَمَا لَجَمْعِ هُمُومِي غَيْرُ مُنْفَضٍ^(٤)
إن تستفق فظلامي أبيضٌ يَقُوقُ أَوْلَا ففغرُ صَبَاحِي غَيْرُ مَبْيُضٍ^(٤)
ومنها :

١٥ / وكيف ما خافت الحمي؟ أَمَا خَشِيتُ من مَقُولِ كَذِبَابٍ^(٤) السيف إذ يمضي؟ [٥٢ ظ]
ومنها :

أو صادفت فيك نار المم فأنجذبت والجنس بالجنس مُسْتَدْنٍ وَمُسْتَقْضِ
والخطب طرف جوح لا لجام له يأتي الكريم بلا سوطٍ ولا رَكْضِ

(٢) في الأصل هكذا : إنك قلب .

(٤) ذباب السيف : حده .

(١) عظ : عض .

(٣) مرفض : متعلم .

فلا يروغك ما تلقاه من ألمٍ فكلُّ مُهدٍ إلى طيبِ الكرى يُفنى
وذكر أنه أرسلها إليه ، وتوفى ابن الخلال بعد أيام يسيرة .

٣٢ - أبو الفهر* الإسنوي

له في مرثية أبي التقى ابن الخلال :

سقى الله قبرًا جاورَ المزنَ من أسيِّ على من حواه دمعُ كلِّ أديبٍ
فأوفت له حزنًا كرامَ معاشرٍ بشقَّ قلوبٍ لا بشقَّ جُيوبٍ
وقلَّ على ماضي الضريبة ، نزهتْ له شيمٌ ، من مُشبهٍ وضريبٍ

٣٣ - ابن الضيف*

[٥٣ و] / هو حيدرة بن عبد الظاهر بن الحسن بن علي الربي الضيف .

- ١٠ . كان من دعاة الأديعاء ، الغلاة لهم في الولاء ، وكان في حدود سنة خمسمائة ،
في عهد أمرهم ، وله فيه مدائح كثيرة ، لدواعي المناخ مثيرة . وقع إلى ديوانه بنحطه ،
وكنت عازمًا لفرط غلوه على حطه ، لأنه أساء شرعًا وإن أحسن شعرًا ، بل أظهر
فيه كُفرًا ، فلم يستحق لأساءته كُفرًا ولا عُقرًا . لكنني لم أر أن أترك كتابي
منه صفرًا ، لأن البحر الزاخر ، يركبه المؤمن والكافر ، ويقصده البرّ والفاجر ،
١٥ . يحمل الغشاء كما يحمل الدرّ ، والمركب فيه يجمع العبد والحز . وقد أوردت من
مستحسناته كلَّ ما يعنى على سيئاته ، ويغضى به على هفواته . فما عنيت بإثباته ،
من قصائده ومقطوعاته ، قوله [من] قصيدة يعارض بها ابن هاني المغربي :

(*) ترجم له صاحب الطالع السعيد ص ٣١٥ وقال : إنه توفى سنة ٥٤٤ هـ وانظر حسن
المحاضرة ٣٢٤/١ .

(*) ترجم له ابن سعيد في الجزء الثاني من المغرب نسخة دار الكتب المصرية الورقة
١٧٢ وقال : إنه كثير المعارضة لطريقة ابن هاني الأندلسي في الغلو وصل الألفاظ وقفمتها .

طَلَمْتُ صَبَاحًا مَشْرِقًا يَتَهَيَّلُ ووراءها بِالْوَحْفِ (١) لَيْلُ أَيْلُ
وَدَنْتُ بِهَا شَمْسُ الظُّهْرِ تَعْتَلِي نورًا وما للشمس طَرْفٌ أَكْحَلُ
وَوَثْتُ قَضِيبَ الخِيزَانَةِ تَحْتَهُ حِفْفٌ يَكَادُ تَسْرَعًا يَتَهَيَّلُ

/ ومنها :

فَالخُلْدُ ضَمَّخَهُ حَرِيقٌ مُشْعَلُ وَالثَّقَرُ عَطَّرَهُ رَحِيقٌ سَلْسَلُ

وقوله من أخرى :

هَزَّتْ كَثِيبًا بِالقَوَامِ مَهِيلاً وَرَنْتُ بِمَقْلَةٍ جُوذِرِ هَارِوتَهَا
وَرَمْتُ بِأَسْمِهَا فَوَادًا مُدْنَفًا مَتَى ، وَقَلْبًا لَا يَزَالُ عَلِيلاً
وَمَضْتُ مُودَعَةً فَعَطَّرْتُ الرُّبَى أَرْجَا تَجْرُهُ بِه الرِّيحُ ذِيولَا
تَهْدِي الصَّبَا مِنْهَا لَطِيمَةً عَنِيْرَ وَنَسِيمُ أَنْفَاسِ الشَّمَالِ شَمُولَا
مِنْ ذَمِّ أَيَّامِ القِرَاقِ فَإِنَّ لِي صَبْرًا عَلَى يَوْمِ القِرَاقِ جَمِيلاً
إِنْ وَدَعْتُ فَلَمَّمْتُ نَمْرًا أَشْنَبًا وَرَشَفْتُ رَيْقًا بَارِدًا مَعْسُولَا

وقوله من أخرى في الشيب :

لِبَاسِ المَشِيبِ نَخْلَجِ الشَّبَابِ وَقَرَبُ القَتِيرِ بَعِيدُ الذَّهَابِ
وَنَشَرُ الزَّمَانِ بِأَحْدَانِهِ لِمَسْطُورِهَا (٢) طِيْ هَذَا الكِتَابِ
وَجِدَّةُ أَتْوَابِهِ أَخْلَقَتْ بِأَتْوَابِ عُمَرِ بَطِيءِ الإِيَابِ
مَنَاسِرُهُ اخْتَطَفَتْ مَهْجَتِي وَأَظْفَارُهُ أَنْشَبَتْ فِي إِهَابِي
أَرْقَعُ مِنْهُ قَيْصَ البِيضِ وَأَسْتَرُهُ بِسَوَادِ الخَضَابِ
فَإِنَّ قَيْلَ هَذَا سُخَامِ المَشِيبِ فَقَلْتُ : عَلَى فَقْدِ عَصْرِ الشَّبَابِ

(١) الوحف : الشعر الطويل الأسود .

(٢) في الأصل : ذا بدلا من ها .

[٥٤ و] / ومنها :

حنائيك من زائري لبتك يدلني وصله باجتناج
 حباله إعراضه صيرت سكن الحياة إلى الاضطراب

وقوله من أخرى :

- ٥ فتأمل ربعا إذا ما خلا أهلوه فالوجد منه ليس بخال
 ذلك^(١) معنى يُغنيك مرأى عن السمع بتجليده الهوى وهو بال
 طلحا أمكنت به فُرض جا دبت فيها وغزلات الغزال
 بين ورد كورد خذبه في الحسن وروض كوجه في الجمال
 وندي كالموع في مقل النر جس أو فيض عبيرة في دلال
 ١٠ يا لقومي من سحر تفتير طرف وقع في القلوب وقع النبال

ومنها :

كلا بلبلتها راحة التجميش حاجت سوا كن البلبال
 تحت ريجان طرقة جمعت ما بين شمس الضحى وبدر الليالي
 فلماذا بانحال نقطة ذال ولذلك الحلى صورة دال

ومنها :

- ١٥ لطف نفسى على قضيب نضار يستميل القضيبي بالإعتدال
 [٥٤ ظ] / يتجلى أعلاه عن بدر تيم وبيارى روفاه دِعصَ رمال
 وعليه مجاسد ألبسته الحسن من فرقه إلى الخلخال
 فإذا لاح في السواد رأينا شمس دجن أو هالة في هلال

(١) في الأصل : ذا بدون الكاف .

ومنها:

ذابَ قلبي بنارهِ فجرى في ألدِّمَعِ كالنارِ في سَليطِ الدُّبَالِ
وتِلافُ الكَريمِ في ذلَّةِ اللوِ عِ عِزٌّ وِراحَةٌ في كَلالِ
مِثْما يُتِلافُ الأجلُ جِمالُ المُلكِ أُمواله بِحِفظِ المَعالي
ذو اعتِزامٍ لو أَنَّهُ في فِرندِ السِيفِ طِبَعًا أَضاءَ قِبلِ الصِّقالِ
رَجَلٌ يَستُرُ الأيادي فِتبيديها سِمتٌ على وَجوهِ الرِجالِ
ولهُ أَسهِمُ حَدادٌ إِذا طِشِنَ يُحَرِّكُنَ راسياتِ الجِبالِ

وقوله من أخرى:

للهِ أَجراعٌ^(١) اللّوى ما أَعجبا ولِقاءِ أَبناءِ الهوى ما أَعذبا

١٠ ومنها:

وأوانسٌ غيدٌ كأَسرابِ المَها وفوارسٌ صِيدٌ كأَمْهابِ الدِّبَا^(٢)
جَعَلوا حِشايَهم مَتونَ جِياهِمُ قَد ذَلُّوا فاستَلانوا المَرِكا
لَمَتْ بَروقُ جِياهِمُ بِطِرادِهمُ حَتى كَأَنَّ على العِيونِ بِها هِبا^(٣)
واستَمَطَروا دِيمَ الدِماءِ حِوافِلاً بِأَسِنَّةٍ رَوَّتْ^(٤) بَهنَ الأَكُعبا
/ تلكِ المَنازلُ لو هَتَفَتْ بِها يُرَى بِعَليها نَفَسُ الرِياحِ مُطَيِّبا
فِها تُهزُّ قَنّا بِأَشباهِ النِّقا^(٥) وَبِها تُعابُ لو تَسَمَّنَ^(٦) الرُّبى
طَلَعَتْ لَنا الأَمَارِ مِنَ تلكِ الرُّبى

[٥٥ و]

١٥

(١) أجراء: كشيان

(٢) الدبا: النمل ويريد بأسهاب: جموع.

(٣) هبا: هباء وهو الغبار (٤) في الأصل: ردت.

(٥) هكذا في المغرب وفي الأصل: القنا.

(٦) في المغرب تبسمت.

ومنها :

بتنا بها نجلو عروس زجاجة
نثرت عليه بالمزاج لآلئاً
فصفاؤه يفتّر عنه ترققاً
ومغرّد ، لي من فتور جفونه
نَبّهته ويدُ النسيم توؤده
لأروض روضاً بالتداني مُرعاً
وأشُم ريمانَ الشعور مُطيباً
وأمصّر رمانَ الصدور مُشرباً^(٢)
قد ألبست ثوبَ الرحيق المذهباً
عامت فعاتت كالبيرين^(١) تسرباً
وبروده يزداد منه تلهياً
سُكرٌ ، وسكرٌ إن شدا وتطرّباً
ليناً وتكسو وجنتيه تخضّباً
وأزور مغنى بالتوائى مُغشياً
وأعلّ خمراً بالثغور مُشنباً
وأعضّ تفاحَ الحدودِ مُكتباً^(٣)

وقوله من قصيدة :

قد أطيلت قوادمُ اللكنِ للجا
هل لكنُ جناحى المحصوص^(٤)

ومنها :

كيف طيّرتُموه في سعة الآ
فاق وهو المدلّة المقصوصُ

ومنها :

[٥٥ ظ] / أو ليس العقودُ تجمع أسبا^(٥) جًا ودُرًا واسمُ الجميعِ فصوصُ

ومنها يصف الشعر :

فتأملُ بظاهرِ المدل والراء
لفظه الشهدُ والقريحمة نارُ
فمدحاً ما شأنه التنغيصُ
والمعانى دهنٌ فغمّ الخبيصُ

(١) البيرين : جمع برة وهو الخلخال وحلقة توضع في أنف البعير .

(٢) المشرب : الضامر .

(٣) المكتب : المتعلم .

(٤) المحصوص : القصوص .

(٥) الأسباج : الحرز .

(١٩ - خريدة)

ومن مراثيه قوله من قصيدة يرثي بها والده .

عادَ جفنى من الدموعِ كليلًا قَبْلَ أنْ أَسْتَفِي وَأَشْفِي عَليلا

ومنها :

وعظيمُ المصابِ يشتفُ ماءَ القلبِ حتى يعودَ يَبَسًا مَحِيلا
طاحَ صبري مع الرقادِ فَمَوْضُتْ غرامًا مع الشَّهادِ طويلا
لنقيدي قد كان قَرَّةَ عَينِ الدَّهْرِ فَضلاً وريقَهُ المَسولا
إِنَّ خُطْبًا أَصابنا في أبي الفتحِ نلُطِبُ أَفادَ حُزُنًا طويلا
وكذا عادَةُ الزمانِ إذا عا دى أَصابَ الجليلُ منه الجليلا
صاحَ لا تَغترُّ بعيشك في الدنيا ونكَبُ عنها بزهدِ سبيلا
فَهِيَ أُمَّ تُذِلُّ كُلَّ عَزيزٍ من بَنيها كما تُعزُّ ذليلا
وقوله من قصيدة :

غَيومٌ غَومٍ لا يَرِمنَ عن الجَفينِ ومُزَنُ دَموعٍ هَنَّ أَسخى من المَزنِ

[٥٦ و]

/ومنها :

ومن عجبِ إرسالِ عَينِ سَخِينَةٍ على لوعَةٍ هل يُطْفَأُ الشَّخْنُ بِالشَّخْنِ؟
وأعجبُ منها أنْ تَقِيضَ شَؤونها على ظِلِّها مِنها بِمَنبَجسِ هَتَنِ
وقوله من أخرى :

أرى الشوقَ مُسَوِّدًا كَقلبِي من الأَسى وإِنَّ كانَ حَمَرًا فَمِنَ أَدْمِعي الحُمُرِ
وقد حالَ دَمِعي بينَ نَوَبي وناظِرِي وحالِ غَرامِي بينَ قلبِي والبِشْرِ
كَأنكَ حُمٌّ كَنتَ فَاسْتَقِظتْ لَهُ جَفونُ الرَدى واستأثَرتْ مِنكَ بِالعُمُرِ

وقوله من أخرى :

- كدأبك في الصبر يا ابن النهى فكل الأمور إلى مُنتهى
 وكل امرئٍ مُسلمٍ نفسه إلى الموت إن شاءه أو أبى
 نعدُّ ، لتسبَّقه ، العادياتِ فيدركنا يسيرٍ أخطى
 ونأملُ عمرانَ أعمارنا فيهدمُ آمالنا والرجا
 وما العيشُ إلا كحلمٍ مضى وبقِ سرى ، أو كظلمٍ أرى
 حياةُ القى مركبٌ للحيام وجثمانه هَدَفٌ للبي
 نروحُ ونغدو به ضاحكين وضحكُ القضاء علينا بُكاً
 وإنَّ مَنى المرءِ طولُ الحيا ة في نعمةٍ كان أو في سقا
 / ألا إنما الدهرُ يُبلى لنا ومن يأمنُ الدهرُ أنى سطا ؟
- [٥٦ ظ]

ومن مقطوعاته في معانٍ شتى قوله في طول الليل :

- يا ليلةً عُمرُ الزما ن بطولها مثلُ القلامه
 يُبني على ظلامها وغرامها يثني الغمامه
 حتى كأنَّ نهارها يبدو به فجرُ القيامه

وقوله في المعنى :

- أرقَّ عيني شادنٌ دَنفُ بهجره فالرقادُ مُحْتَطفُ
 والليلُ من طونه كدائرةٍ لا آخِرُ عنده ولا طرفُ
 وقوله أيضاً في طول النهار وقصر الليل :
- طال النهار على الحب كأنه يومُ الحسابِ بآخرِ الدهرِ
 وكان ليلته وقد طلعت عُقدَ العشاءِ بها مع الفجرِ

وقوله في أسرد التحى :

كنتَ حَيًّا في المُرْدِ حتى إذا عَدَّرتَ جاء الماتُ والتعذيرُ
مثلُ سطر العنوانِ يبدو وتطوى منه في باطنِ الكتابِ سطور

[٥٧ و]

/ وقوله في عواد ، وزعم أنه عمله في المنام :

ومسمع مبدع بصنعتِهِ يريك من فضلِ حُسْنِهِ عَجَبًا
حَرَكَ عودًا كالرعدِ مُقْتَرِنًا بالبرقِ من كَفِّهِ إذا ضَرَبَا
تَسرى قواه في نفسِ سامعِهِ فيكتسى كلُّ مَفْصِلٍ طَرَبًا

وقوله :

أَكْرِمُ بِنَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتُ العزَّ عن ذلِّ الشَّوَالِ
وأستغني عن عِدَّةِ البَخِيلِ أَتَتْ بَعْدِي وَأَعْتَالَ
فأطبعُ أَغْلَبُ للفتى والبخلُ من لؤمِ الرجالِ
كم بين مختلفِ المقالِ وبين متفقِ الفعالِ
ومباعدِ طُرُقِ النَّدى ومقرَّبِ طُرُقِ النِّوَالِ
هذا يسابقُ بالمطالِ وذا يُعَلِّلُ بِالْمِطَالِ
حاز الفنى من لا يجو دُ وجاد ذاك بغيرِ مالِ

وقوله يصف عدو الفرس في الميدان :

كم ساجٍ أَعْدَدْتُهُ فوجدتُهُ عند الكريهةِ وهو نَسْرٌ طائرُ
لم يَرَمِ قَطُّ بطرفِهِ في غايةِ إلا وسابقَهُ إليها الحافرُ

/ وقوله في المعنى :

[٥٧ ط]

كم جوادٍ يسبقُ الوهمُ فما يقتنيه الوهمُ إلا تَبَعَا

راهنّت أوظافه^(١) الحَاظَهُ ثم جاءا غايَةَ السَّبْقِ معا
وقوله :

قرّ لاثَ عليه مُطْرَقًا لا زَوْرَدِيًّا رقيقَ الحاشِيه
وعليه صبغةٌ من حسنه فَهَى في كلِّ فَوَادٍ ساريه
يضحكُ القلبُ إذا عابته^(٢) وَلَكَمْ عينِ عليه باكيه
طرفه جَنَّةٌ عَدْنٍ أزلقتُ وبخديهِ جحيمٌ صاليه
نَمَمَ الصَّدْغانِ فيها طُرُورًا كُتِبَتْ من ذهبٍ في غاليه
شَمِهتِه العينُ لما أنْ بدا روضه ذاتَ قَطوفٍ دانيه
أو قضيبًا فوقه سَوَسَنَةٌ أو هلالا في سماءِ صاحيه

وقوله :

آذَنَ قلبي بالهوى شادنُ أَيَقَطَهُ من طرفهِ الناعسِ
أَلْبَسْتُهُ الحُسْنَ رداءً له نفسى فداه القَمَرِ اللابِسِ
غَرَسْتُ في وجنتيه وردةً من نظرةِ المُسْتَرِقِ الخالِسِ
خَفافَ أنْ أقطفها خَفِيَّةً بِقُبْلَةٍ والنَرسِ للغارسِ
فَرَّ في ميدانهِ مسرعًا يا لَيْتَنِي فارسُ ذا القارسِ

(١) أوظاف : جمع وظيف وهو مستدف الساق من الخيل .

(٢) في الأصل : عابته .

تصحیحات

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
قصيدة	قصيدتين	٥	١٦٩	مسلّطا	مسلّطا	١٢	٣٠
أبدا	أبدا	١٠	١٧٢	حلي	حلي	٢١	٣٥
تصفّحوا	تصفّحوا	١٥	١٧٢	ذِكَاثُه	ذِكَاثُه	٩	٤٧
(١)	(٥)	٧	١٧٧	لكرام	الكرام	١٦	٤٨
العقبلي	العقبلي	١	١٨٦	للمتعرّش	للمتعرّش	٢	٥١
الانحناء	الإنحناء	٧	١٨٨	يوسفية	يوسفية	٣	٥٢
زياد	زياد	٧	١٩٠	اصفراراً	اصفراراً	٤	٥٨
أسرته	أسرته	٩	١٩٢	غدا	غدا	١١	٦٢
فطنته	فطنته	١٠	٢١٢	وتغزّر	وتغزّر	١٦	٦٧
الأربع	الأربع	١٣	٢١٤	أربي	أربي	١٧	٧١
بها	بها	١٣	٢١٤	فبعذك	فبعذك	١٠	٧٣
أصدّق	أصدّق	١٢	٢٢٤	متر	متر	١٤	٧٧
وأمّ لا	وأمّلا	١١	٢٢٩	العقل	العقل	٣	٧٨
أجزلت	خذلت	١	٢٣٧	تعيّنها	تعيّنها	١٦	٨٠
أوجدت	وجدت	١	٢٣٧	فقل	فقل	١٥	٨٤
لريشة	لريشة	٥	٢٤٣	راق	راق	١٠	٨٧
لأن	لأن	١٣	٢٦٥	فرس	فرس	٥	٩١
نجدد	نجدد	٧	٢٦١	الواني	الواني	٥	٩١
الأعفس	الأعفس	١٦	٢٦٨	خندّها	خندّها	٧	٩٦
بالسوى	بالسوى	٤	٢٧١	وفي	وتوفى	١٣	١٤٥
السعي	السعي	٣	٢٧٣	ميسن	ميسن	٢	١٦٠
الأرق	الأرق	٨	٢٧٦	حباً	حباً	٣	١٦٥
(١)	(٢)	٢٠	٢٧٧	مصر	بولاق	١٥	١٦٨
محرّرق	محرّرق	٣	٢٧٨				

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

